



جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله



كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

## دراسة في ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية لمنطقة التاسيلي نازجر من خلال مشاهد الفن الصخري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في التاريخ والحضارات القديمة

إشراف:

- دة. يفصح نادية

إعداد الطالبة:

المشرف المساعد:

- الصيد رانية

- د. بلحشر حسين

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
01	ويزة آيت عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
02	نادية يفصح	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2	مقررا ومشرفا
03	مصطفى رميلي	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
04	لخضر بن بوزيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
05	محمد كاكي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	عضوا مناقشا
06	حسين بلحشر	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024



جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ



دراسة في ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية لمنطقة التاسيلي نازجر من  
خلال مشاهد الفن الصخري

**A study of the features of the social and cultural life of the  
Tassili Nazjer region through rock art scenes**

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في التاريخ والحضارات القديمة

إشراف:

- دة. يفصح نادية

المشرف المساعد:

- د. بلحشر حسين

إعداد الطالبة:

- الصيد رانية

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
01	ويزة آيت عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
02	نادية يفصح	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2	مقررا ومشرفا
03	مصطفى رميلي	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
04	لخضر بن بوزيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
05	محمد كاي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	عضوا مناقشا
06	حسين بلحشر	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024



**Algiers 2 University –Abu El Qasim**

**Saadallah**

**Faculty of Humanities**

**Department: History**



**A study of the features of the social and  
cultural life of the Tassili Nazjer region  
through rock art scenes**

**Thesis submitted to the Department of History in Fulfilment of the  
Requirements for the Degree of Doctorate in History and ancient  
civilizations**

**Candidate**

ESCID Rania

**Supervisor**

Dr. Yefsah Nadia

**Assistant Supervisor**

Dr. Bellahreche Hocine

**Board of Examiners**

<b>N°</b>	<b>Full Name</b>	<b>University Affiliation</b>	<b>Position</b>
<b>01</b>	Pr. Ait Amara Ouisa	Algiers 2 University	Chairperon
<b>02</b>	Dr. Yefsah Nadia	Algiers 2 University	Supervisor
<b>03</b>	Dr. Remili Mustafa	Algiers 2 University	Examiner
<b>04</b>	Pr. Ben Bouzid lakhdar	Algiers 2 University	Examiner
<b>05</b>	Pr. Kaki Mohamed	Djelfa University	Examiner
<b>06</b>	Dr. Bellahreche Hocine	Setif 2 University	Examiner

**Academic Year : 2024/2025**

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## شكر و عرفان

أحمد الله العلي العظيم الذي سخر لي باب العلم ومنحي الصبر والثبات والتوفيق لإنجاز هذا البحث، كما أتوجه بأسى عبارات الشكر والعرفان إلى المشرفة الأستاذة الدكتورة نادية يفصح لقبولها الإشراف على هذا العمل وعلى صبرها ورحابة صدرها، وملاحظاتها وتوجيهاتها القيمة التي أنارت لي طريق البحث، إضافة إلى مساعداتها الإدارية والأكاديمية والمعنوية التي سهلت علي تجاوز العقبات والصعوبات.

أوجه جزيل شكري إلى المشرف الأستاذ الدكتور حسين بلحشرش أولاً لتحفيزه وتشجيعه لي لمواصلة المشوار العلي بعد طول فترة الانقطاع، ولقبوله المساعدة في الإشراف على هذا البحث، وعلى توجيهاته وتصويباته القيمة والسديدة، على المادة العلمية والمعلومات التي أمدني بها. أقدم جزيل الشكر وأسى عبارات الاحترام للأستاذة الدكتورة يسمينه سعودي على كل ما قدمته لي من مساعدة علمية وأكاديمية وإدارية، على تعاملها الطيب وأخلاقها الراقية، على خدماتها وتوجيهاتها التي لم تبخل بها علي وعلى بقية الطلبة.

أقدم أبلغ عبارات الشكر والتقدير لكل من: الأستاذ القدير محمد طالبي، الأستاذ توفيق دحماني على كل الجهود المبذولة لتكوين طلبة الدكتوراه وعلى النصائح والتوجيهات الأكاديمية، إلى كل أسرة التاريخ بجامعة الجزائر 2 كل باسمه وعلى رأسهم عميد أساتذة التاريخ القديم الأستاذ محمد الهادي حارث تحية تقدير و عرفان.

أقدم جزيل الشكر للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على اهتمامهم وجهودهم، وعلى تخصيص جزء من وقتهم الثمين لتصويب هذا العمل المتواضع وإثرائه لخدمة العلم وطلابه. إلى والدي وأفراد أسرتي وكل من حفزني على البحث العلي من قريب أو من بعيد، إلى كل من ساندني وشجعني ولو بكلمة جزيل الشكر والعرفان.

## إهداء

❖ إلى والدي العزيزين أطال الله في عمرهما اللذان كانا مثل المصباح المنير كلما أظلمت

علي طريق البحث بدعائهما ودعمهما، إلى أبي الغالي الذي زرع فيّ تقديس العلم والثبات

على طريقه رغم الصعاب، إلى أمي قرة عيني التي غرست فيّ روح التحدي والمقاومة.

❖ إلى زوجي الغالي الذي ساندني ودعمني وصبر علي طيلة فترة البحث.

❖ إلى طفلي الحبيبين: رودينا وشيث حفظهما الله ورعاهما.

❖ إلى إخوتي وجميع أفراد عائلتي.

❖ إلى طلاب العلم وكل من يقرأ هذا العمل.

أهدي ثمرة جهدي وعملي المتواضع

# قائمة المختصرات

- **A.A.R.S** : Association des Amis de l'Art Rupestre Saharien.
- **A.M.G** : Art et Matières Graphique.
- **B.A.C.T.H.S** : Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques.
- **B.A.A** : Bulletin d'Archéologie Algérienne.
- **B.A.M** : Bulletin d'Archéologie Marocaine.
- **C.N.P** : Centre National de Préhistoire.
- **CNRS** : Centre National de la Recherche Scientifique.
- **C.N.R.P.A.H** : Centre National des Recherches Paléontologiques, Anthropologiques, Historiques.
- **C.O.C.E** : Conseil d'Orientation des itinéraires Culturels Européens.
- **ADN** : Acide Désoxyribonucléique.
- **G C T A** : Genome-wide Complex Trait Analysis.
- **ICOMOS** : International Conseil des Monuments et des Sites.
- **N.P.A**: National Park of Algeria.
- **N.R.S** : National Recherche Scientifique.
- **O.P.N.T** : Office du Parc Nationale du Tassili.
- **R.I.L** : Recueil des Inscriptions Libyques.

# قائمة المصطلحات

- Acacia : الطلح
- Abstraction : تجريد
- Argilites : صخور ذات أصل طيني
- Art rupestre : الفن الصخري
- Caballus : الحصان المستأنس
- Cambro-ordovicien : الكمبري الأوردوفيسي
- Cupules : بقع منحوتة
- Dévonien : الديفوني
- Expression graphique : التعبير الخطي
- Graphisme : التخطيط
- Gravure : نقوش
- Holocène : الهولوسين
- Homo Erectus : الإنسان المعتدل
- Homo Habilis : الإنسان الماهر
- Homo Sapiens : الإنسان العاقل
- Inventaire : جرد
- Quaternaire : الزمن الجيولوجي الرابع
- La dépression intratassilien : الأخدود الداخلي للتاسيلي
- Les Fresques : الجداريات
- Libyco-berbère : ليبية بربرية
- Ligature : الحروف المركبة
- Néolithique : العصر الحجري الحديث
- Néo-Tifinagh : التيفيناغ الحديثة
- Patine : زنجرة
- Paléolithique : العصر الحجري القديم
- Paléozoïque : الزمن الجيولوجي الأول

- Pectinidae : الأسقلوب
- Pédiplation : تأرجحات جيولوجية
- Peintures rupestres : رسوم صخرية
- Période Bovidienne : مرحلة البقرات
- Période Bubaline : مرحلة الجاموس العتيق
- Période Caballine : مرحلة الحصان
- Période Camaline : مرحلة الجمل
- Pierres écrites : حجارة مكتوبة
- Piquetage : تنقيط
- Phœnix : فينيق
- Pré alphabétique : ما قبل النظام الأبجدي
- Pré cambrien : ما قبل الكمبري
- Préhistoire : ما قبل التاريخ
- Protohistoire : فجر التاريخ
- Serpentine : شكل تموجي
- Scènes rupestres : مشاهد صخرية
- Silurien : السيلوري
- Spectrophotomètre : جهاز قياس الأشعة فوق البنفسجية
- Spirals : حلزونات
- Syllabique : مقطعي اللفظ
- Symbolisme : الرمزية
- Tassili interne : التاسيلي الداخلي
- Tassili externe : التاسيلي الخارجي

# مقدمة

شهدت منطقة شمال إفريقيا بصفة عامة ومنطقة الصحراء الوسطى على وجه التحديد سلسلة من التقلبات المناخية، التي ساهمت في تحديد البنية العامة للسطح بمختلف تضاريسه كما ساهمت في تحديد مناطق توزيع الغطاء النباتي والحيواني والبشري، حيث اهتم الإنسان منذ بداية اتصاله بعالمه المحيط بانتقاء أماكن ملائمة لظروفه الحياتية، لذلك اعتادت الجماعات البشرية الأولى التنقل والترحال بحثًا عن تكامل شروط المعيشة، كما عرفت الاستقرار في المناطق التي تتوفر بها هذه الشروط، وأبرز مناطق الاستقرار البشري كانت بالقرب من نقاط توفر المياه.

أثبتت الأبحاث الأركيولوجية أن منطقة الصحراء الوسطى شهدت مظاهر التعمير البشري منذ بداية مرحلة البلايستوسين، لعل هذا ما يثب أصلًا التواجد البشري وبداية التأسيس الأول لحضارات محلية خاصة بالمنطقة، كما لعب المناخ الدور الحاسم في تحديد توزيع الكثافة السكانية وأماكن الاستقرار، واتجاه الهجرات والتحركات البشرية تماشيًا مع طبيعة الظروف المناخية السائدة لكل مرحلة.

عرفت الصحراء الوسطى تتابعا ثقافيا متنوعا للحضارات البشرية التي امتدت على طول مرحلتي البلايستوسين والهولوسين، وتعتبر التاسيلي نازجر أبرز منطقة بالصحراء الوسطى كونها تحتل موقعا مركزياً وسطا جعلها بمثابة حلقة اتصال بين مختلف الجماعات البشرية، نظرا لإشرافها على شبكة من الطرق والأنهار التي تربط منافذ الصحراء الكبرى ببعضها، لعل هذا ما جعلها تحظى بأكبر قدر من اللقى الأثرية التي تعود لحضارات مختلفة.

تزرخ منطقة التاسيلي نازجر بعدد هام من المواقع الأثرية الشاهدة على التتابع الثقافي والحضاري المتنوع، من خلال ما تتضمنه من لقي أركيولوجية تعود إلى مراحل مختلفة تعبر عن نمط

النشاط البشري الممارس من قبل الجماعات التي عمرت بها، وتعتبر المرحلة النيوليتية الأبرز كما أنها تتزامن مع فترة اعتدال المناخ وعودة الأمطار مع حلول بداية الهولوسين.

اتسمت المرحلة النيوليتية بنشأة المجتمعات المستقرة المرتبطة بالأرض والزراعة واستئناس الحيوان وصناعة الفخار، وبداية تشكل القرى وتطور المنظومة الاجتماعية، جعلت جُل هذه المميزات الإنسان يتفرغ إلى حرف أخرى غير الزراعة والرعي، فارتقى تدريجياً في سلم التطور ما أفرز عن ثورة إنتاجية متنوعة، كما مارس الإنتاج الفكري والفني سواء بالنسبة للفن المنقول أو الثابت المجسد على جدران الكهوف والمغارات.

اتخذ الإنسان الحجارة وسيلة تمكنه من التفاعل مع وسطه الطبيعي، فمارس عليها مختلف أنواع القطع والتشذيب والصقل منذ العصر الحجري القديم، غير أنه ومع حلول العصر الحجري الحديث جعل هذه الحجارة بمثابة سجل يدون عليه مختلف تفاصيل حياته اليومية، من خلال جملة الرسوم والنقوش التي كان ينجزها على هذه الأسطح والتي أطلق عليها تسمية مشاهد الفن الصخري<sup>1</sup>.

تزخر منطقة التاسيلي نازجر بكم هائل من مشاهد الفن الصخري الذي يعد فريداً من نوعه بالنسبة للمنطقة<sup>2</sup>، كونه يشكل مكتبة تاريخية أثرية محفوظة على الحجارة، كما أنه يعد بمثابة دليل مكمل لما توصلت إليه الأبحاث المتعلقة بصناعات ما قبل التاريخ والبقايا الباليونتولوجية (Paléontologie)، حيث تعكس اللوحات الجدارية مقاطع وتفاصيل تاريخية، تنصب معطياتها في قالب يشمل طبيعة الحياة البشرية ضمن البيئة القديمة بما تحتويه من مميزات ومواصفات، ومدى انعكاسها على النشاط البشري<sup>3</sup>، كما تحددت بواسطته أنماط سلوكيات الجماعات البشرية تجاه الظروف المناخية والبيئية السائدة خلال الفترة التي أنجز فيها.

<sup>1</sup> - G. Aumassip. (1997), « L'émergence précoce du néolithique au Sahara », dans : *pour la science*, N°234, Paris, P : 56.

<sup>2</sup> - M. Hachid. (1986), « L'art rupestre préhistorique de l'Atlas saharien pour une archéologie d'urgence », dans : *Numéro spécial des conférences tenues au palais de la culture*, Centre National d'Etudes Historiques, N°22, Alger, P : 7.

<sup>3</sup> - H. Lhote. (1962), « L'art préhistorique Saharien », *Revue du Musée de l'Homme*, N°4, France, P : 205.

تشير مشاهد النقوش والرسوم الصخرية من جهة ثانية إلى طبيعة التعبير الثقافي في ترسيخ الأفكار والمعتقدات، وانتقالها بين الجماعات المشتركة في هذا الموروث إلى الأجيال اللاحقة خصوصا أنها عمّرت لفترة هامة من الزمن، إضافة إلى نوعية التخاطب الفكري والتواصل بين منجزها من خلال مضامينها وما تحتويه من رموز لا بد وأنها تحمل معاني محددة.

يمكن الاستناد إلى الفن الصخري كدليل أركيولوجي على مواطن التعمير البشري خلال تلك الفترة الغابرة، إذ تشكل مواقعه خريطة جغرافية بمفهومها القديم تسمح بتحديد أماكن الهجرة والتنقلات البشرية، بل تساهم إلى جانب ذلك في تحديد مواقع الاتصال البشري بين مختلف الجماعات لأغراض متعددة، كما أنها تشكل أفضل شاهد على مراحل التقلبات المناخية من خلال ما تحمله من مواضيع ذات صلة وثيقة.

يزخر شمال إفريقيا بعدد هام من مواقع الفن الصخري في مناطق متفرقة، من الممكن أن تكون قد انتشرت عن طريق التحركات البشرية في اتجاهات مختلفة، وتحتوي منطقة التاسيلي نازجر على عدد هام من اللوحات الجدارية، التي يمكن القول بشأنها أنها لخصت شتى أنماط المشاهد الصخرية المكتشفة بكافة المواقع الأثرية بشمال إفريقيا.

يشير التشابه بين لوحات الفن الجداري على الأرجح إلى وجود خط سير حضاري رسمته الأقوام المهاجرة عبر الصحراء وانتهجت الأقوام اللاحقة، حيث يذهب عدد كبير من الباحثين إلى تفسير ذلك بناءً على تشابه اللقى الأثرية هي الأخرى في عدد من المواقع بإفريقيا الشمالية، إلى إمكانية افتراض أنها تنتهي إلى حضارة واحدة تعود إلى الصحراء، وعليه يشار إلى أن الصحراء الوسطى والجنوبية هي أول مكان انطلقت منه الحضارة البشرية إلى الشمال بما في ذلك الفيوم والخرطوم كونها تعتبر مصدر المحاجر الخام التي صنعت منها أدوات الحضارة الفيومية.

اعتمد عدد من الباحثين لغرض البحث عن مسار التحركات البشرية بالصحراء على غرار: موني، لوت وغوتيه (E.F. Gautier, H. Lhote, R. Mauny)، على فكرة تتبع آثار طرق العربات ومقارنتها

مع المشاهد الصخرية المتوفرة، استنادا إلى ما نقل عن هاته الأقوام من قبل المؤرخين القدماء أمثال: هيرودوت، سترابون، بلييني، حيث أشار هيرودوت إلى قبائل الجرامنت التي سيطرت على الطرق التجارية بالصحراء وهي ذات القبائل التي عمرت التاسيلي والهقار في حدود 1500 أو 1200 ق.م.

يعود تاريخ اكتشاف مشاهد الفن الصخري بمنطقة التاسيلي نازجر إلى فترة الاستعمار الفرنسي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومع مطلع القرن العشرين أضحى محل اهتمام لمعظم المختصين في مجال آثار ما قبل التاريخ من شتى أنحاء العالم، اختلف الباحثون حول ضبط تاريخ محدد لظهور هذا الموروث الحضاري، بسبب عدم نجاعة طرق التأريخ المختلفة مع الصخور، لذلك اعتبرت دراسة البيئة والمناخ القديم أقرب طريقة لتحديد بداية هذا النشاط البشري.

رجحت معظم الأبحاث الأثرية أن تأريخ الفن الصخري بالصحراء الوسطى يمكن أن يعود إلى مطلع العصر الحجري الحديث، وبذلك فهو يعد متأخرا إذا ما قورن بالفن الصخري بأوروبا، الذي يعود تأريخه إلى فترة العصر الحجري القديم الأوسط، وذلك لاعتبارات لازالت تتضارب حولها الفرضيات، خصوصا وأن الربط بينه وبين بقية اللقى الأثرية يعد في غاية الصعوبة<sup>1</sup>، وبالتالي فإن وضعه ضمن إطار كرونولوجي محدد لا يزال يشوبه الكثير من الغموض والتعتيم.

اقتصرت من جهة ثانية الأبحاث الأجنبية الأولى في ميدان الفن الصخري بالمنطقة على دراسات منهجية، على غرار ما قدمه: فلانمد (Flamand)، لوت (Lhote)، بروي (Breuill) وغيرهم، ركزت هذه الدراسات على الجانب الوصفي والفني أكثر من تركيزها على فحوى ما تتضمنه المشاهد الصخرية، أسفر ذلك عن وضع إطار كرونولوجي أثري لا يتوافق مع الإطار الكرونولوجي الثقافي الذي تبرزه هذه الأخيرة، لعل هذا ما زاد من صعوبة استقراء المشاهد الصخرية وربطها مع الإطار الزمني الذي يفترض

<sup>1</sup> - G. Camps. (1974), *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara*, Centre National de la Recherche Scientifique, Editeurs, Paris, P : 261.

أن تنتمي إليه، كما شكل عائقًا أمام دراسة العلاقة التي تربط المشاهد الصخرية مع الكتابة الليبية البربرية التي ميزت منطقة شمال إفريقيا، وهذا ما نركز عليه من خلال هذا البحث.

تعد الكتابة الليبية البربرية واحدة من بين أقدم الكتابات في العالم، حيث رافقت مشاهدتها المراحل الأخيرة للفن الصخري، وعلى الأغلب أنها مرت هي الأخرى بمراحل انتقلت فيها من الرمزية إلى النظام الأبجدي، كما عُثر على عدد من نقوشها منجزة على نفس اللوحات التي تحمل مشاهد لحيوانات برية من المرحلة القديمة على شكل مجموعة من الخطوط والأشكال الهندسية، يُرجح أنها تحمل معاني محددة يمكن أن يكون لها صلة وثيقة بالجدور الأولى لظهور الكتابة الليبية البربرية، وهو ما نفصل فيه في متن هذا الموضوع، ولا شك أن للانقطاع الحضاري الذي سببه المناخ بالمنطقة تأثير هام على الانتقال من الرمزية نحو النظام الأبجدي.

يشير ارتباط الأشكال الهندسية بمشاهد الفن الصخري، إضافة إلى استمرار ظهور ذات الرموز على اللوحات الحاملة لمشاهد الكتابة على الأرجح إلى وجود علاقة وطيدة بين الفن الصخري والكتابة الليبية البربرية، خصوصاً وأن الاثنان يشتركان في أسلوب وتقنية الإنجاز، وفي أغلب الأحيان يشتركان في نفس الحوامل، وتعتبر من جهة ثانية المعاني المهمة للرموز التي رافقت المشاهد الصخرية ونقوش الكتابة من بين أبرز الصعوبات التي واجهتنا خلال إعداد هذا البحث.

تكمن أهمية موضوع الفن الصخري في كونه يشكل أحد أهم الشواهد المادية حول الموروث الحضاري الثقافي والاجتماعي للجماعات البشرية، التي عمرت منطقة التاسيلي نازجر على وجه التخصيص ومنطقة شمال إفريقيا على وجه التعميم خلال فترة ما قبل التاريخ وفجره، كما أنه يعد بمثابة شاهد مكمل للبحث الأثري والتاريخي بالمنطقة في ظل غياب الشواهد المكتوبة التي تعود إلى هذه الفترة.

تعود أسباب اختيار الفن الصخري كمصدر لدراسة ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية لسكان فترة ما قبل التاريخ وفجره، كونه يعد بمثابة دليل مادي قاطع ضارب في عمق التاريخ حول منجزه خلال

مرحلة غابت عنها كل الشواهد المكتوبة، كما أن معظم الدراسات التي كتبت عن هذه المنطقة تجاوزت أهم حلقة من تاريخها ونسبت أصول تراثها إلى الحضارات الأجنبية الوافدة، فكانت لنا رغبة ملحة للخوض في البحث حول الجذور التاريخية المحلية من خلال هذا الموروث.

تربطنا في الحقيقة إلى جانب ما ذكرناه حول أسباب اختيار الموضوع، علاقة فضول علمي حول قضية الفن الصخري نشأت أولى ملامحه منذ أيام الليسانس سنة 2013/2014م، التي تكلفت بالبحث فيه من خلال مذكرة الماستر سنة 2016م، تمكنا من خلالها الإلمام بجوانب هذا الموروث إضافة إلى جمع قدر هام من البيبليوغرافيا العلمية، التي مكنتنا من بناء إشكالية انطلقت منها هذه الدراسة التي بين أيدينا.

يعود السبب في اختيار منطقة التاسيلي نازجر كنموذج لهذه الدراسة إلى كونها تحتل مكانا مركزيا يتوسط الصحراء كما أسلفنا الذكر، لتشكل بذلك حلقة اتصال بين الجماعات البشرية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، ما جعلها تحظى بأكبر قدر من المشاهد الصخرية من رسوم ونقوش وكتابات صخرية، حيث تعد بمثابة سجل جامع لكل أصناف المشاهد الصخرية المنتشرة عبر مختلف المواقع الأثرية لهذا الموروث عبر شمال إفريقيا، وبالتالي فإن دراسة المشاهد الصخرية بالتاسيلي نازجر تتيح إمكانية تعميم بعض النتائج على بقية المواقع المشابهة بشمال إفريقيا عامة.

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذا البحث حول دراسة مدى قدرة المشاهد الصخرية في تحديد مختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية لسكان منطقة التاسيلي نازجر خلال الفترة التي تنتهي إليها، والبحث في إمكانية اعتبارها بمثابة كتابة تصويرية مهدت لظهور الكتابة المحلية لاحقا.

نسعى من خلال هذا البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف العلمية المنشودة من خلال:

- محاولة تحديد مفهوم الفن الصخري، وكيفية استقرار ما تحمله مشاهده من معلومات حول الجانب الاجتماعي والثقافي لفترة ما قبل التاريخ وفجره، بمنطقة التاسيلي نازجر.

- توضيح أهمية الجوانب البيئية والطبيعية في تحديد نمط النشاط البشري، ومدى تأثيرها على حالة حفظ اللقى الأركيولوجية وعلى رأسها مشاهد الفن الصخري، من أجل الوقوف على جوانب التلف التي من شأنها التأثير على حقيقة المعلومات المستنبطة من هذا الموروث الحضاري.
  - الوقوف على طبيعة العلاقة التي تربط بين المشاهد الصخرية والكتابة الليبية ومحاولة إيجاد نقاط صلة بين الإثنين، من أجل إثراء المعرفة حول الجانب الثقافي لمنجزها.
  - مقارنة نتائج دراسة المشاهد الصخرية وما تمنحه من معلومات حول الحياة الاجتماعية والثقافية لمنجزها مع أبعاد ومفهوم مصطلح الفن الصخري.
  - محاولة تعميم ما توصلنا إليه من نتائج على بقية مواقع الفن الصخري عبر كافة شمال إفريقيا، بناءً على اتجاهات الهجرة والتحركات البشرية وعلاقتها بالمناخ والبيئة من جهة، وبناءً على تشابه المشاهد بين مختلف المواقع من جهة ثانية.
- اعتمدنا في كتابة هذا البحث على منهج تاريخي وصفي ذي جوانب تحليلية استنباطية مقارنة، يسمح بمقارنة ما تتضمنه المشاهد الصخرية مع المواصفات البيئية والمناخية للمرحلة التي تنتهي إليها، وجوانب تحليلية استنباطية لمعالجة المعلومات المتاحة واسقاطها على أرض الواقع بما يتناسب مع المجتمعات التي أنجزت هذا الموروث والوقوف على مميزاتها الثقافية، بغية الوصول إلى إجابات مقنعة حول الإشكالية المطروحة، وتقديم تعليقات منطقية لها، إضافة إلى محاولة تحقيق الأهداف العلمية المذكورة.
- استندنا لهدف الإلمام بالموضوع ومعالجة إشكاليته إلى عدد من المصادر الكتابية المتمثلة فيما قدمته الكتابات اللاتينية حول المنطقة خلال الفترة القديمة، ومقارنتها مع ما صورته المشاهد الصخرية حول الملامح الاجتماعية لمنجزها، نذكر من بينها الكتاب الرابع للمؤرخ الإغريقي هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) الذي تحدث عن القبائل الليبية وعن عاداتهم، ملابسهم ونمط معيشتهم، إضافة إلى ما كتبه سترابون (60 ق.م- 20 م) في مؤلفه الجغرافيا حول المناطق وموارد المياه وتسميتها،

وما ذكره بليبي الأكبر في كتابه التاريخ الطبيعي حول الطرق الصحراوية، يضاف إليها المعلومات التي ذكرتها النقوش المصرية حول المنطقة وسكانها.

اعتمدنا أيضا على عدد من المراجع وتقارير الأبحاث الأثرية والمواقع الإلكترونية الأكاديمية من أجل التزود بالخرائط، وبعض المعاجم لشرح المصطلحات العلمية والأركيولوجية، حيث تنوعت المراجع بين الطبقات القديمة التي تعتبر رئيسية على غرار ما قدمه كل من: غابريال كامبس (Camps. G) في عدد من مؤلفاته أهمها: Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara، ستيفان غزال (Gsell. St) في مؤلفه: Histoire ancienne de l'Afrique du nord، مليكة حشيد (Hachid. M) في كتابها بعنوان: Le Tassili des Ajjer : Aux sources de l'Afrique 50 siècles avant les pyramides إضافة إلى ما قدمه سليمان حاشي، سالم شاكور، ليونال غالون وغيرهم حول الكتابة الليبية البربرية.

تطرقنا كذلك لعدد من المؤلفات ذات الطبقات الحديثة نذكر من بينها ما قدمه كل من: إبراهيم العيد بشي في كتابه الذي نشره في أربعة أجزاء ما بين سنة 2008 / 2009م: تاسيلي-ناجر الأزمنة الجيولوجية والمؤشرات الحضارية والعوامل الطبيعية المكونة للمنطقة، ج1، جون لويك لوكلاك (Le Quellec. J. L) في مقال قدمه سنة 2011 تحت عنوان: «Arts rupestres écritures et protoécritures en Afrique : L'exemple du libyque» وغيرها من المراجع التي استطعنا بواسطتها معالجة هذا الموضوع، وبناءً على ما تحصلنا عليه من معلومات ارتأينا تقسيم هذا العمل إلى خمسة فصول:

خُصص الفصل الأول لدراسة البنية البيئية والجغرافية بكل تفاصيلها لمنطقة التاسيلي نازجر، حيث استهل الفصل بالتعريف بجغرافية المنطقة مع تحديد بنيتها الجيولوجية والمورفولوجية والتضاريسية، ثم تطرقنا لدراسة المناخ القديم والحديث نظراً للتأثير الكبير الذي يلعبه هذا العامل على مستوى الاستقرار البشري وحالة حفظ المشاهد الصخرية واللقى الأثرية، مع تحديد الغطاء

النباتي والحيواني خلال المرحلة القديمة والحديثة ومقارنتها مع ما تحمله مشاهد الفن الصخري، من أجل تحديد توزيع أماكن الاستقرار البشري تماشياً مع الظروف المناخية خلال كل مرحلة.

رُكِّز الفصل الثاني على دراسة التركيبة السكانية لمنطقة التاسيلي نازجر والصحراء الوسطى خلال مرحلة ما قبل التاريخ، وملامح الحضارة البشرية بالمنطقة منذ حقبة البلايستوسين، مع التركيز على الفترة النيوليتية والنقطة النوعية التي جعلت من الإنسان ساكن المنطقة يتحول من مجرد صانع إلى إنسان معبر من خلال ما خلفه من مشاهد دالة على ماضيه بمختلف تفاصيله، مع تحديد مراكز التحركات البشرية والهجرات الجماعية أسبابها واتجاهاتها، وأسهماتها في انتشار الفن الصخري عبر شمال إفريقيا.

خُصِّص الفصل الثالث لمعالجة منهجية دراسة الفن الصخري من حيث المفهوم، تاريخ الاكتشاف وكونولوجية تأريخه، إضافة إلى أساليب وتقنيات إنجاز الرسوم والنقوش الصخرية، مدى أهمية هذا الموروث في التأريخ لمعمري المنطقة خلال فترتي ما قبل التاريخ وفجره، مع تحديد مظاهر التلف التي لحقت بالمشاهد الجدارية بمنطقة الدراسة، وطرق الصيانة والوقاية لحماية هذا الموروث من التلاشي، ينتهي الفصل بمناقشة تتحدث عن مدى تعبير مصطلح الفن الصخري مع ما يحمله من معاني ومعلومات تاريخية.

يتحدث الفصل الرابع عن الملامح الاجتماعية لمنجز الفن الصخري بمنطقة التاسيلي نازجر، من خلال تحليل اللوحات التي تحمل سمات الجماعات البشرية من حيث نوعية الملابس والحلي وقصات الشعر المختلفة، مشاهد الأسرة مع تحديد مواصفات أفرادها كل فئة على حدى على غرار: مشاهد الرجال، مشاهد المرأة والأطفال، الأعمال الجماعية كالرعي والصيد ومظاهر التعبد والصراع والأسلحة وغيرها.

يركز الفصل الخامس على الجانب الثقافي من خلال دراسة الرموز من حيث الدلالات، المعاني، المشاهد التي ترافقها، الصلة التي تربطها بالمشاهد الصخرية ومشاهد الكتابة، كما يركز هذا الفصل

على دراسة الكتابة الليبية البربرية بأنواعها الشمالية: الشرقية والغربية، والكتابة الصحراوية القديمة والحديثة، من حيث تاريخها، أصولها، مميزاتها العامة، كرونولوجية تأريخها وأماكن انتشارها وتأثير اللغة على شكل ونطق الحروف، كما خُصص آخر عنصر لمناقشة عامة حول إمكانية امتداد الكتابة الليبية البربرية لمشاهد الرسوم والنقوش الصخرية، ومدى إمكانية اعتبار المشاهد الصخرية بمثابة مرحلة تمهيدية لظهور الأبجدية.

تضمنت الخاتمة جملة من الاستنتاجات والتفسيرات للظاهرة المطروحة ضمن هذه الدراسة، التي تتناول نمط الحياة الاجتماعية والثقافية التي انتهجتها الأقوام المسؤولة عن انجاز مشاهد الفن الصخري، مع إبراز مدى أهمية الاهتمام بالبحث في هذا الموروث الحضاري لكتابة الحلقة الناقصة من تاريخ المنطقة بكل موضوعية استناداً لهذا السجل القاطع في الحدث التاريخي.

# الفصل الأول

دراسة جغرافية وبيئية لمنطقة التاسيلي نازجر

## تمهيد

تلعب المميزات البيئية بما فيها الموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ، دورا أساسيا في صنع وتحديد المظهر العام لسطح الأرض، ولذلك تعتبر هذه المميزات عوامل أساسية متحكمة في توزيع مناطق انتشار الكائنات الحية النباتية والحيوانية بما فيها الإنسان، لعل هذا ما يفسر التباين في توزيع كثافة الاستقرار البشري إضافة إلى التباين في نوعية الفصائل النباتية والحيوانية بين المناطق.

مرت الصحراء الوسطى وضمنها منطقة التاسيلي نازجر بجملة من التحولات الجيولوجية والمناخية عبر الزمن، كان لها الدور البارز في تحديد مظهر السطح، وتحظى دراسة الموقع الجغرافي بأهمية كبرى في تحديد طرق التنقلات والهجرات وأماكن الاستقرار البشري.

تقدم دراسة التضاريس والبنية الجيولوجية تفسيرات منطقية لهذه التنقلات وتضعها ضمن إطار كرونولوجي تقريبي، في حين تساهم دراسة المناخ القديم والحالي في تقديم تعليقات منطقية لطبيعة تفاعل الإنسان مع بيئته ونمط تفكيره، وعوامل حفظ أو اتلاف المخلفات الأثرية التي من شأنها التأريخ لمعمري المنطقة السابقين، إذ لطالما شكل الوسط الطبيعي حلقة وصل بين الجانب التاريخي والجانب الحضاري الذي كثيرا ما يتحدد به ماضي الإنسان ومستقبله.

ركزنا ومن أجل الإحاطة بالموضوع قيد الدراسة خلال الفصل الأول على التعريف بالإطار البيئي لمنطقة التاسيلي نازجر بمختلف مميزاته الطبيعية عبر المراحل التاريخية المتعاقبة.

## 1- الموقع الجغرافي لمنطقة التاسيلي نازجر

تقع منطقة التاسيلي نازجر جنوب شرق الجزائر<sup>1</sup> على بعد 600 كلم شمال غرب ولاية تمنراست<sup>2</sup>، لا يمكن تحديد أبعادها بدقة وذلك لأنها ذات شكل متعرج تضيق حدودها وتتسع على طول السلسلة<sup>3</sup>، وعلى العموم يكمن القول أنها تشغل المساحة المحصورة بين دائرتي عرض 21° و 28° إلى غاية 30° شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 5° و 10° إلى غاية 20° أحيانا شرق خط غرينيتش<sup>4</sup>، وعليه تربع على مساحة تفوق 120000 كلم<sup>2</sup> في قلب الصحراء الوسطى<sup>5</sup>، وتشمل هذه المنطقة الهضاب الصخرية المسماة بالتاسيلي والكثبان المحيطة بها، ويعد الباحث كونراد كيليان (Conrad Kilian) أول من نشر رسمًا تخطيطيًا لمعالم التاسيلي والهقار والنطاق الذي يحيط بهما سنة 1922 م<sup>6</sup>.

تحدد منطقة التاسيلي نازجر من الناحية الطبيعية بعرقى إسوان وبورحات من الشمال، أما من الجنوب والجنوب الشرقي فيحدها واد تافاساست وعرقى تيموداين وأدمر، ورقي تينيري وإن تافاساست<sup>7</sup>، وعلى الطرف الجنوبي الغربي تظهر مرتفعات أدرار البركانية<sup>8</sup>، أما من الناحية الشرقية فيحد المنطقة كثبان رملية ليبية في مناطق تادارات، تين مرزوقة، عرق وان كارا على الحدود الليبية الجزائرية الممتدة على طول هضبة مساك ملت إلى منطقة تيهي نا أناي ثم منطقة تين الكوم وتراث

<sup>1</sup>- C. Haardet. (1991), « A la découverte du Tassili N'Ajjer », Courrier de l'Unesco, France, P : 38.

<sup>2</sup> - O. P.N. T. (2009), « Hoggar-Tassili », Courrier du Ministère de la Culture, BP. 11, Algérie, P : 22.

<sup>3</sup>- إبراهيم العيد بشي. (2008)، تاسيلي-ناجر الخصائص الطبيعية والبنية الجغرافية، ج 1، ط 1، دار الحبر، الجزائر، ص: 82.

<sup>4</sup> - A. Cailleux. (1974), « Mesure simple de libéro en géographie », *Annales de géographie*, PP : 569-570.

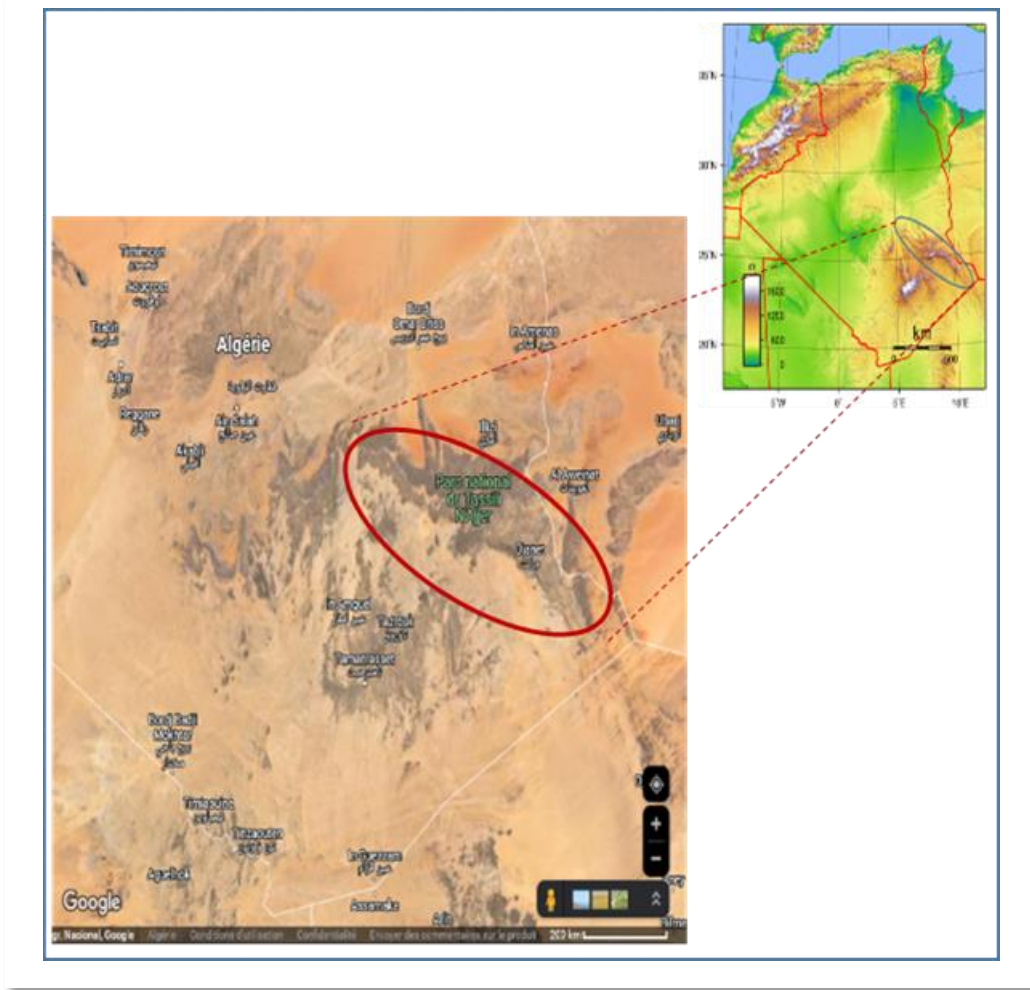
<sup>5</sup> - O. P. N. T., 2009, op.cit., P : 22.

<sup>6</sup> - M. Cote. (1957), « Quelques aspects de la morphologie de l'Ahaggar », *Revue de géographie de Lyon*, T32, N°4, France, P : 321.

<sup>7</sup> - G. P. Barry. (1991), « Bioclimat et végétation des montagnes du Sahara central et du Sahara occidental », *Revue de géographie alpine*, T79, N°1, France, P : 57.

<sup>8</sup>- بشي، ج 1، المرجع السابق، ص: 83.

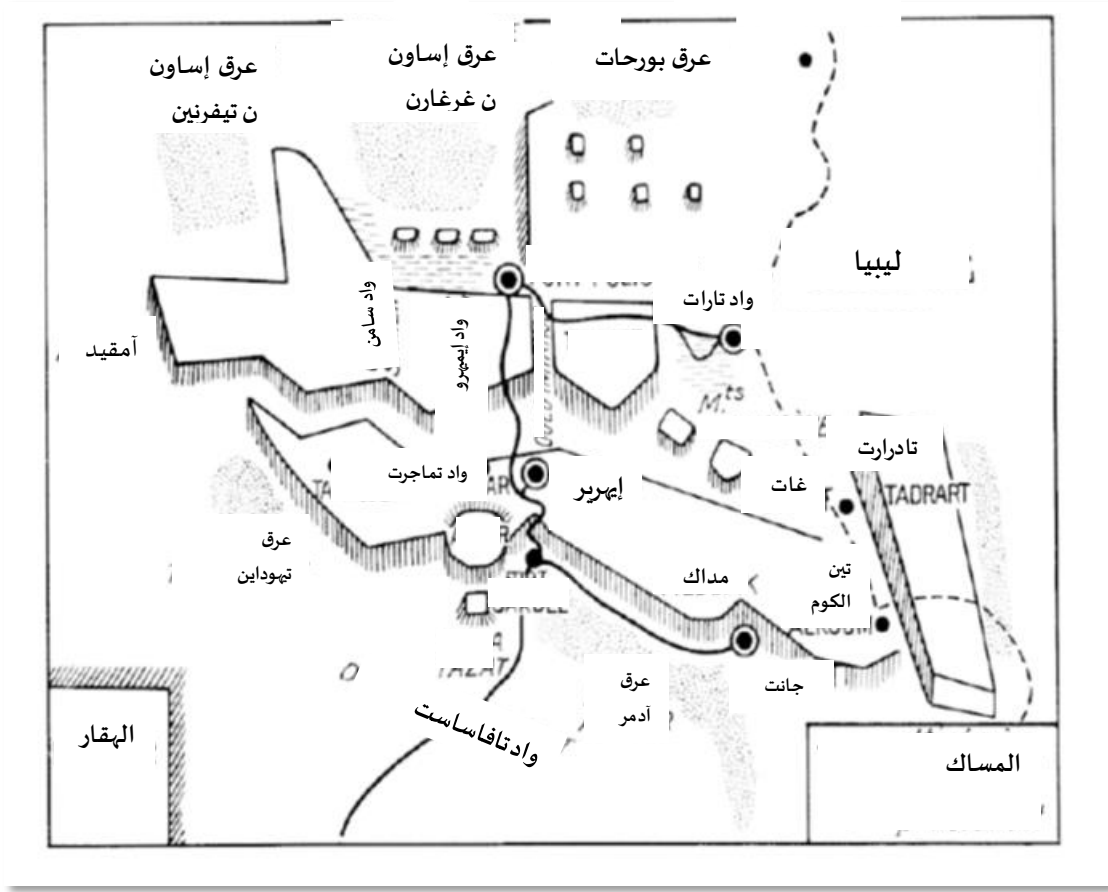
شمالا في الأراضي الجزائرية، ومن الناحية الغربية حدود ولاية تمنراست ومن الجنوب الشرقي الحدود الجزائرية النيجيرية<sup>1</sup>.



شكل 1: الموقع الفلكي لمرتفعات التاسيلي نازجر

المصدر: Google Earth

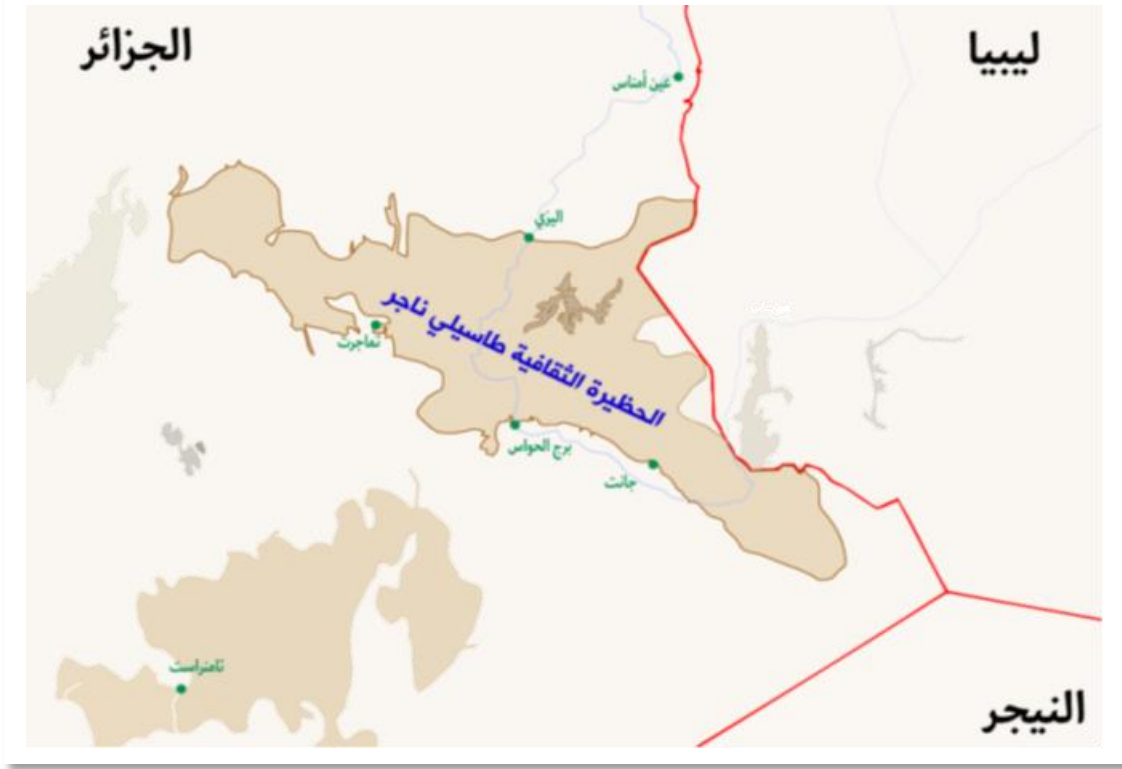
<sup>1</sup> - عبد الجبار عباسي. (2005/2004)، «الكتابات الليبية البربرية في إطار الفن الجداري الصحراوي: دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي والأثري بالتاسيلي نازجر»، أطروحة لنيل درجة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص: 11.



شكل 2: مقطع طبوغرافي يوضح الحدود الطبيعية لمنطقة التاسيلي  
المصدر: Cote, 1957, P:324. (بتصرف)

حُددت مرتفعات التاسيلي من قبل الهيئة العالمية لحفظ التراث سنة 1972 م على شكل محمية تمتد داخل حدود الأراضي الجزائرية على مساحة 4000 كلم<sup>2</sup>، حيث تم تصنيفها ضمن التراث العالمي من طرف منظمة اليونسكو ابتداء من 1982 م، كونها تجمع بين الموروث الثقافي والطبيعي نظرا لثرائها باللقى الأثرية التي توضح طبيعة العلاقة الوطيدة بين معمرها وبيئتهم المحيطة، وفي سنة 1987 م تم توسيع المحمية لتغطي حوالي 80000 كلم<sup>2</sup>، ثم خلال سنة 2009 م أصبحت الحاضرة الوطنية للتاسيلي

نازجر تغطي كافة المساحة المقدرة ب 138000 كلم<sup>2</sup> لتشمل بذلك الكتل الصخرية والرق والعروق التالية: آدمر، الناهيف، عبادة أجران، تموداين، أمادقور<sup>1</sup>.



شكل 3: خريطة جغرافية توضح امتداد محمية التاسيلي نازجر داخل الأراضي الجزائرية

المصدر: Google Earth

تحتوي منطقة التاسيلي نازجر على عدد كبير من المواقع الغنية بالنقوش والرسوم الصخرية، من بينها واد جرات أهم وأشهر موقع بالصحراء الوسطى، إضافة إلى موقع صفار، جبارين، واد تماجرت، إيدراران، إهرير، أونورحات وغيرها، وقد أصبحت تسمية التاسيلي تعني منطقة محددة ذات شهرة ارتبطت بمشاهد الفن الصخري<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - O.P.N.T, 2009, op.cit., PP : 22-23.

<sup>2</sup> - E. Bernus. (1991), « Montagnes Touarègues : Entre Maghreb et Soudan : Le fuseau Touarègue », *Revue de géographie alpine*, T79, N°1, 1991, France, P : 116.

يشير الباحث لوكلاك (Le Quellec. J. L) من الناحية الإثنية إلى أن سكان المنطقة من الطوارق يعتبرون تادارات أكاكوس الممتدة بالأراضي الليبية إنما هي امتداد لإقليم التاسيلي الذي يشكل الموطن الأصلي لهم وأنه لا علاقة لهؤلاء بإقليم فزان<sup>1</sup>.

تعددت من جهة ثانية الفرضيات فيما يتعلق بالمعنى المقصود من تسمية التاسيلي نازجر، فهي مقسمة إلى قسمين كلمة تاسيلي: تعني في علم أشكال الأرض هضبة رملية واسعة الامتداد متقطعة بشبكة من الأودية وتنتهي بجمية شديدة الانحدار<sup>2</sup>، كما يشار بها إلى السلسلة الجبلية التي يغطيها السواد وتلفظ "تايسا-Taessa"، أما كلمة نازجر: التي تلفظ "نازقر-N'azgar" فهي مفردة تداولها الفرنسيون بعدما نقلوها لأول مرة عن الأب "دو فوكو" بلفظة "ناجر" أو "أجير"، التي تعني بالطارقية جلد الثور المسلوخ أو رأس الأقرع<sup>3</sup>، ومن وجهة نظر أخرى يرى عدد من الباحثين على غرار هنري لوت (Lhote. H)، وكبو راي (Capot ray)، إضافة إلى الباحث لوراد (Leredde. C)، أن معنى مفردة: نازجر تدل على الأغلب على بحيرة أو نهر أو مصدر مياه معين<sup>4</sup>.

يشير أحد أعيان ومواطني مدينة جانت المدعو أمالو عبد القادر سيدي الشيخ بخصوص تسمية تاسيلي نازجر أنها ارتبطت قديما في لغتهم التمهاق بأراضي قبائل البدو كيل، حيث كان هنالك فئتين من القبائل البدوية: فئة استقرت بالهقار نواحي تمنراست تسمى كيل أهقار، والفئة الثانية استقرت بالجهة المقابلة بالتاسيلي تدعى كيل أزجر، كما تعني تسمية "أزجر" الأراضي وتشير تسمية

<sup>1</sup> - J. L. Le Quellec. (1998), *Art Rupestre et Préhistoire du Sahara. Le Messak*, Payot, Paris, 1998, P : 68.

<sup>2</sup> - حمد الطفيلي. (1994)، *معجم المصطلحات الجغرافية*، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص: 143.

<sup>3</sup> - بشي، ج1، المرجع السابق، ص: 84.

<sup>4</sup> - C. Leredde. (1957), *Etude Écologique et Phytogéographique du Tassili et Nil*, T2, Travaux l'IRIS, Alger, P : 47.

"أزجر نازجر" للأراضي المقابلة، وبذلك ارتبطت تسمية تاسيلي نازجر بالقبائل التي استقرت بأراضي التاسيلي المقابلة لأراضي الهقار<sup>1</sup>.

## 2- تضاريس المنطقة

تضافرت العديد من العوامل الطبيعية التي ساهمت في تحديد شكل سطح المنطقة المسماة بالتاسيلي نازجر، التي تظهر على شكل مجموعة من الكتل المنعزلة تتكون من هضاب صخرية جرداء ذات لون داكن وجبال شاهقة الارتفاع<sup>2</sup>، بمعنى أنها لا تتوزع في شكل سلاسل جبلية على غرار الأطلس التلي والصحراوي وإنما تتوزع في شكل كتل فردية متقطعة، تتكون من صخور قديمة النشأة من نوع الغرانيت، الشيست والحجر الرملي والكلسي، تشكلت خلال العصور الجيولوجية بفعل الحركات التكتونية: تأرجحات جيولوجية، ثورات بركانية، انخفاض وارتفاع درجات الحرارة، الرياح، الأمطار والسيول وما ينتج عنها من ترسبات<sup>3</sup> (أنظر الشكل 4).

تشكلت بفعل جل هذه العوامل المذكورة هضاب صخرية وجبال رسوبية وأخرى من الكوارتز والبازلت<sup>4</sup>، تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على اتساع يفوق 700 كلم، وعرض يتراوح ما بين 100 كلم و300 كلم وارتفاع ما بين 500 م و2000 م، تبدأ من منطقة أمقيد بالحدود الشمالية الشرقية لولاية تمنراست إلى الحدود الجزائرية الليبية النيجيرية جنوبي منطقة مساك ملت<sup>5</sup>، وتتمثل أهم هذه المناطق الجبلية فيما يلي: سلسلة هضاب الناهيف الممتدة بين الشمال الغربي للتاسيلي إلى غاية الجنوب حيث منخفض سروانوت الذي يفصل بين الهقار والنازجر، منطقة تانزروفت التي تقع بين

<sup>1</sup> - مقابلة مع السيد. أمالو عبد القادر سيدي الشيخ. (2023/10/16)، أحد أعيان ومواطني مدينة جانت، «معنى تسمية تاسيلي نازجر»، ولاية جانت، (أذن بنشرها).

<sup>2</sup> - بشي، ج1، المرجع السابق، ص: 133.

<sup>3</sup> - Bernus, 1991, op.cit., P : 117.

<sup>4</sup> - بشي، ج1، المرجع السابق، ص: 145.

<sup>5</sup> - Haardt, op.cit., P : 39.

آهناات ومرتفعات أدرار الإيفوراس، هضبة أمادور تمتد ناحية شمال الأتاكور، كتل آهناات التي تتخذ شكل حذوة الفرس وتمتد من شمال غرب الهقار إلى غاية منطقة أمقيد جنوب التاسيلي، التاسيلي الناجر التي تمتد من واد إغرغارن إلى غاية فزان بليبيا، وهنالك من الطوارق من يعتبر مرتفعات تاردرارت أكاكوس امتدادا لمرتفعات التاسيلي نازجر<sup>1</sup>.



شكل 4: صورة توضح شكل الكتل الصخرية لمرتفعات التاسيلي نازجر  
المصدر: Haardt, 1991, p. 38.

<sup>1</sup>- E. F. Gauthier. (1928), Mission au Sahara, Sahara algérien, T1, librairie- Armand colin, Paris, PP : 14-15.

تمتاز تضاريس التاسيلي بكثرة الأخاديد العميقة والمنحدرات الحادة، وكتل صخرية شديدة الانحدار يتعدى ارتفاعها 20 م إلى 30 م، تتخللها وديان نحتتها المياه خلال الفترات القديمة في الكتل الصخرية تمتاز بعمق هام يصل إلى 200 م-300 م أو ما يزيد، معظمها يجري من الجنوب إلى الشمال<sup>1</sup>. يضاف إلى أخاديد التاسيلي سهول شاسعة تغطيها كميات كبيرة من الرمال على شكل كتبان يتراوح ارتفاعها ما بين 100-450 م أو أكثر مثل سهلي أمدور (Amador) وأدمير (Admir)، بعضها قديمة التكوين وبعضها حديثة تسمى العروق<sup>2</sup> على غرار عرق أدمر (L'erg d'Admer) الذي يغطي سهل أدمير من الناحية الشرقية وسمي على اسمه<sup>3</sup>، إضافة إلى عرق الناهيف (L'anahef) الذي يتكون من مزيج بين الكتبان الرملية والصخور الغرانيتية الضخمة، عرق تينيري (Tiniri) الذي يقع جنوب الناهيف وهو عبارة عن منطقة قاحلة تتكون من جملة من القمم الصخرية المتفرقة يكثر فيها الحصى المشمع وتحتوي أعماقها على ثروات معدنية هامة من الحديد والنحاس والفوسفات واليورانيوم وغيرها<sup>4</sup>.

تقع جملة العروق المذكورة سابقا في أغلب الأحيان بين أحواض صخرية كبرى تغوص وتختفي فيها معظم الأودية، كما أن هذه الأودية الجافة كانت خلال العصور الممطرة القديمة تصب في أحواض مغلقة فتحمل المياه الحصى والرمال وترسيها في قعر هذه الأحواض ومع مرور الزمن أصبحت هذه الرواسب تخنق مصبات الأودية ما جعلها تشق مجاري جديدة، ومع موجة الجفاف التي شهدتها المنطقة إضافة إلى عوامل التعرية اتخذت الصحراء شكلها النهائي مع نهاية العصر الحجري الحديث، وعلى العموم يمكن القول أن منطقة التاسيلي ترتبع على أهم جزء من الصحراء الكبرى<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - Cote, 1957, op.cit., P : 322.

<sup>2</sup> - عباسي، المرجع السابق، ص: 12.

<sup>3</sup> - Leredde, 1957, op.cit., P : 40.

<sup>4</sup> - بشي، ج1، المرجع السابق، ص: 148-152.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 133-138.

## 3- البنية الجيولوجية للمنطقة

أجمعت الإشارات الجيولوجية على أن أهم تكويناتها الطبقيّة بالجزائر تقع جنوبا في المناطق الصحراوية، حيث تشير بعض النظريات الجغرافية والجيولوجية للمدرسة الفرنسية أن الأحواض الصحراوية كانت تشكل في العصور القديمة بحرا داخليا، على الأرجح أنه بحيرة الكبيرة التي تحدث عنها هيرودوت<sup>1</sup>، يتصل هذا البحر الداخلي بثلاثة منافذ تربطه بالبحار المجاورة: واحد يربطه بالبحر المتوسط شمالا عبر مجرى نهر الشلف والثاني يؤدي إلى خليج قابس شرق تونس عبر شط فجاج، وآخر يربطه بالمحيط الأطلسي غربا عبر ممر تازة، ومع مرور الزمن جفت معظم أجزاء البحيرة الداخلية وبقي بعضها في شكل أحواض وشطوط<sup>2</sup>، وفي ذات الصدد أشار الباحث الفرنسي غوتيه (Gauthier) على أن الصحراء الجزائرية تحتوي على مخزون هام من الملح<sup>3</sup> لعل هذا ما يحمل على الاعتقاد بأن الصحراء كانت فيما مضى بحرا داخليا لم يبق منه إلا الملح والرمال<sup>4</sup>، حيث تنتشر حاليا مناجم الملح على طول الطريق الممتدة ما بين منطقة أمقيد إلى غاية عين صالح مرورا بواحة تماسين المعروفة بطريق الملح<sup>5</sup>. تتكون البنية الجيولوجية لمنطقة التاسيلي نازجر من عدة طبقات رسوبية منتظمة فوق بعضها تعود إلى الزمن الجيولوجي الأول (الباليوزويك)<sup>6</sup>، تستند هذه الطبقات على قاعدة بلورية تعود إلى مرحلة ما قبل الكامبري أي في حدود 600 مليون سنة، التي يرجح أن أرضيتها نشأت واستقرت في حدود 700 مليون سنة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - هيرودوتس. (1967)، الكتاب الرابع، ترجمة علي فهدى خشيم، نصوص ليبية، دار الفكر، الفقرتين: 178-179.

<sup>2</sup> - إبراهيم العيد بشي. (2009)، تاسيلي-ناجر تاريخ الاستقرار البشري في المنطقة، ج 3، ط 1، دار الحبر، الجزائر، ص: 16.

<sup>3</sup> - Gauthier, 1928, op.cit., P : 196.

<sup>4</sup> - إبراهيم العيد بشي. (2008)، تاسيلي-ناجر الأزمنة الجيولوجية والمؤشرات الحضارية والعوامل الطبيعية المكونة للمنطقة، ج 2، ط 1، دار الحبر، الجزائر، ص: 14-15.

<sup>5</sup> - بشي، ج 1، المرجع السابق، ص: 135.

<sup>6</sup> - Cote, 1957, op.cit., P: 323.

<sup>7</sup> - Barry, 1991, op.cit., P: 58.

يصل ارتفاع مجمل هذه الطبقات إلى 1080 م-1900 م تمتد من إيليزي نحو الجنوب الشرقي إلى غاية جانت على الأراضي الجزائرية، وتستمد هذه الطبقات حجمها من سمك الرواسب البركانية والطينية المكونة لها التي يتناقص سمكها كلما اتجهنا من الشمال نحو الجنوب، إذ يصل سمك الطبقات السفلى إلى 500 م شرق التاسيلي نازجر في حين لا يتعدى سمكها 100 م ناحية الجنوب ويعود هذا التفاوت الطبقي إلى فترة ما قبل الكامبري، حيث يتشكل تفاوتاً ملموساً على مستوى ارتفاع كتل التاسيلي كلما اتجهنا من الغرب نحو الشرق مثل: تاسيلي أسجراد: 500 م، تاسيلي أهناث: 1000 م، تاسيلي إيميدير: 1600 م، تاسيلي نازجر: 1900 م<sup>1</sup>.

تتكون كتل التاسيلي من صخور ذات حبيبات بلورية ناشئة عن الصهارة البركانية، وصخور أخرى ذات طبيعة جيوية رسوبية، وتدلل الدراسات الجيولوجية كما أسلفنا الذكر على أن الصحراء كانت عبارة عن بحر داخلي أو بحيرة كبيرة في حدود 230-250 مليون سنة ثم تغيرت طبيعتها بفعل العوامل التكتونية<sup>2</sup>.

شهدت المنطقة الصحراوية خلال نهاية الزمن الجيولوجي الثاني أي في حدود الفترة الممتدة ما بين 50-170 مليون سنة حركات فارسية<sup>3</sup> نتج عنها ارتفاع الجبال والهضاب نحو الأعلى، كما عرفت هذه الفترة تكوينات متتابعة من الصخور الطينية والرملية والجبس والجير والملح الصخري، إضافة إلى تشكل خامات الحديد والذهب والفوسفات والبتروال والغاز الطبيعي، ومع بداية الزمن الجيولوجي الثالث حدثت عدة ثورات بركانية بدأت منذ مرحلة الميوسين في حدود 25 مليون سنة واستمرت إلى غاية الربع الأول من الزمن الجيولوجي الرابع (Le Quaternaire)، أين تشكلت الكثبان الرملية التي

<sup>1</sup> - Cote, 1957, op.cit., P: 324.

<sup>2</sup> - Barry, 1991, op.cit., P: 57.

<sup>3</sup> - الحركات الفارسية: عبارة عن تصدعات في الصفائح التكتونية للأرض بفعل الضغط الذي تحدته الزلازل بين هذه الطبقات، ينظر: ح. الطفيلي، 1994، المرجع السابق.

تغطي مساحات شاسعة من الصحراء الجزائرية على غرار العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، كما تشكلت بعض الانكسارات التي تسببت في طفوح الالافا في مرتفعات الهقار<sup>1</sup>.

تعرضت التضاريس إلى عملية التآكل والتعرية بفعل عوامل المناخ منذ حوالي 2 مليون سنة، لتتخذ بذلك مجمل الكتل الصخرية بالصحراء الوسطى بما فيها مرتفعات التاسيلي المظهر الأخير لها الذي تشهده في الوقت الحالي، نتج عن هذه العملية جبالا وهضابا صخرية ضاربة في العمق تحت سطح الأرض<sup>2</sup>، وانطلاقا من هذه المعطيات قسم الجيولوجيون التاسيلي إلى ثلاثة أقسام تمتد من الجنوب إلى الشمال على النحو التالي:

### 1.3 التاسيلي الداخلي (Tassili interne)

يقع بمحاذاة جانت على شكل صخور داخلية ذات شريط شديد الانحدار<sup>3</sup> يفوق علوها 500 م، تتكون من الحجر الرملي وتتخللها تكوينات طينية متصلبة ناتجة عن ترسبات مائية نهريّة أو بحرية، يعود تاريخ تكوينها إلى فترة الكمبري الأردوفيسي ما بين 440-600 مليون سنة تظهر بشكل واضح ومباشر ككتل عملاقة على مستوى العروق مثل: ناما جارت، ديدر، وفي أخاديد مثل: إيدراران وإمبيرير بالشمال الغربي للتاسيلي<sup>4</sup>.

### 2.3 الأخدود الوسطي (La Dépression intra-Tassilienne)

عبارة عن صخور ذات طبيعة كلسية تغلب عليها صخور الشيست تعلوها طبقات من الحجر الرملي ذات سمك متوسط لا يتعدى 400 م، تلي مباشرة التاسيلي الداخلي ويعود تكوينها إلى زمن السيلوري منذ حوالي 420 مليون سنة، تشكل حلقة وصل بين التاسيلي الداخلي والخارجي وتظهر

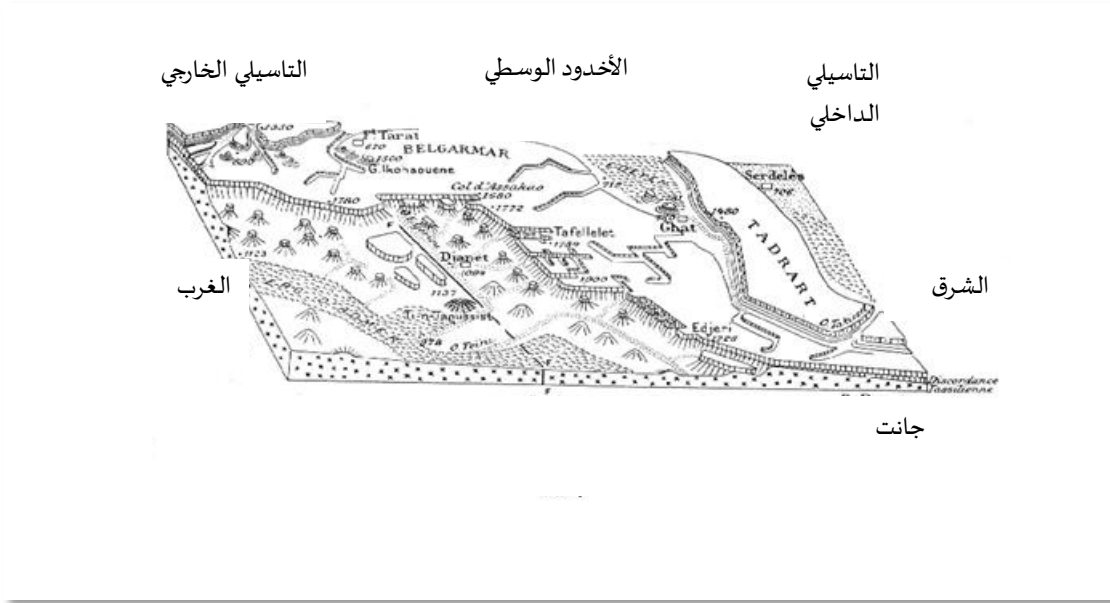
<sup>1</sup> - Barry, 1991, op.cit., P : 57.

<sup>2</sup>- Ibid., PP : 57-58.

<sup>3</sup>- R. Perret. (1936), « Recherches archéologiques et ethnographiques au Tassili des Ajjeres (Sahara Centrale), les gravures rupestres de l'Oued Djerat la population et les ruines d'Iherirs », *Journal de la société des Africanistes*, N°1, France, P : 43.

<sup>4</sup> - Cote, 1957, op.cit., P: 322.

بوضوح في المناطق التالية: إن آران، تين الغادة، أركين في الجنوب الشرقي للتاسيلي، وتصب في هذا الأخدود معظم أودية التاسيلي الداخلي<sup>1</sup>.



شكل 5: البنية الجيولوجية للتاسيلي في الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة إيليزي

المصدر **R. Perret. (1935)**, « A travers le pays Ajjer, itinéraire de Fort-Flatters à Djanet », *Annales de géographie*, T44, N°248, France, P :611. (بتصرف)

### التاسيلي الخارجي (Tassili externe)

يعود تاريخ تكوينه إلى مرحلة السيلوري الأعلى والديفوني الأسفل أي في حوالي 420 مليون سنة إلى 390 مليون سنة، يعلو مباشرة الأخدود الوسطي وهو متوضع بشكل عرضي في الناحية الجنوبية ويضيق باتجاه الشمال، يمتاز بحواف متتالية ومنحدرات يتراوح سمكها ما بين 200 م و300 م<sup>2</sup>، أما من حيث البنية الجيولوجية فهو يتكون أساساً من الحجر الرملي، تتخلله فجوات تشكلت عنها ممرات ضيقة وأودية، ويظهر هذا القسم بشكل واضح في منطقة الفضنون بضواحي إيليزي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - Cote, 1957, op.cit., P: 323.

<sup>2</sup> - Ibid., P: 324.

<sup>3</sup> - Perret, 1936, op.cit., P : 43.

## 4- البنية الهيدرولوجية

تتوزع الصحراء الوسطى بكم هائل من الموارد المائية على اختلاف أنواعها من أودية، بحيرات، مياه جوفية وغيرها، ونميز منها نوعين: النوع الأول قديم التكوين يعود إلى الزمن الجيولوجي الثالث والزمن الرابع حيث امتلأت هذه الموارد خلال الفترات المطيرة، بعضها جفت خلال فترات الجفاف الذي ضرب الصحراء ومنها من ضلت تجري فيها المياه، وهناك نوع ثان حديث التكوين، وفيما يلي إشارة إلى أبرز هذه الموارد:

## 1.4 الأودية

تحتوي منطقة التاسيلي نازجر على شبكة أودية كثيفة، تنقسم من الغرب نحو الشرق إلى ثمانية فروع جارية تتجه من الجنوب إلى الشمال<sup>1</sup>، إضافة إلى فروع أخرى منها من جفت تماما ومنها من لازالت تجري فيها المياه بشكل شبه دائم، ومنها من تجري مياهها فقط خلال فترة تساقط الأمطار، تتغير أسماء الأودية حسب المنطقة التي تجري فيها كما أن معظمها يحظى بعدد من المواقع الأثرية المجاورة لها والتي تحمل نقوشا ورسوما صخرية كأحد الدلائل على استقرار الإنسان بالقرب من هذه النقاط وفيما يلي عرض لأهم الأودية:

## 1.1.4 واد جرات

يعد واد جرات<sup>2</sup> واحداً من أبرز أودية الصحراء الوسطى، يمتد على مسافة 150 كلم ويصل عرضه في بعض المناطق إلى 200 م، أما عن ارتفاعه فيقدر ب: 20 م إلى 30 م فوق مستوى سطح البحر<sup>3</sup>، وهو عبارة عن واد منحوت في الصخور على شكل أخدود نحتته المياه في الحجر الرملي، يعود تاريخ تكوينه

<sup>1</sup> - بشي، ج1، المرجع السابق، ص: 141.

<sup>2</sup> - جرات: هي مفردة ذات أصل أمازيغي في لغة التماق الخاصة بالطوارق يقصد بها المنطقة المنخفضة، للاطلاع ينظر: Camps, 1974,P:247.

<sup>3</sup> - Cote, 1957, op.cit., P: 322.

إلى حقبه السيلوري-الديفوني، يتكون من جزء كبير من رواسب الطمي القديمة ومن الرواسب الحديثة الناشئة بفعل الفيضانات والعواصف التي أكسبته الطبيعة الصخرية التي يمتاز بها حالياً<sup>1</sup>.

نشأت ما بين فترة العصر الحجري القديم المقابلة للفترات المطيرة المنتظمة والفترة الجافة الصحراوية الحالية فترة متوسطة خلال النيوليتي<sup>2</sup>، أين تشكلت على ضفاف واد جرات بعض البرك التي لا تجف مياهها على طول السنة، ما أدى إلى نشوء واحات صغيرة تتخللها أحواض تحتوي على بعض الأنواع من الأسماك التي تعيش في وسط عذب قليل الملوحة<sup>3</sup>، إضافة إلى قلتات صغيرة مليئة بمياه خضراء بفعل الطحالب، تحتوي هذه القلتات على عظام حيوانية وبعض النباتات ذات الأوراق الخضراء، وعلى بعد عدة أمتار تظهر جذوع النخيل التي جفت عنها المياه في الجزء العلوي بالقرب من الكتل الصخرية الكبيرة<sup>4</sup>.

ينبع واد جرات من السفوح المطلّة على واحة نافق على ارتفاع يقدر ب: 1300 م، يخترق هضبة الفضنون بالتاسيلي الخارجي من الجنوب نحو الشمال على مسافة 30 كلم، ثم يمتد على مسافة 70 كلم ليصب بالقرب من مدينة إيليزي، يجري على سطح صخري على ميل يتراوح ما بين 1% إلى 5% على طول مجراه<sup>5</sup>، ويستقبل مياهه من عدة أودية مجاورة مثل: واد آفار الذي يصب من الجهة اليمنى وواد الصحور الذي يصب من الجهة اليسرى، وتحتوي الطبقة الخارجية من الواد على عدد كبير من النقوش الصخرية المتوزعة على مساحة واسعة، أكتشفت لأول مرة من قبل الملازم برونون (Brenans)، منجزة على واجهات عمودية وأفقية على ارتفاع يتراوح ما بين 8-12 م تمتد على طول واد جرات، في حين تتركز المحطات الغنية بالنقوش على الجوانب الداخلية للواد<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- H. Lhote. (1976), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, Centre de Recherches Anthropologiques Préhistoriques et Ethnographiques, T1, SENP, Paris, P : 11.

<sup>2</sup> - Perret, 1936, op.cit., PP : 43-44.

<sup>3</sup> -Haardt, op.cit., P : 38.

<sup>4</sup> - Perret, 1935, op.cit., P : 35.

<sup>5</sup> - Lhote, 1976, op.cit., P : 11.

<sup>6</sup> - Perret, 1936, op.cit., P : 42-44.

## 2.1.4 واد تامجرت

يعد واد تامجرت واحدا من بين أكبر الأودية المعروفة بالمنطقة يمتاز بجريان موسمي ويمتد على مسافة تزيد عن 250 كلم، ينبع من الهضبة الصخرية جنوب التاسيلي وتنتشر على ضفافه عدة قلتات ذات مياه شبه دائمة، يسمى كذلك واد تاجر جرت، يخترق التاسيلي الخارجي ويجري على طول السلسلة من الجنوب إلى الشمال ليصب في واد إيغرغارن، يتوازي مع واد جرات على مسافة 40 كلم ويغذي عدة نقاط، تصب مياهه في بحيرة منقور<sup>1</sup> (Menghour).

يحتوي واد تاجر جرت أو تامجرت على عدة محطات غنية بالرسوم الصخرية التي تم اكتشافها من قبل الملازم برونون (Brenans) في القسم الأول من الواد الذي ينتهي إلى التاسيلي الخارجي تعود إلى الفترة الليبية البربرية، في حين يحتوي القسم الثاني على محطتين من الرسوم الصخرية وعدد من نقوش البقرات المتداخلة مع ملامح المرحلة الليبية البربرية على الجهة اليسرى من الواد<sup>2</sup>.

## 3.1.4 واد إساون ميهرو

ينبع من أعالي منطقة إساوين على شكل شلالات أخذت تسميتها عن هذه المنطقة التي تعني بلغة التماق القمم المرتفعة، تصب هذه الشلالات في منطقتين الأولى تسمى: لاورتاتنكول والأخرى تسمى أرهالاوين، تجري مياههما لتجتمع في نقطة واحدة عند الجرف الجنوبي للتاسيلي وتتركز في قمة ديدر<sup>3</sup>. تنظم إلى هذا الواد روافد قادمة من قمم مرتفعات أدرار في منطقة أرداد ويتحول اسم الواد ليصبح إيهرير، الذي يجري على انحدار معتبر وتساهم مياهه في ري مختلف المحاصيل الزراعية والخضروات وأشجار النخيل والكروم، إلى غاية منطقة تونين أجيف أين تتفرع منه أودية أخرى<sup>4</sup>، صنف

<sup>1</sup> - H. Lhote. (1984), *Le Hoggar espace et temps*, Armand colin, Paris, P : 27.

<sup>2</sup> - H. Lhote. (1954), « L'Abri à peintures de l'Oued Tadjerdjert (Tassili-n-Ajjer) », *Communication*, N°77, France, P : 733.

<sup>3</sup> - G. Gardel. (1961), *Les Touareg Ajjer*, Edition Braconnier, Alger, P : 79.

<sup>4</sup> - بشي، ج2، المرجع السابق، ص: 75-77.

واد إمبرير ضمن أهم المناطق الرطبة في العالم سنة 2001م من طرف منظمة راماسار (RAMASAR)<sup>1</sup> الدولية<sup>2</sup>.

#### 4.1.4 واد إمبريرو

يعد واد إمبريرو هو الآخر واحد من بين أكبر وديان التاسيلي ذي جريان متقطع يعتمد على تساقط مياه الأمطار في أعالي التاسيلي، ينبع من منطقة ديدر ويتجه شمالا نحو التاسيلي الداخلي<sup>3</sup> ليصب في واد إغراغان شرق مدينة إيليزي، يشرف على عدد من القلتات والروافد الدائمة الجريان على غرار: إيدرارن-إمبرير، تاست، تورست، زرزأوى، تتوزع عبر هذه الروافد واحات وبساتين دائمة الاخضرار وعدد من النقوش في مخابئ صخرية بالقرب من قلتات المياه<sup>4</sup>.

#### 5.1.4 واد إغراغان

يعتبر واد إغراغان واحداً من أطول الأودية الصحراوية القديمة التكوين، وهو الواد الوحيد الذي يمتد على طول سلسلة التاسيلي كاملة من الجنوب إلى الشمال<sup>5</sup>، ينبع من مرتفعات أتاكور بكتل الهقار ويمر بجوار الهضبة الغربية للتاسيلي ليصب في شط ملغيغ جنوب بسكرة على امتداد يصل إلى 1300 كلم من الجنوب إلى الشمال، تصب فيه عدة أودية وروافد غير أن جريانه مؤقت ومتذبذب يجري فقط في المناطق التي تتساقط فيها الأمطار الموسمية أو تصب فيها الروافد القادمة من منابع جوفية دائمة السيلان<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - منظمة راماسار RAMASAR: عبارة عن اتفاقية دولية تم تأسيسها سنة 1971م بمدينة راماسار الإيرانية، كنوع من التعاون الدولي والإقليمي لحماية الأراضي الرطبة بمختلف أنواعها (البحيرات والأحواض، الأنهار والأودية والروافد، المياه الجوفية وغيرها) في جميع أنحاء العالم، دخلت هذه الاتفاقية حيز التنفيذ ابتداءً من ديسمبر 1975م وتهدف للحفاظ على الثروة المائية وحماية التوازن البيئي، ومحاولة الحد من التسارع التدريجي في فقدان المواقع الرطبة عبر العالم.

<sup>2</sup> - O. P.N.T, 2009, op.cit., P: 23.

<sup>3</sup> - J. Dubief. (1999), L'Ajjer Sahara Central, Edition Karthala, Paris, P: 220.

<sup>4</sup> - Lhote, 1984, op.cit., P : 27.

<sup>5</sup> - Leredde, 1957, op.cit., P: 48.

<sup>6</sup> - M. Hachid. (1998), Le Tassili des Ajjer : Aux sources de l'Afrique 50 siècles avant les pyramides, Méditerranée, Paris, P : 43.

## 6.1.4 واد تفاساست

يعد واد تفاساست إلى جانب واد تامجرت من بين أغنى الأودية بالمياه في الصحراء الجزائرية، يستقبل مياهه من منبع جنوب التاسيلي ومياه منطقة الناهيف إضافة إلى مياه المنحدرات الشرقية والجنوبية لمرتفعات الهقار<sup>1</sup>، وبذلك يعتبر واد تفاساست دائم الجريان في المناطق الشمالية الشرقية للهقار ووسط التاسيلي أين تتساقط الأمطار الموسمية في حين يعرف جريان متقطع في بقية أجزائه<sup>2</sup>، وهو من أطول الأودية يمتد على مسافة تزيد عن 1500 كلم على طول مجراه الذي ينحصر ما بين الشمال الغربي للتاسيلي إلى غاية مصبه في بحيرة التمشاد<sup>3</sup>، التي أشار إليها بلين الكبير عندما تحدث عن قبائل الجرمانت بتسمية لونكساما والتي تشكل إحدى أجزاء بحيرة تريتون<sup>4</sup>.

## 7.1.4 واد سامن

يستقبل واد سامن مياهه من أعلى نقطة في هضبة التاسيلي وبالتحديد من منطقة تاسجبست يضاف إليها مياه واد تاملريك ووادي تين دست اللذان يغذيان واد سامن، ويصب في عرق إساون كما يغذي بدوره عدة روافد من بينها: إن-ترجة، إن-إرا، إفرنكن، يتجه من الجنوب إلى الشمال على مسافة 100 كلم ويتميز بجريان متذبذب يعتمد على تساقط مياه الأمطار بأعالي التاسيلي<sup>5</sup>.

## 8.1.4 واد إراران

يسمى واد إراران في الغالب إيدرارن ويتحول إسمه إلى تاجري يجري في منطقة تجمامين، ويعتبر أكبر نهر صحراوي غير أنه ذو جريان متقطع غير دائم، يغذي عدة أحواض وقلبات أثناء فترة جريانه على غرار منطقة لجري<sup>6</sup>، كما يغذي عدة روافد دائمة السيلان مثل: واد تنغلت، واد اللوم ووادي تنغسين، يمتد

<sup>1</sup> - بشي، ج2، المرجع السابق، ص: 114.

<sup>2</sup> - Hachid, 1998, op.cit., P : 44.

<sup>3</sup> - P. Salama. (1980), « Le Sahara pendant L'antiquité classique », *Histoire générale de l'Afrique, II : Afrique ancienne*, 2, PP : 553-574 courrier Unesco, P : 555, <https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000184311>

<sup>4</sup> - بليبي الأكبر. (1967)، *الكتاب الخامس*، ترجمة علي فهدى خشيم، نصوص ليبية، دار الفكر، الفقرة: 5.

<sup>5</sup> - بشي، ج2، المرجع السابق، ص: 71-72.

<sup>6</sup> - Gardel, op.cit., P : 76.



جريان دائم، واد فضنون ذي المياه الغزيرة، واد مستان عبارة عن واد قصير تتشكل منه روافد أخرى ثانوية، واد تارات، واد تانجيت، واد إسكارا، واد أسكفاف وغيرها<sup>1</sup>.

#### 2.4 الأحواض والقلات

عبارة عن حفر صخرية متفاوتة العمق والحجم، تعتبر بمثابة خزانات طبيعية تتجمّع فيها المياه التي تنتقل إليها عن طريق الوديان والروافد وفي بعض الأحيان تغذيها الأمطار، تتميز منها نوعان: خزانات ذات حجم كبير ومتوسط تسمى الأحواض، وخزانات ذات حجم صغير تسمى البرك أو القلّات. تعد القلّات بمثابة حفر صغيرة ناتجة عن تجاويف نحائية، تختلف من حيث الحجم والعمق ولا تصل إلى حجم وعمق البحيرة، تنتشر على ضفاف الأودية والروافد، تتوفر على المياه طوال السنة ومنها من ينقص منسوب المياه فيها حتى يقترب من الجفاف أو تجف تماما خلال فصل الصيف ويطلق عليها في هذه الحالة تسمية المعاذر، ويؤثر في مستوى منسوب مياه القلّة عمق واتجاه التجويّف<sup>2</sup>، كما تعرف لدى الطوارق بتسمية: إجلمان وتعتبر بمثابة مصادر سقي طبيعية للنباتات والحيوانات البرية والبدو الرحل الذين يقصدونها لري مواشهم<sup>3</sup>، تتغذى في الغالب من مياه الواد الذي ترافق مجراه على غرار القلّات المنتشرة على ضفاف واد إهرير، ويمكن أن يكون مصدرها منابع طبيعية خاصة تلك التي تتدفق على ارتفاع عن السطح مثل القلّات القريبة من منبع ديدر بأعالي مرتفعات الهقار، وهذا النوع تكون مياهه دائمة ووفيرة على طول العام وتكثر حولها النباتات الخضراء، وهنالك من تعتمد على مياه الأمطار كمصدر أساسي لتزويدها وهي قلّات ذات مياه مؤقتة مثل قلّات منطقة تادرات<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - بشي، ج2، المرجع السابق، ص ص: 69-105.

<sup>2</sup> - فابريتشيو موري. (1988)، تادرات أكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة: عمر الباروني، فؤاد الكعبازي، دار الكتب، طرابلس، ص: 34.

<sup>3</sup> - O. P. N. T, 2009, op.cit., P : 24.

<sup>4</sup> - عباسي، المرجع السابق، ص: 18.

تعتبر الأحواض بمثابة خزانات طبيعية كبيرة الحجم مقارنة بالقلتات، تنتشر خاصة أين تكثر الأخاديد والتجاويف الصخرية، تغذيها الوديان والروافد وتساهم بدورها في زيادة منسوب المياه الجوفية خاصة في المناطق ذات الأرضية النفاذية، كما يتضمن البعض منها أنواعا من الأسماك التي تعيش في المياه العذبة وقليلة الملوحة نذكر من بينها:

#### 1.2.4 حوض منور

سعي هذا الحوض على اسم منطقة منور وسط مرتفات التاسيلي لا تتجمع فيه المياه لفترة طويلة كون أرضيته نفاذية، يستقبل مياهه من واد إساون القادم من منطقة تابلبلت، وينطلق منه واد امنورور الذي يغذي عدة فروع تتجه نحو الشمال بغزارة وعلى انحدار شديد مخلفة أخاديد عميقة على مستوى هضبة التاسيلي<sup>1</sup>.

#### 2.2.4 حوض لجري

عبارة عن حوض صخري صغير بمنطقة لجري، تصب فيه عدة رافد على غرار: واد إنس-إجلما من، وواد دهلاك، اللذان تتجمع مياههما على مستوى معبر مائي يسمى تجريت يصب مباشرة في حوض لجري الذي يحتفظ بمياهه طوال السنة، وبذلك تنتشر حوله أنواع من النباتات الدائمة الاخضرار<sup>2</sup>.

#### 3.2.4 حوض تهبوار

عبارة عن حوض مائي ينتهي إلى منطقة أمقيد، يعود إلى فترات جيولوجية قديمة جدا يصعب تحديد بدايتها، يستقبل مياهه من منبعين مائين وعدداً من روافد واد إراران، تحيط به أشجار النخيل والكروم<sup>3</sup>، وتحمل طبقاته الأثرية لقي تعود إلى سكان الصحراء ربما تنسب إلى القبائل الليبية القديمة،

<sup>1</sup> - بشي، ج2، المرجع السابق، ص: 73-74.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 54.

<sup>3</sup> - بشي، ج2، المرجع السابق، ص: 57-58.

تعرض معظمها إلى التلف كما أنها لاتزال غير مدروسة على الرغم من أن المنطقة مصنفة ضمن المواقع التراثية منذ سنة 1913م<sup>1</sup>.

#### 4.2.4 حوض إيليزي

يعتبر من بين أهم المصادر التي تغذي مدينة إيليزي، يأخذ مياهه من واد إيساون وواد إن دكالك إضافة إلى المياه الجوفية القادمة من المناطق الاستوائية، يتراوح عرضه ما بين 8 و10 كلم ويسمى كذلك بحوض أفرا (Afra)، يعد هذا الحوض من أهم المواقع الأثرية كونه يحظى بعدد هام من المشاهد الصخرية وخاصة الرسوم، تكثر حوله عدة أنواع من النخيل المختلفة منها المنتجة وأغلبها دُكار (غير منتجة) ومنها التي أصبحت مجرد جذوع خاوية<sup>2</sup>.

#### 5.2.4 حوض تانزروفت

عبارة عن حوض صخري محاط بكتل رملية سميكة يستقبل مياهه من عدة أودية تنبع من جبال التاسيلي ومرتفعات أكاكوس، تحيط به بقايا أثرية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ خاصة في منطقة تين الكوم، التي تتضمن مئات من القبور الدائرية الشكل كدليل على أن هذه المنطقة تم تعميرها فيما مضى من طرف جماعات هامة من البشر، كما تشير الرسوم الصخرية في مخاب تين الكوم إلى مشاهد صراعات ما يدل على أن هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان الذين ربما خاضوا حروباً للدفاع عن أماكن استقرارهم قرب مصادر المياه بها<sup>3</sup>.

#### 6.2.4 حوض أركين

يقع في أقصى الجنوب الشرقي الجزائري تتجمع فيه أكبر نسبة من مياه مرتفعات التاسيلي أسجراد، كما يستقبل مياهه من الروافد الآتية من هضبة المساك والمياه النابعة عن مرتفعات

<sup>1</sup> - Gardel, op.cit., P : 77.

<sup>2</sup> - بشي، ج2، المرجع السابق، ص ص: 64-65.

<sup>3</sup> - نفسه، ص ص: 87-89.

تدرارت، يتميز هذا الحوض بمياهه العذبة تمت الإشارة إليه أول مرة سنة 1850م من طرف الباحث الألماني هنري بارث (H. Barth)، تنتشر حوله عدة مواقع أثرية تعود إلى عدد من المجموعات البشرية التي توالت على المنطقة وعدد من الآبار العميقة بالقرب من الحوض وبقايا لبساتين، كما أن منطقة آرकिन عرفت قديما بطريق القوافل التجارية إلى جانب تاسيلي أسجراد ربما من أجل التزود بمياهها العذبة<sup>1</sup>.

#### 7.2.4 حوض غدامس

عبارة عن حوض كبير غني بالمياه يوجد في مدينة غدامس على الحدود الجزائرية الليبية، يستقبل مياهه من المناطق الاستوائية بواسطة عدد من الروافد ويغذي بدوره الطبقات الجوفية، تحيط به مجموعة من البحيرات معظمها تعرضت للجفاف ولم يتبقى منها إلا القليل من بينها: بحيرة عين الذبان، سبخة تونين، عين الفرس، عين تالة، كما تكثر حولها المواقع الغنية باللقى الأثرية ومقابر تحتوي على بقايا عظام وجماجم بشرية، إضافة إلى عدد من الرسوم والنقوش الصخرية التي تحمل مشاهدًا أغلبها تدور حول الصراعات والحروب، تعاني هذه المنطقة حاليا من الجفاف الذي أصاب معظم الأودية والبحيرات، وزحف الرمال مع تراجع الغطاء النباتي وحتى التواجد البشري واختفاء لعدد من أصناف الحيوانات البرية<sup>2</sup>.

#### 3.4 المياه الجوفية

تختلف درجة عذوبة المياه الجوفية بمنطقة التاسيلي والصحراء الوسطى عامة باختلاف تركيبة الطبقات الصخرية التي تمر بها، فتنحول إلى مياه ذات طبيعة قاعدية أو حامضية حسب درجة تركيز الأملاح التي تدخل في تكوين الطبقات خاصة الرسوبية منها، وتتربع منطقة التاسيلي على أكبر تجمع للمياه الجوفية العذبة بإفريقيا التي يعود تاريخها إلى الفترات المطيرة خلال الزمن الجيولوجي الرابع، يسمى هذا

<sup>1</sup> - بشي، ج 2، المرجع السابق، ص ص: 106-107.

<sup>2</sup> - نفسه، ص ص: 129-131.

الخزان "بحوض الصحراء الشمالية" وهو مشترك بين الجزائر وتونس وليبيا ويعد الخزان الرئيسي للمنطقة، وفي الجزائر ينحصر هذا الجزء من الخزان الجوي بين مرتفعات التاسيلي والهقار جنوبا ومرتفعات الأطلس الصحراوي شمالا ويحده من الناحية الغربية واد الساورة في حين يتوغل نحو ليبيا من الناحية الشرقية، ويشكل الأطلس التلي والصحراوي أهم الروافد لتزويد خزان المياه الجوفية المذكور أنفا من خلال ترسيب مياه الأمطار ونقلها إليه<sup>1</sup>، وفيما يلي عرض لأهم الأماكن التي تتوفر على مياه جوفية ضمن منطقة التاسيلي نازجر.

تعد واحة عين كرمايا التابعة لمنطقة أمقيد من بين أهم المناطق الغنية جدا بالمياه الجوفية القريبة من السطح، يضاف إليها منطقة إراران التي تتوفر على مخزون هام من المياه الجوفية التي تتزود من مياه الأمطار المتسربة عبر رمال عرق إيساون، كما تمون منطقة إراران عددا هاما من العيون والآبار فضلا عن واد إراران الذي يعبر معظم مناطق التاسيلي ويستمر في التدفق إلى غاية مرتفعات أدرار<sup>2</sup>، كما عُثِر في كهف بشمال شرق منطقة أمقيد على عدد من رسومات الفن الصخري المشابهة لتلك الموجودة بكل من أحاديدي التاسيلي والهقار والتي تحمل مشاهد الصيد لأشخاص من مواصفات الجنس الأبيض المتوسطي، إضافة إلى عدد من الحيوانات الضخمة التي تعيش في وسط وفير المياه مثل أفراس النهر، كما عُثِر على عدد من العظام المصقولة التي تستخدم في القنص بنفس المغارة دليل على أن المنطقة كانت وفيرة المياه ما يؤكد استقرار الإنسان بها<sup>3</sup>.

تجري مياه واد إسكفاف لتنتهي في مصب بمدينة برج عمر إدريس المعروفة قديما باسم تماسنين، التي تتميز بتربة رملية حيث تنفذ المياه إلى باطن الأرض فتزيد من منسوب المياه المخزنة، وتعد تماسنين من أغنى المناطق الصحراوية بالمياه الجوفية التي تستقر تحت الطبقة الأرضية القريبة

<sup>1</sup> - ريمون فيرون. (1963)، الصحراء الكبرى، ترجمة جمال الدين الديناصورى، وكالة الحوض الهيدروغرافي لمنطقة الصحراء، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ص ص: 39-40.

<sup>2</sup> - بشي، ج 2، المرجع السابق، ص ص: 55-65.

<sup>3</sup> - محمد إبراهيم الميلي. (1980)، الجزائر في ضوء التاريخ، دار البعث، الجزائر، 1980، ص ص: 13-14.

من السطح، وتتفجر في شكل عيون وآبار ارتوازية في نقاط عديدة، وبذلك فهي توفر أماكن جيدة للاستقرار البشري لعل هذا ما يفسر غنى المنطقة باللقى الأثرية لفترة ما قبل التاريخ التي تمتد مواقعها من ناحية الشمال الغربي إلى نهاية تخوم تماسنين<sup>1</sup>.

تزرخ منطقة تانزروفت وبالتحديد في المنطقة المسماة إسين أقله أو كما سماها الرومان سابقا إدلس بسلسلة من الآبار يبلغ عددها 50 بئرا جفت مياهها وعدد من البرك على شكل حفر صخرية، أنشئت في مضيق جبلي من طرف قبائل الجرامنت إلى جانب منطقة غات كونهما تقعان على ارتفاع نسبي فوق سفوح جبلية، تتربع هاتين المنطقتين فوق مسطح هام من المياه الجوفية التي تغذي سلسلة الآبار المذكورة، لعلها كانت السبب في انجذاب الرومان الذين أسسوا فيها محطات على الطريق التجاري الممتد بين توات وفزان مرورا بإدلس، بالإضافة إلى مدينة سردليس التي أسسها الرومان بين غات وفزان ومدينة غدامس التي تتوفر على ثروة هامة من المياه الجوفية<sup>2</sup>، وعدد من البقايا الأثرية لقنوات سقي وآبار مرتبة بشكل تسلسلي قد تكون بقايا لنظام الفقارة<sup>3</sup>، الذي اشتهر به إقليم توات خاصة والذي يعتقد أنه أنشئ من طرف قبائل الجرامنت التي عمرت المنطقة خلال الفترات الغابرة وتجدر الإشارة أن هذا النظام من الري لا يمكن أن يتحقق إلا في المناطق الغنية بالمياه الجوفية القريبة من السطح، ويشير غزال (Gsell. S) إلى أن منطقة توات بالصحراء الجزائرية استوطنها شعوبا من جنس البحر المتوسط منذ فجر التاريخ وهو ما يتزامن مع فترة تواجد الجرامنت<sup>4</sup>، وعليه يمكن أن تكون فكرة الفقارة قد بدأت مع الجرامنتيين خصوصا وأن الرومان قد اصطدموا بهؤلاء الأقوام أثناء مرورهم بطريق توات

<sup>1</sup>- بشي، ج2، المرجع السابق، ص: 86.

<sup>2</sup>- نفسه، ص: 91-106.

<sup>3</sup>- الفقارة: عبارة عن نظام ري كلاسيكي يتكون من سلسلة من الآبار المترابطة بواسطة قنوات، تكون بدايتها من باطن الأرض ثم تشق لها طرق على شكل ساقية على سطح الأرض وتختار لها أماكن مرتفعة حيث تتجمع المياه الجوفية، في حين تستوضع الساقية على سطح منحدر لتسهيل عملية جريان المياه وضمان ديمومتها وسهولة استغلالها. للمزيد من الاطلاع يُنظر: مبروك مقدم. (2016). الفقارة في قصور توات وأحوالها النشأة والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، ص: 55.

<sup>4</sup> - S. Gsell. (1928), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T1, Librairie-Hachette, Paris, P : 74-76.

نحو فغيغ وبلاد السودان خلال القرن السادس قبل الميلاد وربما نقلوها عنهم لاحقا حيث اعتمد الرومان الري عن طريق الفقارة بمشارف الصحراء الجزائرية خلال القرن الأول الميلادي<sup>1</sup>.

## 5- المناخ

تعتمد جل الأبحاث الحيوية لمختلف الكائنات الحية على دراسة المناخ كونه يؤثر بشكل مباشر على ظاهرة التواجد والنمو لمختلف الأصناف النباتية والحيوانية والبشرية، من خلال قدرته على التحكم في خريطة التوزيع الحيوي لمختلف الكائنات الحية، فضلا عن قدرته على تحديد أنماط النشاط البشري وتباينها بين المناطق، لعل هذا ما يفسر التحولات الحاصلة منذ ملايين السنين على مختلف مناطق الكرة الأرضية.

يؤثر المناخ من جهة ثانية على حالة حفظ اللقى الأثرية وعلى رأسها اللوحات الحاملة لمشاهد الفن الصخري، لذلك يهتم المختصين في دراسة الفن الصخري لفترة ما قبل التاريخ وفجره بدراسة المناخ القديم والمناخ الحالي دراسة شاملة قصد الحصول على تعليقات مقنعة لمضامين المشاهد الصخرية وحالة حفظها، من خلال الاعتماد على مجموعة من المناهج العلمية لتفسير العوامل المتسببة في اختلال التوازن المناخي بين الفترات الزمنية.

### 1.5 مناهج دراسة المناخ

➤ يُعتمد في دراسة المناخ الحالي على عدة مناهج رياضية، جغرافية، فلكية، تتمثل فيما يلي:

- القيام بسلسلة من الملاحظات الدقيقة لمختلف الظواهر المناخية في مكان معلوم خلال مدة زمنية كافية ومحددة مسبقا، مع الاعتماد على منهج الإحصاء لغرض حساب وتقييم الدورات المناخية الحالية التي يمكن من خلالها استنتاج الفترات المطيرة والجافة السابقة، وما

<sup>1</sup> - الميللي، المرجع السابق، ص: 14.

- يصاحبها من ظروف النمو النباتي مع تأريخ هذه الفترات زمنيا، غير أن عيب هذا المنهج يتمثل في كون نتائجه معرضة للخطأ، فقد يغفل الملاحظ عن ظاهرة معينة وقد لا يحسن تقديرها.<sup>1</sup>
- الاعتماد على الطريقة الديناميكية لتقييم المراحل المناخية التي تعد من أنجع الطرق نظرا لقدرتها على تقديم تفسيرات علمية للظواهر المناخية بعدما كان الباحثين يكتفون بالاستنتاجات الناجمة عن مراقبتها، وذلك من خلال الاعتماد على دراسة متوسط درجة انعكاس أشعة الشمس المتحكمة في درجات الحرارة على سطح الأرض حيث: "كلما زادت زاوية ميل محور دوران الأرض زاد طول شعاع الشمس ونقص انعكاسه العمودي، ما يتسبب بتمدد الحرارة وانخفاضها والعكس"، تحسب هذه العملية خلال فترات زمنية متباينة غير أن هذه الطريقة لا تتماشى مع فترة التساقط.<sup>2</sup>
- دراسة كمية التبخر وكمية التساقط، من خلال حساب كثافة الهواء وتحديد اتجاه الرياح مع حساب متوسط درجات الحرارة، حيث يركز هذا المنهج أساسا على دراسة منسوب هطول الأمطار ومقارنتها مع احتياجات الغطاء النباتي، مع الأخذ بعين الاعتبار التذبذب في التساقط من سنة إلى أخرى وقوة احتفاظ التربة بالرطوبة، إضافة إلى تقييم نسبة النتج لدى النباتات بصفة دورية، ويعد هذا المنهج دقيقا ومتطورا للغاية، غير أنه معقد ويستغرق وقت طويل.<sup>3</sup>
- يشير الباحث كابوت راي (Copat-Rey) إلى اعتماد شجر نخيل البلح كمقياس لتعيين مناخ الصحراء، من خلال تحديد مناطق نمو نخيل البلح الذي لا ينضج ثماره إلا في ظروف خاصة تتوافر داخل نطاق حار ذي شمس ساطعة<sup>4</sup>، ومن المعروف أن شجرة النخيل يمكن أن تتحمل

<sup>1</sup> - P. Estienne. (1951), « Pour une conception géographique du climat », *Revue de géographie alpine*, T39, N°2, France, 1951, P : 332, 334.

<sup>2</sup> - Ibid., P : 333.

<sup>3</sup> - Estienne, 1951, op.cit., P : 335.

<sup>4</sup> - فيرون، المرجع السابق، ص ص : 24-23.

درجات الحرارة وتنمو في جو يقارب 50°م، كما يمكنها تحمل الصقيع إلى غاية -3°م لكنها تتوقف عن النمو، في حين تتطلب عملية إثمارها نطاقا حراريا مناسباً خاصة فيما يخص ثمار البلح الذي يتطلب حدوداً حرارية تمتد ما بين 38°م كأعلى مقياس و 8°م كأدنى مقياس، كما تستوجب هذه الثمار بيئة مشمسة حيث تعتمد عملية الإثمار على قوّة الإضاءة الطبيعية، فالضوء يعتبر العامل الرئيسي في تركيب الكربوهيدرات التي تعد المكون الأساسي للتمر، لذلك لا تستطيع النخيل تحقيق إثمار جيد في المناطق التي تكثُر فيها الغيوم حتى لو توفرت الاحتياجات الحرارية المناسبة<sup>1</sup>، لعل هذا ما يفسر اختفاء ثمار النخيل في موريتانيا الغربية ربما بسبب قربها إلى المحيط الأطلسي حيث تتركز الغيوم بكثرة فتحجب الإشعاع الشمسي وتضعفه<sup>2</sup>.

- دراسة الترسبات الجليدية، حيث قام عدد من المختصين في علم المناخ منذ الستينيات من القرن العشرين بدراسة عينات من الجليد على طول عمق الصفائح الجليدية في كل من القارة القطبية الجنوبية وجزيرة الجرينلاند<sup>3</sup>، وعدد من الأنهار الجليدية في سلاسل الجبال حول العالم، أسفرت نتائج هذه الأبحاث على سجل من المعلومات حول: التغير في درجات الحرارة وما يرافقها من التغير في النشاط الشمسي، كمية الغبار المنقول من خطوط العرض المنخفضة وأماكن الانفجارات البركانية، وبقاعات الهواء المحبوسة داخل الجليد<sup>4</sup>، ونسبة تركيز نظائر الأكسجين المرتبطة بمعدل درجات الحرارة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> دليل رعاية النخلة. (2013)، « المتطلبات البيئية للنخيل»، المركز الوطني للنخيل والتمور، المملكة العربية السعودية، 2013، <https://ncpd.org.sa/omissions/69371>

<sup>2</sup> فيرون، المرجع السابق، ص: 24.

<sup>3</sup> جزيرة الجرينلاند: تعد واحدة من بين أكبر الجزر في العالم، تقع في القطب المتجمد الشمالي شمال المحيط الأطلسي، وشرق كندا.

<sup>4</sup> William James Burroughs. (2005), *Climate Change in prehistory The End of the Reign of Chaos*, United States of America by Cambridge University Press, New York, PP: 4-5.

<sup>5</sup> تتسم ذرات الأكسجين<sup>18</sup> O بالكثافة وثقل الكتلة الذرية ولذلك فهي تتماشى مع درجات الحرارة الأكثر برودة، في حين تمتاز ذرات الأكسجين<sup>16</sup> O بكتلة أخف وأكثر شيوعاً مع درجات حرارة أقل انخفاضاً، كما أنها تدخل في عمليات هطول الأمطار، ينظر: Burroughs, 2005, op.cit., P :5.

تتطلب دراسة المناخ الاعتماد على تكامل معطيات جملة هذه المناهج المذكورة، دون الأخذ بواحدة وترك أخرى وذلك من أجل تفادي الأخطاء وضمان الحصول على نتائج أكثر دقة، لغرض التعرف على حالة الطقس السائد وإعطاء تفسيرات منطقية للظواهر المناخية الحالية.

➤ يعتمد الباحثون في دراسة المناخ القديم على مناهج مختلفة تتمثل في:

- دراسة آثار الترسبات النهرية والبحرية من خلال تحديد ديناميكيات الأنهار والمجري المائية قديمة التكوين<sup>1</sup>، حيث تعتبر المدرجات النهرية من بين أبرز الدلائل على التغيرات المناخية مثل: مدرجات واد النيل، واد السينغال، واد الساورة، بحيرة التشاد وغيرها، وتشكل هذه المدرجات بفعل ظاهرة الحت والترسيب الذي تخلفه المياه والرياح، كما تعتبر الكثبان المتحجرة ذات الطبيعة الكلسية التي تكونت في الأزمنة الغابرة إضافة إلى تراكمات الحصى من بين أبرز الدلائل على تعاقب ظروف مناخية رطبة كرسست لظهور مجاري مائية جرفت معها الحصى ورسبته في هذه الأخيرة التي يتسم معظمها حالياً بالجفاف<sup>2</sup>.

- دراسة عامل الغطاء النباتي والحيواني، حيث تعتبر بقايا النباتات والحيوانات المتحجرة أكبر دليل على التغيرات المناخية، كون بعض الأصناف تتطلب العيش في بيئة مطيرة وتناسب أصناف أخرى مع البيئة الجافة<sup>3</sup>، كما تعد دراسة حبوب اللقاح المتحجرة أكثر الطرق نجاحاً في تحديد نوعية الغطاء النباتي السائدة قديماً لكنها لا تجيب عن التساؤلات

<sup>1</sup> - Estienne, 1951, op.cit., P : 341.

<sup>2</sup> - لخضر بن بوزيد. (2016). «التغيرات المناخية في الصحراء الوسطى في عصر البلايستوسين (2,59 مليون سنة-8000 سنة قبل الميلاد)»، مجلة الواحات والدراسات، المجلد 9، العدد 2، ص: 1032-1034.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 1034.

التي تدور حول جغرافية انتشارها ونطاق اتساعها، فضلا عن أسباب الاختفاء المفاجئ لبعض الأصناف<sup>1</sup>.

- دراسة عامل اللقى الأثرية وخاصة مشاهد الفن الصخري، حيث تقدم مضامين الرسوم والنقوش الصخرية تفاصيل مختلفة عن البيئة التي تنتهي إليها من خلال مشاهد الحيوانات السائدة في تلك الحقب، فتصور بعض المشاهد حيوانات ضخمة تعيش في مناخ رطب كثير التساقط ووفير الكالأ على غرار الفيلة وأفراس النهر والزراف وغيرها ويضاف إليها مشاهد القوارب والأسماك، في حين تجسد مشاهد أخرى حيوانات تتناسب مع بيئة جافة قليلة التساقط على غرار الجمل والماعز والضأن، يضاف إليها مشاهد الصراعات والحروب التي قد تفسر التنافس حول أماكن توفر المياه بين معمرى هذه الحقب<sup>2</sup>.

## 2.5 آلية التغيرات المناخية

تطافرت العديد من العوامل الميكانيكية، الترموديناميكية (الحرارية) والبيولوجية، في حدوث ظاهرة التقلبات المناخية التي أدت إلى سيطرة الجفاف على الصحراء، ولقد حاول باحث الفيزياء الفلكية الصربي ميلوتين ميلانكوفيتش (**Milutin Milankovitch**) تفسير التغير المناخي على مستوى المساحة والوقت وربطه بأشعة الشمس في فرضيته الفلكية المعروفة باسم نظرية ميلانكوفيتش، حيث ترتبط ظاهرة تعاقب الفصول بدرجة انحراف محور دوران الأرض إضافة إلى ظاهرة تهبج الشمس السنوية، كما أن التعاقب العام للعصور الجليدية وما بين الجليدية بأوروبا

<sup>1</sup> - Estienne, 1951, op.cit., PP : 341-342.

<sup>2</sup> - H. Alimen. (1987), « Evolution du climat et des civilisations depuis 40000 ans, du nord du Sahara occidental (premières conceptions confortées aux données rerentes) », *Bulletin de l'Association française pour l'étude du Quaternaire*, Vol 24, N°4, France, P : 224.

(المعاصرة للفترات المطيرة والجافة بالصحراء) كان له تأثيرا هاما ومعتبرا، وكان سببه ثلاث عوامل

سميت فصول فلكية دامت لفترة طويلة<sup>1</sup>، تمثلت فيما يلي:

-التغير في مركزية مدار الأرض: حيث تدور الأرض حول الشمس في مدة تقدر ب: 365,25 يوم بطريقة

شبه بيضاوية تتسبب في تغير المركزية باستمرار.

-التغير في درجة الميل: حيث يشكل محور دوران الأرض بين القطبين زاوية قدرها 23,27°، تنشأ هذه

الزاوية عن طريق دوران الأرض شبه البيضوي، الذي يؤثر على مظاهر سطح الأرض الخاضعة لأشعة

الشمس ما يفسر حدوث تعاقب الفصول<sup>2</sup>.

-التباين الفلكي: وهي ظاهرة خاضعة للجاذبية الأرضية التي تخضع بدورها لتأثير الشمس والقمر،

ودرجة انحراف محور دوران الأرض<sup>3</sup>.

تسببت كل هذه العوامل الفلكية في التغيرات المناخية الحاصلة على مستوى الكرة الأرضية، التي

سادت فترات تزيد عن مئات الملايين من السنوات، إضافة إلى التحول الذي طرأ على مستوى بعض

العناصر الطبيعية مثل: تغير نسبة تركيز غاز الكربون والميثان في الهواء، كذلك نسبة احتواء الماء على

نظائر الأكسجين، وترسيب البحيرات والمحيطات والمجاري المائية<sup>4</sup>.

ارتبطت حالة المناخ الصحراوي بإفريقيا ارتباطا وثيقا بالعصور الجليدية في أوروبا: فكلما اشتد

الجليد في أوروبا أصبحت الصحراء الإفريقية أكثر جفافا إما بالحرارة أو بالبرودة، كما توسعت على

مساحات أكبر بفعل الرياح التي تنقل الرمال إلى مسافات أبعد<sup>5</sup>، وفي هذا الصدد شكلت التضاريس

<sup>1</sup>- J. L. Le Quellec. (2006), « L'adaptation aux variations climatiques survenues au Sahara centrale durant l'holocène », *Terre Sauvage*, N°93, France, P : 108.

<sup>2</sup>- Ibid., P : 109.

<sup>3</sup>- تعد العوامل الثلاثة: تغير مركزية مدار الأرض، انحراف الميل، التباين الفلكي، عوامل مسؤولة عن أهم التغيرات على مستوى مسقط أشعة الشمس على الأرض، كما أن هذه العوامل تتغير بشكل دوري: حيث يتغير مركز دوران الأرض كل 100000 سنة إلى 413000 سنة، وتتغير زاوية الانحراف كل 41000 سنة، في حين يحدث التباين الفلكي كل 25700 سنة، ويمكن أن نضيف تغير نشاط الشمس كل دورتين تقدران ب: 11 ألف سنة و 90000 سنة على التوالي، ينظر: Le Quellec, 2006, op.cit., P : 109

<sup>4</sup> - Ibid., P : 110.

<sup>5</sup> - بن بوزيد، 2016، المرجع السابق، ص: 1034.

والموقع الجغرافي كذلك عوامل مؤثرة على طبيعة المناخ، حيث تمنع السلاسل الجبلية المرتفعة للأطلس الصحراوي مرور الأمطار القادمة من الشمال، كما أن الصحراء تقع في منطقة بعيدة عن ضغط المدارين المسببين لحدوث ظاهرة الأعاصير خارج نطاقهما، ما يجعلها في منعزل عن الرياح الكبرى المتجهة من الشرق إلى الغرب المحملة برطوبة المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، كما لا تصل إليها الرياح الموسمية المحملة بالأمطار<sup>1</sup>، لعل هذا ما يفسر مناخ منطقتي الهقار والتاسيلي الواقعتين ضمن نطاق مدار السرطان ما يجعلهما بعيدين عن تأثيرات مراكز الضغط العالي والتأثيرات الاستوائية، كما أن ارتفاعها الكبير على مستوى سطح البحر ساهم في اعتدال مناخهما<sup>2</sup>.

### 3.5 المناخ القديم

شهدت أوروبا خلال الزمن الجيولوجي الأول عصورا جليدية جد قاسية، ويرجح أن هذا الجليد امتد ليلبغ الأجزاء الشمالية لإفريقيا، حيث عثر على ترسباته في عدد من المناطق الجبلية ضمن مرتفعات الأوراس بسلسلة الأطلس الصحراوي، انعكست آثاره على المناطق الجنوبية ما أسفر عن ظهور صحراء باردة وجافة اختفت فيها معظم مصادر المياه بما فيها: واد الساورة، نهر السينغال، نهر النيل، بحيرة التشاد، التي طمرتها الرمال بفعل قلة التساقط الناتجة عن امتداد الجليد على البحار والمحيطات ما تسبب في قلة تبخر مياهها، حيث أكدت الترسيبات في عدد من الأنهار الإفريقية أن منسوب المياه فيها كان ضعيفا خلال العصور الجليدية بأوروبا<sup>3</sup>.

شهدت القارة القطبية الجنوبية خلال الزمن الجيولوجي الثالث المقابل لمرحلة الأيوسين<sup>4</sup> حلول عصرها الجليدي الأول، الذي ترتب عنه حلول مرحلة مطيرة ورطبة بشمال إفريقيا دلت عليها بقايا لحيوانات ونباتات من البيئة الاستوائية في منطقتي "أهلهاج" و"إن تورين" بالتاسيلي نازجر، بالمقابل

<sup>1</sup> - A. Muzzolini. (1995), Les images rupestres du Sahara, Edité par L'auteur, France, P : 11.

<sup>2</sup> - بن بوزيد، 1016، المرجع السابق، ص: 1036.

<sup>3</sup> - نفسه، ص ص: 1028-1032.

<sup>4</sup> - مرحلة الأيوسين: تمثل المرحلة الأولى من الزمن الجيولوجي الرابع، تمتد ما بين 65 إلى غاية 45 مليون سنة، ينظر: ل. بالوت. (1980)، «ظهور الإنسان المشكلة العامة»، في: تاريخ إفريقيا العام، المجلد 1، (المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا)، يونسكو، ص: 445.

شهدت القارة القطبية الشمالية عصرها الجليدي الأول مع حلول مرحلة الميوسين<sup>1</sup>، ما تسبب بتراجع الأمطار مرة أخرى عن شمال إفريقيا وجفاف الصحراء، وهذا ما يؤكد على وجود علاقة طردية بين الفترات الجليدية الأوروبية والفترات المطيرة بصحراء شمال إفريقيا، كما انتهى الزمن الجيولوجي الثالث بمرحلة جافة أطلق عليها تسمية الفيلافر انشيا<sup>2</sup> (Villafranchien) تسببت في تراجع الغطاء النباتي والحيواني<sup>3</sup>.

أسفرت نتائج الأبحاث الجيولوجية والمناخية التي أُعلن عنها في مؤتمر كريس شورش سنة 1973م على أن الزمن الجيولوجي الرابع يحتوي على فترتين زمنيّتين غير متساويتين، تدعى الأولى البلايستوسين والثانية الهولوسين يقابل الفاصل الزمني بينهما العصر الجليدي الأخير<sup>4</sup>.

تعود بداية التحولات المناخية الحاصلة على مستوى الصحراء الوسطى بإفريقيا الشمالية إلى حدود 40000 سنة ق.م، حيث شهدت المنطقة فترة رطوبة امتدت من فترة البلايستوسين الأعلى أي ما يقابل 40000 سنة ق.م إلى غاية 20000 سنة ق.م أو 18000 سنة ق.م<sup>5</sup>، تلتها فترة جفاف بدأت منذ حوالي 20000 ق.م أو 18000 ق.م أي ما يقابل تاريخ نهاية الحضارة العاترية مع حدود نهاية العصر الحجري القديم إلى غاية 10000 ق.م تقريبا<sup>6</sup>.

جعلت موجة الجفاف القاسية التي رافقت الانخفاض الكبير في درجات الحرارة الصحراء تتقدم بعدة كيلومترات نحو الجنوب من الهضاب العليا بالجزائر شمالا إلى غاية جرمة جنوب ليبيا وجنوب

<sup>1</sup> مرحلة الميوسين: عبارة عن فترة جيولوجية تنتمي إلى مرحلة النيوجين من حقبة السينوزوي، تمتد ما بين فترة الأوليوسين وفترة البليوسين. من حوالي 23,03 مليون سنة إلى غاية 5,332 مليون سنة، تمتاز بظهور الثدييات وأبرزها القردة العليا (Australopithèques)، ينظر: **W. Krijgsman, End All. (1996)**, «A new chronology for the middle to late Miocene continental record in Spain», In: *Earth and Planetary Science Letters*, V142, P: 367.

<sup>2</sup> فيلافر انشي: يقصد بها التشكل الرسوبي الموافق للفترة الانتقالية بين الزمن الجيولوجي الثالث والرابع، بالوت، المرجع السابق، ص: 446.

<sup>3</sup> بن بوزيد، 2016، المرجع السابق، ص ص: 1030-1031.

<sup>4</sup> محمد سحنوني. (1999)، *ما قبل التاريخ*، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 12.

<sup>5</sup> Alimen, 1987, op.cit., P : 223.

<sup>6</sup> M. Hachid. (2007), « L'art rupestre saharien le critère de la domestication et la chronologie relative l'Adaptation à l'Aridité », Inas Edition, Alger, 2007, P : 7\_8.

النيجر، ترتب عنها تراجع الغطاء النباتي والحيواني إضافة إلى تراجع التعمير البشري بسبب هجرة الفئات البشرية نتيجة لتزايد حدة الجفاف، حيث أصبحت الحياة شبه مستحيلة خلال الفترة الممتدة ما بين 18000 ق.م و10000 ق.م سميت خلالها المنطقة بالصحراء الجليدية، وتتزامن هذه المرحلة مع العصرين الجليديين الأخيرين في أوروبا خلال الزمن الترياسي الثاني والثالث<sup>1</sup>.

يفسر الجفاف خلال الفترة التي سبق ذكرها اختفاء البقايا الأثرية للإنسان والحيوان على مستوى الطبقة الأثرية التي تسبق طبقة العصر الحجري الحديث بالمنطقة<sup>2</sup>، بالمقابل شهدت الأجزاء الشرقية لإفريقيا خلال هذه الحقبة فترات مطيرة تأثرت بها الصحراء السودانية بشكل خاص، وتعد هذه المعلومات بمثابة نقطة شائكة في دراسة المناخ القديم بإفريقيا<sup>3</sup>.

شهدت الكرة الأرضية بعد هذه الفترة الصعبة ارتفاعا محسوسا في درجات الحرارة مع بداية الهولوسين المقابلة لنهاية العصر الجليدي الأخير المعروف بالفورم، الذي حددت بدايته الباحثة هنريات أليمان (Alimen. H) ضمن فعاليات مؤتمر الجيولوجيا سنة 1952م<sup>4</sup> من خلال دراسة توضع الرواسب لواد الساورة بالجزائر في حدود 9000 ق.م<sup>5</sup>، غير أن هنالك اختلاف بين الباحثين في تحديد بداية الهولوسين، فمن جهتها ترى الباحثة حشيد (Hachid. M) أن بدايته يمكن أن تعود إلى حدود 12000 ق.م<sup>6</sup>؛ وعلى العموم أصبح المناخ أكثر ملائمة لاستقرار الجماعات البشرية خلال هذه المرحلة المعروفة ببداية الفترة القديمة المسماة اعتدال المناخ، وأصبحت شروط الحياة مناسبة<sup>7</sup>. رافق اعتدال المناخ خلال بداية الهولوسين ارتفاع في مستوى منسوب البحار وعودة الأمطار بشكل مستمر، كما تزايدت الرياح الموسمية المحملة بالأمطار المتجهة نحو الصحراء الوسطى

<sup>1</sup> -Hachid, 2007, op.cit., P : 8.

<sup>2</sup> - Ibid., P : 8.

<sup>3</sup> - فيرون، المرجع السابق، ص: 46.

<sup>4</sup> - H. Alimen. (1955), Préhistoire de l'Afrique, Généralités, T I, Boudée, France, P : 578.

<sup>5</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 20-21.

<sup>6</sup> - Hachid, 2007, op.cit., P : 7.

<sup>7</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit., P : 110.

والشمالية التي أنعشت مختلف مصادر المياه في كل من الهقار والتاسيلي، التيبستي، جنوب موريتانيا أين تشكلت بحيرات كبرى تغذيها الأنهار والروافد، وكانت هذه المناطق تحظى بالأفضلية عن فزان من حيث التساقط كون عودة الأمطار لم تكن متزامنة في جميع الأماكن<sup>1</sup> (شكل 7: جدول المراحل المناخية).

التاريخ مطلق	التزامن الجيولوجي للزمن الرابع	الأطوار للطرية الإفريقية		
		إفريقيا الشرقية	الصحراء	المغرب
0 12000	الهلوسان	الماكلى	فيرى	الرحابي
	البلاتوسين الأعلى	القابلى	الساوري	السلطان
		البلاتوسين الأوسط	الكافري	الأوقاري
	الكاماسي (2)		العامري	
	البلاتوسين الأسفل	الكاماسي (1)	التاوريري	الصالبي
		الكافري (2)		
	1.8	الكافري (2)	المازري	العقوبي
	2			
	3			

جدول 1: جدول يوضح الترابط الاحتمالي بين المراحل المناخية الإفريقية، والعصور الجليدية الألبية.

المصدر: سحنوني، 1999، ص: 28

<sup>1</sup> - بن بوزيد، 2016، المرجع السابق، ص: 1043.

تسببت الفترات المطيرة التي شهدتها مرحلتي البلايستوسين الأعلى وبداية الهولوسين، بتشكيل مجاري وأودية ذات امتداد واسع يفوق الامتداد الذي تظهر عليه أودية الصحراء حاليا بخمسة أو ستة أضعاف<sup>1</sup>، إضافة إلى تشكل بحيرات وفجوات عميقة أحيانا غيرت من شكل تضاريس السطح<sup>2</sup>. يؤكد وجود مثل هذه التضاريس على أن المنطقة عرفت مناخا رطبا كثير التساقط، نتج عنه حيوية ونشاط على مستوى الغطاء النباتي والحيواني، ويشار هنا إلى أن إعادة تعمير الصحراء بالسكان من جديد يعد بمثابة إعادة طبعها بحضارة بشرية جديدة، ولذلك سميت بالفترة النيوليتية حسب رأي الباحثة مليكة حشيد<sup>3</sup> (Hachid. M).

تميزت الفترة النيوليتية بصناعة الفخار، الزراعة والفن الصخري<sup>4</sup>، حيث عثر على قطع فخارية أرخت عن طريق الكربون المشع  $C^{14}$  في حدود عشرة آلاف سنة في كل من المواقع التالية: في النيجر في كل من: موقع تاغلغال الذي أرخ في حدود 10500 ق.م، وموقع أدرار البوس الذي أرخ في حدود 9530 ق.م وفي الجزائر في موقع تين هاناكتان بالتاسيلي نازجر في حدود 9420 ق.م، والمخبأ الصخري لوناوي بموقع تيفيديست ن-آهقار المؤرخ في حدود 9210 ق.م، ثم في ليبيا بمرتفعات الأكاكوس في كل من المواقع التالية: وان-تابو في حدود 8950 ق.م، وان-أفوده في حدود 8790 ق.م، تين-تورحا في 8640 ق.م<sup>5</sup>.

استمرت الفترة المطيرة من 10000 سنة ق.م إلى غاية 5000 سنة ق.م أو 4000 سنة ق.م تخللتها فترة جافة نسبيا ما بين 8000 و7000 سنة ق.م لكنها كانت قصيرة المدى لم تؤثر كثيرا على المنطقة، وفي حدود 5000 سنة ق.م أو 4000 سنة ق.م ظهرت فترة جفاف ثانية مع ارتفاع درجات الحرارة إلا أنها

<sup>1</sup> - G. Camps. (1974), op.cit., P : 226.

<sup>2</sup> - Alimen, 1987, op.cit., P : 224.

<sup>3</sup> - Hachid, 2007, P : 3.

<sup>4</sup> - Camps, 1974, op.cit., P : 226.

<sup>5</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit., p : 112.

لم تكن بقساوة الفترة السابقة التي عرفت بفترة الصحراء الجليدية، تمكن الإنسان من التعايش والتأقلم معها<sup>1</sup>.

تدرجت الفترة الجافة الأخيرة عبر مرحلتين متعاقبتين تتخللهما فترة مطيرة قصيرة المدى، امتدت المرحلة الجافة الأولى من 5000 أو 4000 ق.م إلى 3200 ق.م، في حين امتدت المرحلة الجافة الثانية من 2500 ق.م أو 2000 ق.م إلى غاية الوقت الحالي، وهي الفترة الأخيرة من مرحلة ما قبل التاريخ المعروفة بفترة ظهور الأحصنة والعربات، إضافة إلى اكتشاف المعادن وبداية ظهور رموز الكتابة مع مرحلة الجمل<sup>2</sup>.

يتسبب الانتقال من الفترات المطيرة إلى الفترات الجافة في تغيير الشكل العام للمنطقة، المتمثل في غياب بعض الأنواع النباتية والحيوانية، وتؤثر هذه التغيرات بدورها على النشاط البشري، هذا ما يفسر على الأرجح الاختلاف بين الحضارات المتعاقبة التي تظهر في المستويات الستراتيغرافية العديدة والمختلفة المحتوى في نفس الموقع الأثري، على غرار الحضارة العاترية والنيوليتية<sup>3</sup>.

ساعدت العوامل المعتمدة في تحليل مناخ الصحراء الوسطى في دراسة الطبقات الرسوبية واللقى الأثرية المكتشفة في المواقع المختلفة، المرتبطة بالحضارات البشرية المتعاقبة على المنطقة خلال حقبة متباينة، على غرار الحضارة العاترية، الإيبرومغربية، القفصية، النيوليتية، كما ساهمت في تحليل مشاهد الفن الصخري التي تتضمن مواضيع متنوعة حول النشاط البشري مثل: مشاهد الصيد، الاستئناس، الزراعة، الصراعات والأسلحة، إضافة إلى المشاهد المتعلقة باستخدام المعادن وصناعة الفخار وكل ما يشير إلى مظاهر الاستقرار البشري بالمنطقة، ومدى تجاوب الإنسان مع طبيعة التغيرات المناخية واتجاه تحركاته نحو الشمال والشرق<sup>4</sup>.

#### 4.5 المناخ الحالي

<sup>1</sup> - Hachid, 2007, op.cit., P: 7.

<sup>2</sup> - Ibid., P: 8.

<sup>3</sup> - Alimen, 1987, op.cit., P : 223.

<sup>4</sup> - Ibid., P : 224.

يمتاز مناخ الصحراء الوسطى وضمنها منطقة التاسيلي نازجر خلال الفترة الحالية بالبساطة والتشابه على مساحات واسعة، وحالة من التصحر بفعل تقدم الرمال الناجمة عن الرياح وتراجع الغطاء النباتي المرتبط بارتفاع درجات الحرارة المسببة للجفاف، حيث يتأثر المناخ الحالي بجملة من العوامل المتمثلة في: الحرارة، الأمطار والرطوبة، الرياح، التي نلخصها فيما يلي:

#### 1.4.5 الحرارة

يسود منطقة التاسيلي مناخ مداري جاف بارد شتاءً وحار صيفا، حيث تعد الصحراء الوسطى من بين أكثر مناطق العالم حرارة وجفافا، ويبلغ متوسط الحرارة في الأيام المعتدلة بالمنطقة حوالي 25°م، ويقدر معدلها في شهر جويلية ما بين 35°م كحد أدنى و46,6°م كحد أقصى تحت الظل على المرتفعات التي يفوق علوها 100م على مستوى سطح البحر<sup>1</sup>.

سجلت خلال فترة الجفاف الحادة التي شهدتها الصحراء خلال العشرينيات الماضية بعض الدرجات التي فاقت 56,3°م تحت الظل خلال منتصف النهار بين شهري جويلية وأوت، ويبلغ متوسط درجات الحرارة في الأيام الباردة في فصل الشتاء في شهر جانفي على مرتفعات التاسيلي 20,1°م كأعلى حد و4,2°م كأدنى حد لها في النهار، وتصل أحيانا إلى غاية -10°م في الليل على مستوى المرتفعات التي يفوق علوها 1000م، وتشهد المنطقة في فصل الشتاء 14 يوما للجليد حيث تصل إلى ما يقارب -60°م كأقصى مقياس على ارتفاع 1400م<sup>2</sup>.

درجة الحرارة °	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جون	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
الحد الأقصى اليومي	21	26	31	36	37	38	38	36	32	27	23	20
الأيام الحارة	27	30	35	38	40	41	46	39	37	33	29	26
الحد الأدنى اليومي	5	10	16	19	19	19	21	19	14	9	5	3

<sup>1</sup>- Perret, 1935, op.cit., PP : 169.

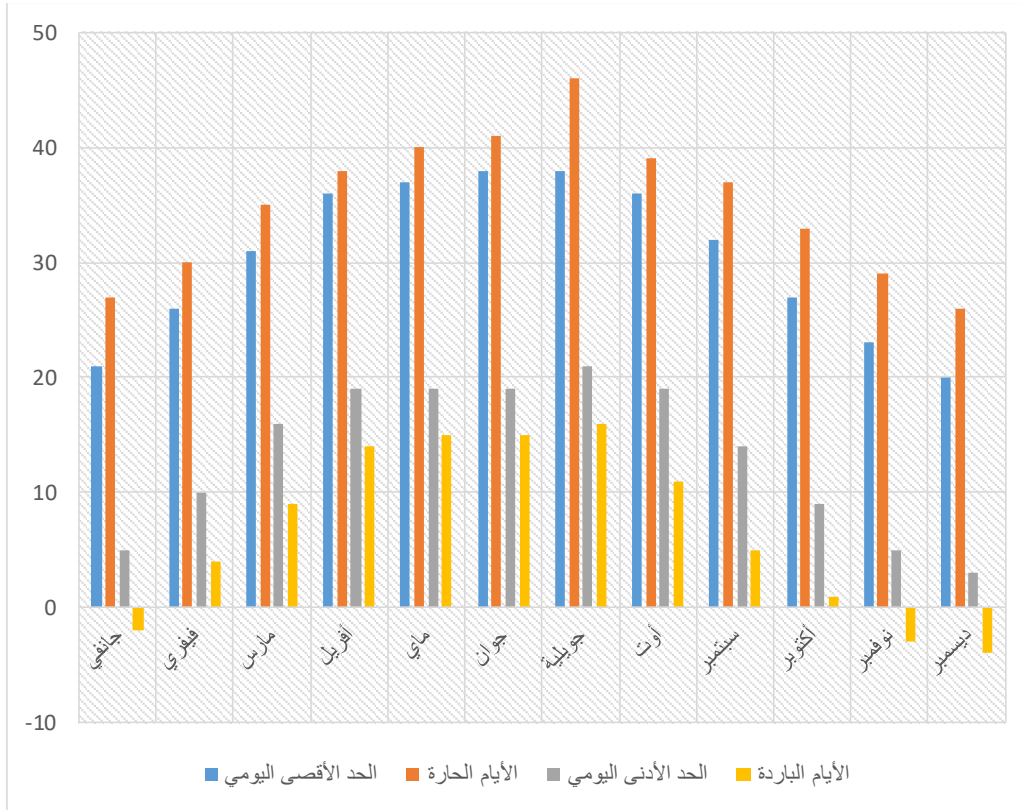
<sup>2</sup>- Ibid., PP : 169-170.

4-	3-	1	5	11	16	15	15	14	9	4	2-	الأيام الباردة
----	----	---	---	----	----	----	----	----	---	---	----	----------------

جدول 2: معدل درجات الحرارة بمدينة جانت خلال 30 سنة الماضية

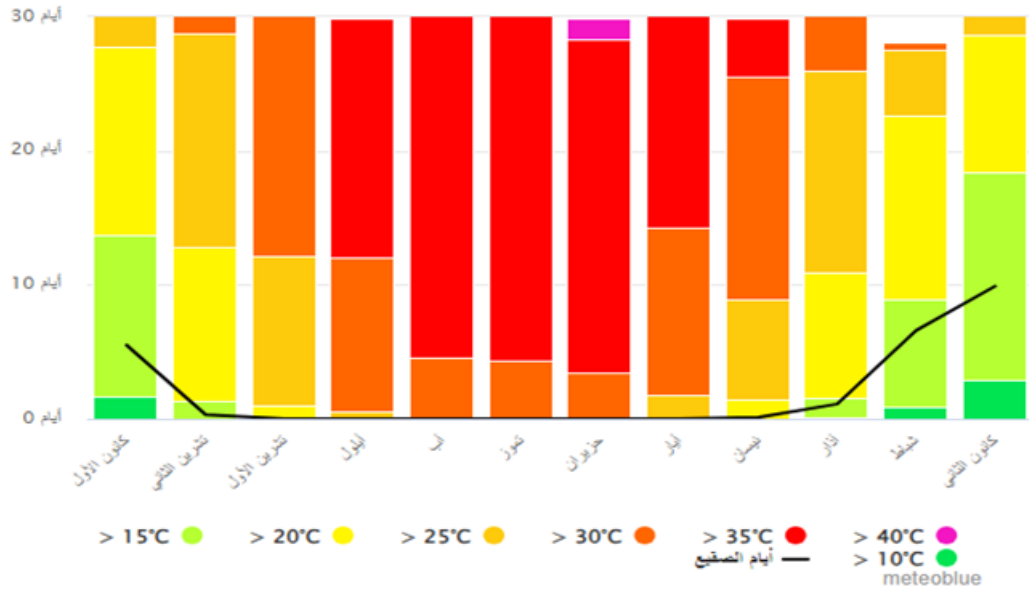
المصدر: <https://www.meteoblue.com/ar/weather/historyclimate>

يمثل الجدول أعلاه معدل درجات الحرارة خلال 30 سنة الماضية إلى غاية سنة 2023م حسب الأرصاد الجوية لموقع **Météoblue** لمدينة جانت، على المرتفعات التي يقدر علوها بحوالي 100م خلال 12 شهرا ما بين الدرجات الأعلى مقياسا والدرجات الأدنى مقياس، وفيما يلي رسم بياني يوضح تفاوت درجات الحرارة على مدار السنة (شكل 7)، ورسم بياني آخر يوضح أيام الصقيع (شكل 8)، مع إمكانية تعميم مناخ مدينة جانت على كافة منطقة التاسيلي نازجر فيما يخص المواقع التي تحمل نفس العلو.



شكل 7: رسم بياني يوضح تفاوت درجات الحرارة بمنطقة جانت على مدار 12 شهرا خلال 30

سنة الماضية (اعداد الطالبة).



شكل 8: رسم بياني يوضح أيام الصقيح على مدار السنة بمدينة جانت خلال 30 سنة الماضية.

المصدر: <https://www.meteoblue.com/ar/weather/historyclimate>

#### 2.4.5 الأمطار والرطوبة

يشكل الارتفاع على مستوى سطح البحر أحد أهم العوامل المؤثرة في درجات الحرارة التي تتحكم بدورها في نسبة التساقط ونوعية وكثافة الغطاء النباتي، وتعرف منطقة الصحراء الوسطى والجنوبية أمطار موسمية غير منتظمة تهطل على الصحراء الرملية باتجاه التاسيلي ناحية إيليزي لتمتد إلى غاية تمنراست ومرتفعات الهقار، مقابل فترات جفاف طويلة على طول السنة مع معدل تساقط لا يزيد عن 100 ملم سنويا، وهي نسبة تشهد تذبذبا محسوسا في السنوات الأخيرة<sup>1</sup>.

بالنسبة للرطوبة ونظرا إلى أن الصحراء تعرف جفافا قويا حيث تعد أشد المناطق تبخرا في العالم بفعل ارتفاع درجات الحرارة، سجلت مصلحة الأرصاد نسبة رطوبة تقدر ب: 60°م كأعلى تقدير لها في

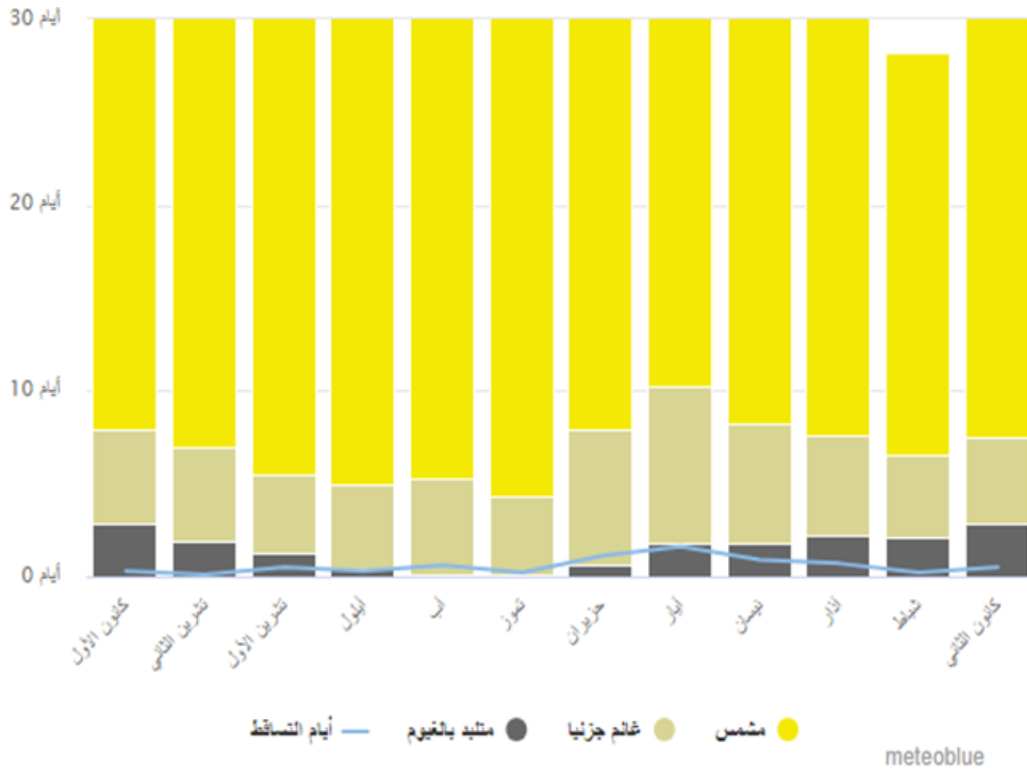
<sup>1</sup> - Barry, 1991, op.cit., P : 61.

شهر جانفي و30م في شهر جويلية<sup>1</sup>، وفيما يلي جدول ورسم بياني يوضحان نسبة التساقط والرطوبة بمنطقة جانت على المرتفعات المقدره ب 100م.

الأشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
التساقط ملم	0	0	1	0	1	0	1	2	1	2	1	1

جدول 3: معدل نسبة التساقط على مدار السنة خلال 30 سنة الماضية بمنطقة جانت

المصدر: <https://www.meteoblue.com/ar/weather/historyclimate>



شكل 9: رسم بياني لنسبة التساقط على مدار 12 شهرا خلال 30 سنة الماضية بمدينة جانت

المصدر: <https://www.meteoblue.com/ar/weather/historyclimate>

<sup>1</sup> - Barry, 1991, op.cit., P : 62.

## 3.4.5 الرياح

تشهد المنطقة هبوب رياح شمالية وشمالية شرقية على المناطق الوسطى والشرقية، مرتين في السنة في شهر ديسمبر وشهر ماي، تهب من الناحية الشرقية قادمة من خليج قابس نحو الجنوب حيث لا تعترض طريقها السلاسل الجبلية، إضافة إلى هبوب رياح شمالية غربية قادمة من مناطق الضغط الجوي المنخفض بالمحيط الهندي نحو مناطق الضغط الجوي المرتفع في مناطق الصحراء الوسطى، وهي رياح سنوية تهب في شهر جانفي<sup>1</sup>.

إذا انتقلنا من فصل الشتاء إلى فصل الصيف تهب رياح شمالية شرقية، حيث تكون الحرارة مرتفعة في الصحراء أين تتشكل رياح بفعل كتل الهواء الحارة القادمة من خليج برقة نحو الصحراء المسماة رياح الشهبيلي أو القبلي<sup>2</sup>، التي غالبا ما تتسبب في إبادة مواشي البدو الرحل في عدد من المناطق القاحلة والتي أصبحت حاليا خالية من السكان وتسمى صحراء الصحراء أشهرها منطقة تانزروفت بالجزء الجنوبي الغربي للجزائر، كما تتسبب في شل حركة المرور نتيجة تغطية أراضي التاسيلي بالكثبان الرملية على شكل قمم قد يتراوح ارتفاعها ما بين 250 م و 800 م أحيانا تعرف باسم سيوف أو غرود أو زمول<sup>3</sup>.

يشكل التقاء الرياح الصحراوية الحارة مع الرياح الشمالية الغربية الباردة المحملة بالرطوبة قوى متعاكسة تتسبب في تشكل زوايا رملية تنتقل على مناطق واسعة من الصحراء الوسطى والشرقية، تهب خاصة في شهر مارس، أبريل وماي، قد تتسبب أحيانا بهطول أمطار منعزلة<sup>4</sup>.

تهب في فصل الصيف في شهر جويلية رياح قادمة من أواسط أوروبا لتنتقل ناحية الغرب على المحيط الأطلسي، تلتقي هذه الرياح بالرياح الجنوبية فتغير من مسارها لتنتقل عبر موريتانيا نحو

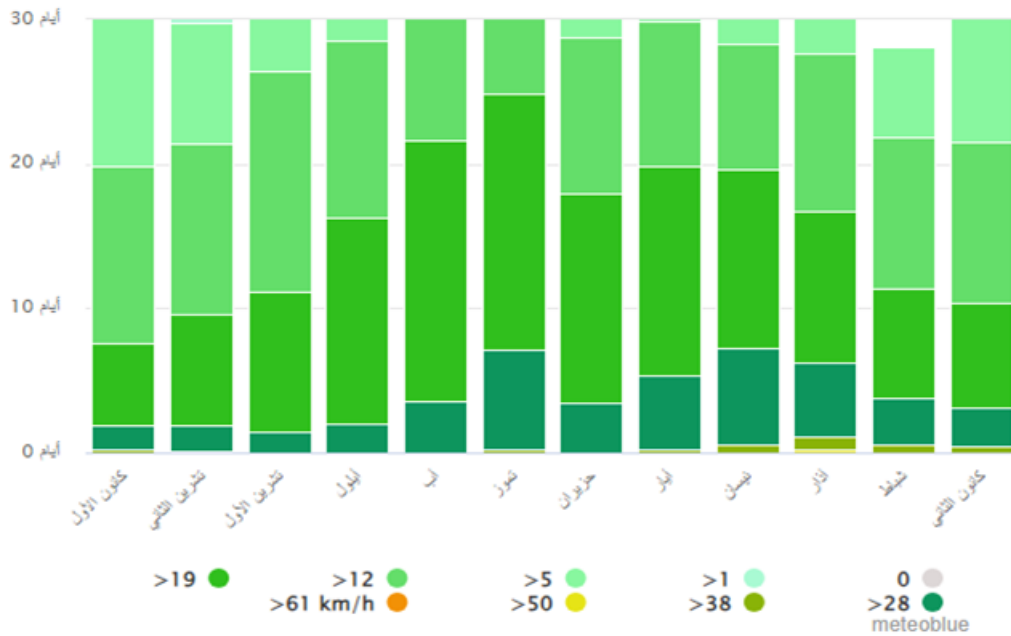
<sup>1</sup> - Barry, 1991, op.cit., P : 62.

<sup>2</sup> - Perret, 1935, op.cit., P : 163.

<sup>3</sup> - بشي، ج 1، المرجع السابق، ص : 90.

<sup>4</sup> - Perret, 1935, op.cit., P: 163.

الجنوب الجزائري ثم الصحراء الليبية والسودانية لتنتهي عند البحر الأحمر، تكون هذه الرياح في العادة محملة ببخار الماء، تتعرض إلى مرتفعات أدرار الإيفوراس والإير إضافة إلى الهقار والتاسيلي، فتساقط في شكل أمطار فيضانية تتناقص كميتها كلما اتجهت نحو الشرق إلى فزان وجنوب السودان، وتستغرق هذه الرياح 6 أيام على معدل 10 أيام من مدة هبوبها في المنطقة الممتدة من عين صالح إلى جانت<sup>1</sup>.



شكل 10: رسم بياني يوضح سرعة انتقال الرياح في الساعة بمدينة جانت على مدار أيام السنة خلال 30 سنة الماضية

المصدر: <https://www.meteoblue.com/ar/weather/historyclimate>

تساهم دراسة المناخ القديم في تحديد تاريخ الاستقرار البشري وأوجه النشاط المختلفة مع تقديم تفسيرات معقولة لها، أما بالنسبة لدراسة المناخ الحالي فتقدم لنا أسباب تغير النشاطات الحيوية وتطورها، مع أسباب زوال وإتلاف الموروث الثقافي الخاص للأمم السابقة ونقصد بذلك أماكن حفظ النقوش والرسوم الصخرية.

<sup>1</sup> - Perret, 1935, op.cit., PP: 164-166.

## 6- الأصناف النباتية

يرتبط الغطاء النباتي ارتباطا وثيقا بالمناخ، حيث شهدت حقبة الزمن الجيولوجي الرابع المطيرة المقابلة لبداية الهولوسين أحواضا مليئة بالأشجار في حين كانت السهول تمتد لتغطي السهوب الكثيفة إضافة إلى السافانا التي كانت تكسو أجزاء واسعة من الصحراء الوسطى<sup>1</sup>.

تشير الباحثة أوماسيب (G. Aumassip) إلى أقدمية الزراعة في المنطقة من خلال بعض البقايا الأثرية التي عثر عليها في المناطق المجاورة للتاسيلي والهقار، وهي بقايا لأدوات يرجح أنها كانت تستخدم في الزراعة أرخت في حدود الألف الثامنة ق.م، ولذلك تؤكد أوماسيب على أقدمية المرحلة النيوليتية بالمنطقة على عكس كثير ممن يرجح تأخر النيوليتي بشمال إفريقيا من الباحثين إلى حدود الألف الثالثة أو الرابعة ق.م<sup>2</sup>.

اعتمد الباحثون في التحري عن الأنواع النباتية التي كانت تنمو بمنطقة التاسيلي والصحراء الوسطى على عدة أدلة من أجل الحصول على المعلومات الكافية، لذلك توجه معظم الباحثين إلى محاولة تحليل المادة العضوية المستخدمة في تلوين الرسوم الصخرية على اعتبار أن الألوان المستخدمة في إنجازها قد تكون مستمدة من مستخلصات نباتية، غير أن النتائج خيبت الآمال ولم تقدم دليلا واضحا على هذه الأنواع<sup>3</sup>.

اهتمت أوماسيب من جهة ثانية بمشاهد مرحلة الرؤوس المستديرة التي تحتوي على نقوش لهيئات آدمية، تظهر إلى جانبها في حالات قليلة رسومات لبعض النباتات التي تشكل غذاء للحيوانات العاشبة، كما تدل الأدوات المخصصة للحراثة التي عثر على بقايا منها إلى جانب مشاهد تجسدها في

<sup>1</sup> - Barry, 1991, op.cit., P : 64.

<sup>2</sup> - Aumassip, 1997, op.cit., P : 56.

<sup>3</sup> - Estienne, 1951, op.cit., P : 335.

رسومات تعبر على ممارسة الزراعة، بمثابة شواهد تدل على توفر الغطاء النباتي بالمنطقة، بدليل توازن المعادلة القائمة على مقارنة كمية المياه أو الأمطار المتوفرة مع حاجة النباتات للماء<sup>1</sup>.

يمكن الجزم على أن الفترات المطيرة مهدت لحيوية كبيرة على مستوى الغطاء النباتي والحيواني معاً<sup>2</sup>، يضاف إلى ذلك بعض الأنواع النباتية دائمة الاخضرار التي لاتزال تنمو على ضفاف القلتات والأحواض المحاذية لواد جرات، مثل أشجار الأثل والسنت<sup>3</sup>، كما تمكن الإنسان بفضل الزراعة خلال هذا العصر من التعرف وتحديد الفصول المناخية من خلال أصناف النباتات، حيث تنمو بعض الفصائل في فصل دون غيره، وتشير نتائج الحفريات إلى بعض الأنواع من المزروعات على غرار: الشعير والذرى والقمح الذي كان أكثر المزروعات انتشاراً<sup>4</sup>.

تضاف زراعة الفول إلى المنتوجات التي سبق ذكرها ويعد من بين أقدم النباتات المغذية المحلية، بالإضافة إلى عدة محاولات لتدجين بعض الكروم البرية<sup>5</sup>، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن البدايات الأولى لهذه المزروعات مستمدة من أصولها البرية<sup>6</sup>.

أسفرت إلى جانب ما ذكر حول أنواع المزروعات نتائج أبحاث عالم النباتات شوفالييه عن اكتشاف نوع من الذرى الرفيعة والأرز في أراضي الجرامنت التي يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث<sup>7</sup>، كما عثر على آثار للتحركات البشرية جنوب فزان باتجاه تنزروفت في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد تزامنا مع فترة الجفاف التي شهدتها المنطقة، حيث عُثر على نوى التمر بمنطقة تنزروفت في

<sup>1</sup> - G. Aumassip. (2005), « Intervention humaine sur les plantes et les animaux dans le Sahara central », Pale vol, France, PP : 423-425.

<sup>2</sup> - Alimen, 1987, op.cit., P : 224.

<sup>3</sup> - Perret, 1935, P : 601.

<sup>4</sup> - ج. هاوكس، ول. وولي. (1967)، ما قبل التاريخ وبدايات المدينة أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة يسرى الجوهري، منشورات اليونيسكو، دار المعارف، القاهرة، ص ص: 107-108.

<sup>5</sup> - محي الدين المشرفي. (1969)، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط4، دار الكتب العربية، مصر، ص ص-34-35.

<sup>6</sup> - هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 108.

<sup>7</sup> - فيرون، المرجع السابق، ص: 49.

مدافن تعود إلى النصف الثاني من الألف الرابعة قبل الميلاد كدليل على انتشار أشجار النخيل لعل هذا ما يثبت أن الحياة كانت لاتزال ممكنة في هذه المنطقة خلال هذه الحقبة<sup>1</sup>.

تسببت موجة الجفاف التي اجتاحت الصحراء في حدود الألف الرابعة أو الثالثة ق.م في حدوث تغيير جذري على مستوى البيئة الطبيعية بما فيها الغطاء النباتي والحيواني الأمر الذي أدى إلى غياب أصناف وظهور أصناف أخرى، أو ظهور بعض الأنواع ببنية جديدة تأهلها للتأقلم مع الوضع الجديد<sup>2</sup>، ويغطي الصحراء حاليا غطاء نباتي يتناسب مع طبيعتها الحارة والجافة يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أصناف: الأشجار الباسقة، الشجيرات، الحشائش.

- الأشجار الباسقة: عبارة عن نباتات شوكية بعضها دائم الاخضرار مثل: شجرة الأثل المعروفة محليا ب"تاباركات" وتعرف في اللغة الأجنبية ب"Tamaris"، وشجرة أبسر المعروفة في اللغة الأجنبية باسم "Acacia" وتسمى باللغة العربية شجرة الطلح وهي شجرة ذات أهمية كبيرة في المنطقة، إضافة إلى شجرة الأراك.

- الشجيرات: هي عبارة عن نباتات قصيرة ترتفع على سطح الأرض الى متر أو أكثر بقليل، تخضر في فصل الصيف وتجف في فصل الجفاف مثل شجرة أفيزو "Afezou" بلغة الطوارق المعروفة في اللغة العربية باسم "أم روكبة"، إضافة إلى شجيرة أرماس عند الطوارق تقابلها في اللغة العربية شجرة القطاف، إضافة إلى عدد من الأصناف الأخرى.

- الحشائش: تتمثل في الأعشاب التي تنمو بعد سقوط الأمطار وتذبل وتختفي بعد هبوب الرياح الجافة بداية من شهر أفريل، وتشكل الحشائش مرعى للحيوانات الأليفة والبرية مثل: نبات الجرجير المعروف في لغة الطوارق ب"ألوات"، ونبات القزح، الشيخ، العرفج، السميري المعروفة في اللغة العربية باسم "الأرقية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit.-P-120.

<sup>2</sup> - A. Morel. (1991), « Prologue. De l'originalité des montagnes du Sahara », *Revue de géographie alpine*, T79, N°1, France, P : 15.

<sup>3</sup> - بشي، ج 1، المرجع السابق، ص ص: 96-114.

تعد هذه الأنواع التي سبق ذكرها نباتات برية، أما فيما يخص النباتات المستأنسة فتشكل الزراعة المروية الغذاء الأساسي للطوارق إضافة إلى كونها طريقة للتبادل التجاري مع الجماعات البشرية المجاورة، وأشهر المزروعات نذكر: واحات النخيل، القمح، إضافة إلى الطماطم التي يستخدمونها كثيرا في الأغراض التجارية على شكل طماطم مملحة، كما تختلف طرق الفلاحة في مختلف الكتل الصخرية الصحراوية حسب طبيعة التربة<sup>1</sup>.

يتضح من خلال دراسة الأنواع النباتية القديمة والحالية لنفس المنطقة وجود مفارقات واضحة وعميقة، يمكن الاعتماد عليها كمبررات لتوضيح أوجه الاختلاف المسجلة على مستوى توزيع أماكن الاستقرار وطبيعة النشاط البشري بين مختلف المراحل التاريخية.

## 7- الغطاء الحيواني

تدل مشاهد الفن الصخري على أن الصحراء الوسطى فيما مضى احتضنت غابة واسعة من الحيوانات المختلفة<sup>2</sup>، لم تعد معظمها موجودة في البيئة الصحراوية الحالية على غرار: الفيلة، الزراف، الكركدن، أفراس النهر، التماسيح الكبيرة وعدد من الحيوانات الضخمة التي تحتاج إلى مياه وفيرة وكلاً كثير، كما تدل المشاهد الكثيرة التي تركز على المواضيع الحيوانية على أهميتها وكثرتها بالمنطقة، إضافة إلى مشاهد الأسماك المختلفة، ويُشار هنا إلى أن بعض الأحواض المائية على ضفاف واد جرات لاتزال تحتفظ ببعض الأصناف من الأسماك والبرمائيات حالياً<sup>3</sup>.

تثبت الحفريات أن الصحراء الكبرى شهدت هجرة للحيوانات السودانية خلال الفترات الرطبة التي رافقت المرحلة النيوليتية، كما دلت الحفريات على وجود نوع من الرخويات القارية على غرار صنف: بلانورب وليمينيا إضافة إلى الأسماك والتماسيح<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - Bernus, 1991, op.cit., P : 121.

<sup>2</sup> - Hachid, 2007, op.cit., P : 36.

<sup>3</sup> - Perret, 1935, op.cit., P : 600.

<sup>4</sup>- فيرون، المرجع السابق، ص : 48.

تشير فرضيات أخرى إلى أن أنواعاً من الماعز والأغنام المدجنة تم إدخالها إلى مصر عبر سيناء قبل توجهها نحو الغرب إلى منطقة هو أفتيح في الجبل الأخضر في برقة في حدود سنة 6800 ق.م، ثم إلى كهف كابتيلي بمنطقة الأوراس بالجزائر في حدود 6530 ق.م ومنها إلى الصحراء الوسطى<sup>1</sup>.

تُرجح هذه الفرضيات أن الخروف الكبير أدخل بنفس الطريقة من الشمال، غير أن هذا الرأي ضعيف كونه مستنبط من عينة واحدة أجريت خلال الخمسينيات، كما عثر في منطقة الأكاكوس على عظام الأوفيكابرينات (Ovicaprinés domestiques)<sup>2</sup> في موقع وان تالكوت، المؤرخة في حدود الألف الثامنة قبل الميلاد وهو ما يتناقض مع فرضية إدخالها عن طرق الانتقال البطيء من الشمال مروراً بسيناء، لعل هذا ما يثبت أن مشاهد الاستئناس للخروف بالصحراء الوسطى لا يمكن أن تكون أقل من الألف السابعة قبل الميلاد، وينطبق الأمر على الأبقار المدجنة حيث أن أغلب اللوحات ذات تعبير رعوي ما يدل على ازدهار هذا المجال، وفي هذا الصدد ارتبطت الحياة الدينية بالحياة الاجتماعية حيث عبر سكان هذه الحقبة عن تقديم أول المظاهر الجنائزية ذات القرابين من مواشيم<sup>3</sup>.

تشير مشاهد الفن الصخري في عدد من المحطات بالتاسيلي نازجر إلى أصناف لحيوانات مستأنسة كالأبقار والضأن والأحصنة ثم الجمال في مرحلة لاحقة، إضافة إلى المشاهد التي تجسد نشاط الاستئناس والرعي، يمكن الاستناد كذلك إلى عظام الحيوانات التي عثر عليها في شكل مقابر في مناطق متعددة من بينها مقبرة المنخور بمنطقة تادراوت، حيث تشكل هذه المنطقة حلقة وصل والتقاء بين الصحراء الوسطى والجنوبية، إضافة إلى مقبرة تين هانكتان بالتاسيلي نازجر التي عثر فيها على بقايا عظمية لأبقار أثبتت التحاليل أنها أنواع مستأنسة أرخت في حدود 8000 ق.م<sup>4</sup>.

عثر على بقايا عظمية لأبقار وماعز في أعالي الصحراء الوسطى أرخت في حدود 6000 أو 7000 ق.م أكدت النتائج التشريحية على أنها أنواع مدجنة، كدليل على شيوع ظاهرة الاستئناس لهذه الأنواع،

<sup>1</sup>- Le Quellec, 2006, op.cit., PP : 116.

<sup>2</sup>- أوفيكابرينات : عبارة عن أصناف برية تم استئناسها من حيوانات الماعز والخنازير والخراف وأنواع من الثيران.

<sup>3</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit., PP : 116-118.

<sup>4</sup> - Aumassip, 2005, op.cit., P : 422.

انطلاقاً من هذه المعطيات ترجح الباحثة حشيد أن الإنسان عرف ظاهرة الاستئناس في المنطقة منذ حوالي 8000 ق.م، ومن بين أهم الأنواع المستأنسة نذكر: الأغنام، الماعز، الأبقار، الخنازير، الأحصنة، الجمال، الكلاب<sup>1</sup>.

ترجح الباحثة أوماسيب في ذات الصدد أن يعود أقدم تأريخ لمرحلة الاستئناس إلى نهاية الألف الثامنة ق.م أي في حدود  $7220 \pm 140$  ق.م، حيث سميت هذه المرحلة بفترة البقرات بفعل كثرة النقوش التي تحمل مشاهد الأبقار في وضعيات مختلفة في منطقة التاسيلي الداخلي والهضاب الصخرية بالتاسيلي نازجر، وتمتد هذه التسمية إلى غاية 4000 أو 3500 ق.م حيث بدأ استئناس الأبقار يتراجع شيئاً فشيئاً بفعل الجفاف، ويعوض باستئناس الماشية والماعز ثم الجمال كونها أصناف قادرة على التأقلم مع بيئة جافة ذات حرارة مرتفعة<sup>2</sup>.

تحولت الجماعات البشرية من حياة الاستقرار على ممارسة الزراعة إلى حياة الرعي والترحال للبحث عن مكان أفضل، خلال فترات الجفاف التي شهدتها الحقبة النيوليتية ولعل هذا أفضل ما يفسر انتشار المشاهد الصخرية المتشابهة من حيث الموضوع وطريقة الأداء على مساحات واسعة من مناطق الصحراء الوسطى، وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الأصناف الحيوانية القادرة على التأقلم مع البيئة الحارة والجافة، قد استمرت إلى يومنا هذا في المناطق الصحراوية وخاصة المستأنسة منها مثل الإبل التي تشكل أهم حيوان بالنسبة لسكان الصحراء، فضلاً عن الماعز والأغنام والأحمر الأليفة<sup>3</sup>.

يسود الصحراء في الوقت الحاضر أصناف برية يتمثل أغلبها في الزواحف والطيور، حيث يمثل التاسيلي الموطن المفضل للزواحف بمختلف أنواعها بفضل ما تحتويه تضاريسه من كثرة الفجوات والمخابئ الصخرية، إضافة إلى كون المنطقة أصبحت خالية من التجمعات البشرية، ومن بين أنواع الزواحف المعاصرة نذكر: الثعابين والأفاعي، الحرباء والورل، ونوع من التماسيح صغيرة الحجم

<sup>1</sup> - Hachid, 2007, op.cit., P : 11.

<sup>2</sup> - Aumassip, 2005, op.cit., P : 422.

<sup>3</sup> - Ibid., PP: 423-426.

المعروفة باسم أروشاف في لغة الطوارق، وبالنسبة للطيور نذكر: الحمام البري والغربان، إضافة إلى عدة أنواع من النسور والعقبان، ويضاف إلى الطيور والزواحف أنواع مختلفة من الحشرات مثل: العناكب الكبيرة والسامة، العقارب، الجعل والخنفساء<sup>1</sup>.

### حوصلة

تعد منطقة التاسيلي نازجر من ناحية التكوينات الجيولوجية منطقة ضاربة في القدم تزخر بالعديد من المزايا الطبيعية المتنوعة من الناحية الجغرافية والمناخية، التي عرفت عدة تغيرات مع مرور الزمن، وقد تمكنا من خلال هذه الدراسة من إعطاء تصور تقريبي للبيئة التي عاش فيها منجزي الفن الصخري، بغية محاولة الربط بين هذه المعطيات وما تحمله المشاهد الصخرية من تفاصيل حول حياة منجزها، لغرض الوصول قدر الإمكان إلى تحديد العلاقة بين الإنسان ومحيطه.

ساعدت العوامل المعتمدة في دراسة المناخ القديم بالصحراء الوسطى في تحليل مشاهد الفن الصخري التي تتضمن مواضيع متنوعة حول مظاهر الاستقرار البشري بالمنطقة، ومدى تجاوب الإنسان مع طبيعة التغيرات المناخية واتجاه تحركاته وتنقلاته، وهو ما نتحدث عنه ضمن الفصل الثاني.

يعد من جهة ثانية اختلاف تسمية ذات الوديان الممتدة على طول مرتفعات التاسيلي والهقار بين منطقة وأخرى، دليلا على الأرجح على اختلاف المفردات بين الجماعات البشرية التي عمرتها، وهو ما يشير على أنها ربما انعكست لاحقا على رموز وأحرف الكتابة الصخرية، لعل هذا ما يفسر الإشارة إلى حرف واحد بأكثر من شكل على غرار حرف "ج" الذي يشار إليه بأكثر من صيغة.

<sup>1</sup>- بشي، ج1، المرجع السابق، ص ص: 118-128.

# الفصل الثاني

دراسة التركيبة السكانية ومظاهر التعمير

البشري

## تمهيد

عرفت الصحراء الوسطى عامة ومنطقة التاسيلي نازجر على وجه الخصوص تعميماً بشرياً منذ العصور السحيقة، دلت على ذلك البقايا الأثرية التي عثر عليها ضمن الطبقات الأركيولوجية المؤرخة منذ مرحلة العصر الحجري القديم، كما تعاقبت على المنطقة عدة ثقافات تنسب إلى حضارات مختلفة على غرار: الأشولية والعاترية وصولاً إلى الحضارة النيوليتية، وفي هذا دليل على أن المنطقة كانت جاذبة للسكان سابقاً نظراً لمميزاتها الطبيعية والمناخية، حيث ارتبط التعمير البشري منذ القديم ارتباطاً وثيقاً بالمناخ والمياه، كما أن المنطقة تتمركز في قلب الصحراء الوسطى ما يجعلها بمثابة حلقة اتصال بين المجموعات البشرية لعل هذا ما صيرها لتحظى بأكبر قدر من اللقى الأثرية المتنوعة، ولا تزال تشهد تعميماً خلال المرحلة المعاصرة لفئة الطوارق في عدد محدود من الأماكن بالنسبة لمنطقة التاسيلي والهقار على الرغم من قساوة المناخ وتراجع الغطاء النباتي منذ الألف الثانية قبل الميلاد.

شهدت الصحراء هجرات بشرية جماعية تزامنت مع مراحل الجفاف التي ضربت المنطقة خلال فترات متفاوتة، أكثرها قساوة تلك التي أعقبت نهاية الحضارة العاترية التي تلاها انقطاع الأثر البشري من الطبقات الأركيولوجية تزامناً مع نهاية حقبة البلايستوسين، ليعود التعمير مع بداية الهولوسين خلال العصر الحجري الحديث، حيث ظهرت الحضارة النيوليتية التي تعتبر من أهم الحضارات المتعاقبة على منطقة التاسيلي نازجر كونها تعد بمثابة قفزة نوعية في تاريخ النشاط البشري من حيث الإنتاج المادي والفكري، كما أنها مهدت لخروج الإنسان من مرحلة العصور الحجرية ودخوله المرحلة التاريخية، حيث نركز في هذا الفصل على دراسة الأجناس والثقافات البشرية المتعاقبة على منطقة الدراسة، ومدى انتشارها في كافة شمال إفريقيا عن طريق الهجرات البشرية التي ساهمت في توسيع عملية التبادل الحضاري بين مختلف الجماعات.

## 1- مناهج دراسة السلالات البشرية

يعتقد الكثير من علماء السلالات والأجناس على غرار ما قدمه الباحث براس (Prasse) سنة 1964م حول صفات الأجناس البشرية بقارة إفريقيا، أن أقدم سكان للقارة في المناطق الواقعة ضمن خطوط العرض المدارية كانوا ذوي بشرة داكنة، نتيجة لردود الجلد لحماية نفسه من أشعة الشمس العمودية الإسقاط، بينما لون البشرة والعيون الفاتحة لدى شعوب الشمال على الأغلب أنها صفات ثانوية ولدها التحول أو الضغط الانتقائي<sup>1</sup>، حيث أيد هذا الرأي الباحث كول (Cool) في فرضية طرحها سنة 1965م حول ارتباط الصفات الإنسية بالبيئة السائدة<sup>2</sup>.

سمحت نتائج دراسة وتتبع الصفات الفيزيولوجية لدى الأجناس الإفريقية، بتحديد صفات التشابه والاختلاف بين معمرى البيئات المختلفة، حيث تتميز الجماعات التي تعيش في البيئات الرطبة ذات الغطاء النباتي الكثيف بلون أفتح وقامات أقصر، في حين يتصف معمرى السهوب والسواحل بلون أذكى وقامات أطول، فقد لوحظ شبه بدني كبير بين أعراق بعيدة من حيث النسب والدم في كل من شعب الدينكا جنوب السودان وشعب الـوولف بالسينغال، من حيث لون البشرة الداكنة وطول القامة، ربما يعود السبب لتأثرهم بالبيئة المتشابهة حيث تقع أماكن تواجدهم على خط عرض واحد، وقد يعود السبب كذلك إلى عامل الهجرة البشرية<sup>3</sup>.

تشير نتائج الأبحاث المتعلقة بدراسة الأجناس البشرية بأن الصفات القياسية الإنسية تتأثر بالمناخ أكثر مما تتأثر به النطف، إلى درجة أن التوافقات الشكلية تتبع البيئات المتشابهة أكثر مما تتبع المورثات المتشابهة، حيث بينت نتائج الإحصائيات النموذجية العالمية: أنه بالنسبة للعالم كله أكثر

<sup>1</sup> - الضغط الانتقائي: عبارة عن مصطلح علمي، يشار به في علم الأحياء التطوري إلى العملية الديناميكية التطورية على مستوى تسلسل الحمض النووي، من خلال الانحراف الوراثي الناتج عن إعادة التركيب الجيني للتكيف مع المعطيات البيئية.

<sup>2</sup> - ج. كي زيبو. (1980)، «النظريات المتعلقة بالعروق وتاريخ إفريقيا»، تاريخ إفريقيا العام، فصل 10، مجلد 1، (المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا)، اليونيسكو، ص: 277.

<sup>3</sup> - د. أولدروج. (1980)، «الهجرات والاختلافات السلوكية واللغوية»، تاريخ إفريقيا العام، فصل 11، مجلد 1، (المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا)، اليونيسكو، ص: 289.

من 85% من قابلية التغير تقع داخل القوميات، بينما 7% فقط تفصل القوميات المنتمية لعرق تقليدي واحد، وبصفة عامة فإن الأفراد من المجموعة العرقية الواحدة يختلفون فيما بينهم أكثر من اختلاف الأعراق فيما بينها<sup>1</sup>.

تثبت الأبحاث الأثرية لتطور الأجناس والسلالات دور المناخ في التطور البشري على نطاق واسع يمتد إلى ملايين السنين منذ عصر الميوسين، حيث تشير نتائج الأبحاث التشريحية إلى ظهور الإنسان الحديث (الإنسان العاقل) بإفريقيا ما بين: 100-200 ألف سنة، مع حدوث تحول مهم في السلوك البشري أو ما يسمى بثورة العصر الحجري القديم الأعلى، التي تظهر على مستوى الأدوات أو الصناعات الحجرية<sup>2</sup>.

اعتمدت الأبحاث المتعلقة بدراسة السلالات البشرية على فحص تسلسل الحمض النووي DNA منذ سنة 1980 م، ثم رُبطت نتائج هذه الأبحاث مع الدراسات المتعلقة بالأنثروبولوجيا الجزيئية من خلال تطبيقها على الدراسات التطورية، حيث يتكون الحمض النووي للصبغيات البشرية الأربعة والعشرون من أربعة قواعد أساسية: G C T A المسؤولة على تسلسل الجينوم، الذي يتكون أساساً من 30000 جيناً محدداً للصفات الأساسية للأجناس البشرية، حيث تتم مقارنة تسلسلات الأحماض النووية وقياس العلامات الجينية في الجماعات البشرية والحيوانية حول العالم مع الأخذ بعين الاعتبار الطفرات التي تحدث في حوالي واحد من مليار قسم من أقسام الخلايا، حيث يمكن تحديد السلف المشترك لشخصين من جهة الأم قبل حوالي 10000 سنة تقريباً<sup>3</sup>.

ساهمت من جهة ثانية دراسة التنوع الجيني لحمض الميتوكوندريا والكروموسوم Y بين الجماعات البشرية، إلى إنتاج بيانات موضوعية توفر رؤى جديدة لتاريخ البشرية على مدى آلاف السنين، وتحديد الاتجاهات والتحركات البشرية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- كي زربو، 1980، المرجع السابق، ص: 274.

<sup>2</sup>- Burrogh, 2005, op.cit., P : 11.

<sup>3</sup>- Ibid., P : 8.

<sup>4</sup>- Burrogh, 2005, op.cit., P: 10.

اعتمد علماء ما قبل التاريخ إلى جانب الدراسات التشريحية والبيولوجية، على دراسة وتتبع اللقى الأثرية للصناعات الحجرية والعظمية وآثار الصقل ومشاهد الفن الصخري، التي تشكل أفضل دليل على نمط تفكير منجزها واتجاهاتهم الثقافية<sup>1</sup>.

نستخلص من خلال نتائج هذه الفرضيات أن السلالات والأعراق البشرية يمكن أن تتحدد انطلاقاً من عاملين أساسيين هما: العامل البيولوجي المتمثل في الوراثة الجينية، والعامل البيئي المتمثل في آثار البيئة والمناخ على الجانب الشكلي للفرد منذ المرحلة الجنينية، حيث يتأقلم الإنسان حسب ظروف محيطه وبالتالي تختلف الاتجاهات الفيزيولوجية وحتى الثقافية بين الجماعات البشرية من حيث: الشكل، نمط الملابس، المسكن، المأكل وغير ذلك.

## 2- التركيبة السكانية بمنطقة التاسيلي نازجر

شهدت منطقة التاسيلي نازجر تعميراً بشرياً منذ العصور القديمة دلت عليها جملة اللقى الأثرية والشواهد المادية وأبرزها مشاهد الفن الصخري إضافة إلى الشهادات الشفوية المنقولة عن سكان المنطقة الحاليين ممن يعتبرون أنفسهم من السكان الأصليين، حيث تنقسم التركيبة البشرية التي عمرت المنطقة إلى فئتين: الفئة التي عمرت مرحلة البلايستوسين<sup>2</sup>، والفئة التي عمرت مرحلة الهولوسين<sup>3</sup>.

### 1.2 الفئة البشرية خلال مرحلة البلايستوسين

ساهمت الدراسات التشريحية والأركيولوجية والأنثروبولوجية في تحديد المواصفات العامة لمعمري منطقة التاسيلي نازجر خلال مرحلة البلايستوسين، من خلال ما تم العثور عليه من بقايا عظام

<sup>1</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 79.

<sup>2</sup> - البلايستوسين: عبارة عن فترة جيولوجية تقابل بداية الزمن الجيولوجي الرابع (Quaternaire)، تبدأ منذ حوالي 0,7 مليون سنة وتنتهي في حدود 11800 ق.م، وتنقسم إلى ثلاث مراحل: البلايستوسين الأسفل، الأوسط الأعلى، سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 12.

<sup>3</sup> - الهولوسين: عبارة عن فترة جيولوجية تبدأ منذ منتصف الزمن الجيولوجي الرابع (الرباعي)، منذ حدود 11800 ق.ح المقابل لنهاية العصر الجليدي الأخير بأوروبا المعروف بالفورم، تتميز بداية الهولوسين باعتدال المناخ من الجاف إلى الرطب وارتفاع درجات الحرارة، سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 12.

أدمية وصناعات حجرية بعدد من المواقع بالمنطقة المدروسة وحولها، ويشير من جهته الباحث ستيفان غزال إلى أنه حتى في غياب الشواهد التشريحية والبيولوجية يمكن اعتبار الصناعات الحجرية المتنوعة أفضل دليل على التعمير البشري بالمنطقة منذ الفترات الأولى للعصر الحجري القديم<sup>1</sup>، وفي ذات الصدد يرى شارل أندري جوليان أن أقدم إنسان عثر على آثاره في شمال إفريقيا يعود إلى 300-400 ألف سنة، وفقا لما تكشفه نتائج الترسبات المتحجرة لمواقع متعددة من شواطئ البحر المتوسط<sup>2</sup>. يتزامن تاريخ تواجد الإنسان العاقل-العاقل بمنطقة شمال إفريقيا بصفة عامة مع تاريخ تعمير الحضارة العاترية المقابل للعصر الحجري القديم الأعلى بأوروبا، وتشير الدراسات التشريحية إلى أن الإنسان المشتوي<sup>3</sup> (Mechtöide) صانع الحضارة الإيبيرومغربية ينحدر على الأرجح من الإنسان العاتري الذي عمّر مناطق واسعة من شمال إفريقيا ومن بينها منطقة التاسيلي نازجر ما بين 40000-20000 ق.م<sup>4</sup>، على الرغم من أن دراسات سابقة تنسب الإنسان الإيبيرومغربي إلى إنسان كرومانيون بأوروبا غير أنها فرضيات ضعيفة لم تثبت صحتها، لعل هذا ما يدل على اتجاه الهجرة البشرية الجماعية نحو الشمال، بعد موجة الجفاف القاسية التي ضربت أغلب مناطق الشمال الإفريقي خلال 20000 ق.م<sup>5</sup>.

لازم الإنسان المشتوي المناطق الساحلية والتلية بالقرب من أماكن تركز المياه، وانتشرت آثاره في كل من جنوب إسبانيا وجزر الكناري، كما أنه يتميز بالصناعات الحجرية صغيرة الحجم، ويشترك مع

<sup>1</sup> - Gsell, 1928, op.cit., P : 128.

<sup>2</sup> - شارل أندري جوليان. (1969)، تاريخ شمال إفريقيا، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة، دار التونسية للنشر والتوزيع، ط1، تونس، ص:30.

<sup>3</sup> - الإنسان المشتوي: عبارة عن أحد نماذج الإنسان العاقل بشمال إفريقيا، عثر عليه لأول مرة بموقع مشقي العربي بالغرب الجزائري سنة 1934م فأخذ عنها تسميته، قسمت الباحثة م.ك. شاملة أنواعه إلى أربعة أقسام تختلف في حجم طول الجمجمة، للمزيد من الاطلاع ينظر:

M. C. Chamla. (1968), « Les Populations Anciennes Du Sahara et des Régions Limitrophes », Mémoire de C.R.A.P.E, N°9, Paris.

<sup>4</sup> - العربي عقون. (2010)، الأمازيغ عبر التاريخ-نظرة موجزة في التاريخ والهوية، ط1، دار التنوخي للنشر والتوزيع، الرباط، ص: 20-21.

<sup>5</sup> - Hachid, 2007, op.cit., P : 9.

إنسان كرومانيون<sup>1</sup> (Cro-Magnon) الذي عمّر إسبانيا في نفس الصفات الفيزيولوجية المتمثلة في: الجمجمة طويلة ذات سعة مقدرة بحوالي 1,650 سم<sup>3</sup>، شكل الوجه طويل ذي فك عريض مع قواطع مبتورة (وهي ظاهرة شائعة لدى الإيبرومغربيين)، وطول قامة مقدر بـ 1,72 م<sup>2</sup>، ويلاحظ أن هذا النموذج عمّر فترة هامة من الزمن حيث عُثر على عدة جماجم مشتوية الصفات في مقابر تعود إلى فجر التاريخ، وتتواجد صفات الإنسان المشتوي حالياً في عدد من سكان شمال إفريقيا المقدر بحوالي 3% أغلبهم من معمري جزر الكناري<sup>3</sup>، لعل هذا ما يدل على استمرارية التعمير البشري بمنطقة شمال إفريقيا.

ظهر خلال نهاية مرحلة البلايستوسين وبداية الهولوسين نموذج جديد للإنسان العاقل-العاقل تمثل في الإنسان القفصي الذي عمر مناطق واسعة من تونس والشرق الجزائري، كما عُثر على عدد من آثاره شمال منطقة التاسيلي نازجر، يحمل خصائص متوسطة ويتميز عن الإنسان المشتاوي في عدد من الصفات الفيزيولوجية المتمثلة في انسجام الجمجمة واعتدال زاوية الفك مع أنف ضيق وقامة طويلة نوعاً ما، وهو شبيه في هذه الخصائص بالإنسان النطوفي<sup>4</sup> في الشرق الأدنى وإنسان برنو (Brno) في أوروبا، خلف الإنسان القفصي آثاراً مادية تمثلت في بقايا المواقد أو الرماديات إضافة إلى الحلزونات وقشور بيض النعام، وتنوعت الصناعات القفصية بين النصال والأزاميل والحرايب وغيرها، وتتداخل المرحلة القفصية مع المرحلة النيوليتية إلى حد كبير<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> إنسان كرومانيون: نموذج للإنسان العاقل بأوروبا، اكتشف سنة 1868 م بفرنسا.

<sup>2</sup> سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 68.

<sup>3</sup> عقون، 2010، المرجع السابق، ص: 21-23.

<sup>4</sup> الإنسان النطوفي: ينسب إلى الحضارة النطوفية أين ظهرت أولى التجمعات السكانية المستقرة بالقرب من نهر نطوف الذي يمتد ما بين فلسطين والأردن، وكانت تضم هذه الحضارة العشرات من المستوطنات البشرية، انتهت هذه الحضارة مع نهاية الألف التاسعة قبل

الميلاد، للمزيد من الاطلاع ينظر: L. Dubreuil. (2004), «Long-term trends in Natufian subsistence: a use-wear analysis of ground stone tools», *Journal of Archaeological Science*, V31, N° 11.

<sup>5</sup> عقون، 2010، المرجع السابق، ص: 24-25.



شكل 12: صورة تخيلية للإنسان المشتاوي

المصدر: Aumassip, kerzabi, 2018, P : 108



شكل 11: صورة تخيلية للإنسان المعتدل

المصدر: G. Aumassip, SA. Kerzabi. (2018), Mémoire des pierres ce que l'image apporte à l'Histoire, ANEP, Alger, P : 122



شكل 13: صورة توضح الفرق بين جمجمة الإنسان المشتاوي على اليمين وجمجمة الإنسان القفصي على اليسار.

المصدر: L. Balout. (1955), Préhistoire de l'Afrique du Nord, Art et matières graphiques, paris, P : 125

## 2.2 الفئة البشرية خلال مرحلة الهولوسين

عمرت شعوب من جنس البحر المتوسط منطقة شمال إفريقيا خلال مرحلة الهولوسين، في حين سكنت شعوب من النموذج الأتيودي<sup>1</sup> إفريقيا الشرقية مثل نموذج كينيا، بينما ساد الجنس الزنجي المناطق الواقعة جهة خطوط العرض المدارية في إفريقيا الغربية وفي كونغولا والسودان، كما عثر على هياكل عظمية لنماذج زنجية بعضها قديمة التأريخ وأخرى أحدث منها في جنوب نيجيريا، وبالتالي يرجح أن تكون هذه المنطقة (الصحراء الوسطى) البؤرة الأصلية لهذا النموذج البشري<sup>2</sup>.

تعتبر مشاهد الفن الصخري أفضل دليل أركيولوجي على نوع التركيبة البشرية التي عمرت مرحلة الهولوسين، من خلال ما يقدمه من معلومات قاطعة حول مواصفات الأجناس التي أنجزت هذا الموروث.

تبرز النقوش والرسوم الصخرية مشاهد بشرية ينسب بعضها إلى الجنس الأبيض المتوسطي والبعض الآخر للجنس الزنجي، ويظهر في معظم مشاهد فترة الرعاة والجمال أشخاص من الأصل الليبي البربري ذوي البشرة الفاتحة، هذا ما توضحه طبيعة الملابس، الأسلحة المستعملة إضافة إلى تسريحات الشعر وأدوات الزينة، كما تحتوي نقوش مرحلة الرعاة على تمثيل لأشخاص زنوج لكن مشاهدهم تظهر بشكل عرضي هامشي، ويمكن تمييز الاختلاف بين الجنس المتوسطي والجنس الزنجي من خلال المواصفات الفيزيولوجية المتمثلة فيما يلي: جسم نحيف ومعتدل الطول، وجه نحيف ومستدير سيقان نحيفة هذا بالنسبة للجنس الأبيض، أما بالنسبة للزنوج فتظهرهم المشاهد ببطن

<sup>1</sup> - النموذج الأتيودي: يعود موطنهم الأصلي إلى الصحراء الوسطى وبالتحديد إلى شمال التشاد وشمال وشرق النيجر، وهم فرع من فروع شعوب التيدا هاجروا واستقروا بمناطق شرق القارة الإفريقية، ينظر: بالوت، 1980، المرجع السابق، ص: 444.

<sup>2</sup> - ألدروج، 1980، المرجع السابق، ص: 285.

بارز، وأطراف طويلة، سيقان ممتلئة، أقدام كبيرة، رؤوس طويلة من مواصفات الجنس الإفريقي الجنوبي<sup>1</sup>.

تنقسم مشاهد مرحلة البقرات إلى 3 أقسام تضع الأجناس التي عمرت المنطقة ضمن ثلاثة مجموعات كبرى:

- مجموعة الزوج في منطقة صفار وأوزانيري: تظهر فيها هيئات آدمية زنجية ضمن مشاهد الرعي، وتعد هذه المجموعة من بين أقدم مشاهد مرحلة الرعي.

- مجموعة منطقة البانيور: تحتوي نقوشها على مشاهد لأشخاص من الجنس الأبيض مع بعض المشاهد لأشخاص زنوج لكنها قليلة جدا، إلى جانبها تظهر مشاهد لأبقار في شكل قطعان إضافة إلى ملامح الصيد وبعض المشاهد التي تدل على مظاهر الحرب والصراع.

- مجموعة مشاهد إمبرين- تاهيلاي: تظهر فيها فقط هيئات لأشخاص بيض، إلى جانب نقوش لبعض الحيوانات المستأنسة من مرحلة الحصان<sup>2</sup>.

يثبت الفن الصخري وجود مزيج بشري بالمنطقة منذ العصور العتيقة، بمعنى أن السكان الأصليين كانوا مزيجا بين ذوي البشرة الداكنة وذوي البشرة الفاتحة من جنس البحر المتوسط، بالمقابل تشير الوثائق المصرية القديمة إلى الليبيين من جنس التمحو ذوي البشرة الفاتحة والعيون الزرق، وتشير كذلك إلى شعب التحنو من ذوي البشرة الداكنة، كما وردت إشارات في المصادر اليونانية لإثيوبيين ذوي البشرة الفاتحة وإثيوبيين جنوبيين ذوي البشرة السوداء<sup>3</sup>.

أثبتت الاكتشافات الأثرية على وجود آثار لمزيج من الشعوب الزنجية لإثيوبيين وأفارقة متوسطيين مع النموذج السوداني بالقرب من وادي النيل، على الأرجح أن هذه الشعوب هاجرت من

<sup>1</sup> - A. Muzzolini. (1981), « Le groupe euro-poïde d'Ihren-Tahilahi, étage (bovidien final), des peintures di Tassili », *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, N°32, France, P : 122.

<sup>2</sup> - Muzzolini, 1981, op.cit., P : 121.

<sup>3</sup> - ألدروج، 1980، المرجع السابق، ص: 286.

جفاف الصحراء إلى رطوبة النيل لمتزج مع الشعوب السودانية وهو ذات ما حدث بالقرب من الأحواض والأنهار المجاورة للسنغال الأدنى والنيجر الأوسط والتشاد<sup>1</sup>.

تقسم الدراسات المتعلقة بعلم الأجناس والسلالات من جهة ثانية سكان التاسيلي نازجر إلى ثلاثة سلالات:

- مجموعة آجر من البدو الرحل، يعود تاريخ استقرارهم إلى 3500 سنة ق.م تقريبا وأشهر أماكن تواجدهم بالقرب من واد تارات.
- مجموعة البدو المستقرين، يعود تاريخ استقرارهم إلى حدود 1500 سنة ق.م، أشهر مواطنيهم: منطقة إيهيرير.
- الأجناس الزنجية بالواحات التي يعود تاريخ تعميرها للمنطقة إلى حدود 5000 سنة ق.م، تتمثل أهم مناطق استقرارهم في: هاراتين بالهقار، إضافة إلى بعض المناطق من إيليزي وجانت<sup>2</sup>.

تشير مشاهد الرسوم الصخرية بعدد من المواقع بالتاسيلي نازجر إلى أقوام محاربين، حيث تظهر مشاهد مرحلي الحصان والجمال عربات تجرها أربعة خيول، وفي إشارات لاحقة لهيرودوت يذكر أن الجرامنت عمروا منطقتي التاسيلي وفزان واشتهروا بكثرة العدد، ويصفهم بالأمة المحاربة ولهم سلطة واستحواذ على شبكة الطرق التي تمر بالصحراء الوسطى وعاصمتهم جرمة<sup>3</sup>، كما أنهم اشتهروا بالعربات التي تجرها أربعة خيول والتي نقلها عنهم اليونان فيما بعد، ويرجح أن يكون الطوارق الحاليين من نسل الجرامنت<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ألدروج، 1980، المرجع السابق، ص: 287.

<sup>2</sup> - PH. Lefèvre, R. Cabannes. (1967), « Etude hémotypologie des populations du Tassili N'Ajjer (Sahara Centrale) », *Bulletins et Mémoire de la Société d'Anthropologie de XIIe série*, T1, Fascicule 4, France, P: 422.

<sup>3</sup> - هيرودوت، الكتاب الرابع، الفقرة: 183.

<sup>4</sup> - بشي، ج3، المرجع السابق، ص: 17-18.

حدد بليبي الأكبر أراضي الجرامنت بأنها تقع خلف سلسلة من الجبال الممتدة من الشرق إلى الغرب وصفها بالجبال السوداء، حيث تمتد خلف هذه السلسلة صحراء وبعدها بلدة الجرامنت التي يسميها سكانها بثلغاي (Thelgae) ويسمونها كذلك دبريس<sup>1</sup> (Debris)، كما أشار بطليموس إلى جبال التاسيلي بجبل جرجيس وأضاف أن بلاد الجرامنت تشرف على ممرٍ أواريت (Ouarit) بشمال التاسيلي<sup>2</sup>، ويضيف بليبي بأن أراضي الجرامنت تبعد عن أوجلة بمسيرة 12 يوماً أين يسكن شعب البسولوي وخلفهم بحيرة لونكاساما وإلى الغرب نحو قابس يسكن شعب الكسيباديس<sup>3</sup>.

تحدث هيرودوت في الفقرة 174 من الكتاب الرابع عن اللوحات الصخرية بصخور الحجر الرملي النوبي التي يقصد بها منطقة التاسيلي، بأنها تصور أشخاصاً يغطون أجسادهم بالريش، يحملون العصي والحرايب وبعضهم يركب العربات والخيول، ويشير إلى أنها تنسب إلى تاريخ استقرار قبائل المشواش، ويصف المنطقة بأنها أرض الجرامنت وإلى الجنوب من هؤلاء تعيش قبائل الإثيوبيين<sup>4</sup>.

حدد من جهته سترابون مواطن وأجناس الجماعات البشرية التي عمرت شمال إفريقيا منذ القديم، حيث أشار إلى قبائل الجيتول التي سكنت المناطق الجبلية، وإلى الجنوب من أراضيهم توجد بلاد الجرامنت وعلى مسيرة تسعة أو عشرة أيام نحو الجنوب توجد أراضي الإثيوبيين، وعلى مسيرة خمسة عشر يوماً نحو الشرق توجد واحة آمون<sup>5</sup>.

وردت إشارات قليلة عن الأقوام التي عمرت منطقة التاسيلي نازجر والصحراء الوسطى خلال مرحلة فجر التاريخ ضمن ما كتبه الفينيقيون عن المنطقة، وتعد رحلة حانون إحدى أهم المصادر التي ذكرت شذرات عن أخبار الأقوام التي عمرت المناطق الداخلية لإفريقيا، فقد ذكرت القليل عن قبائل

<sup>1</sup> - بليبي الأكبر، الكتاب الخامس، فقرة 4.

<sup>2</sup> - Gardel, op.cit., P : 39.

<sup>3</sup> - بليبي الأكبر، الكتاب الخامس، فقرة 4.

<sup>4</sup> - هيرودوت، الكتاب الرابع، فقرة 174.

<sup>5</sup> - سترابون. (2003)، جغرافية سترافون، الكتاب السابع عشر، الفصل الثالث، الفقرة 19، ترجمة محمد المبروك الدويب، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الفقرة 19، ص:113.

التروفلاديت (Troglodytes) التي تسكن كهوف جبال مرتفعة يتخللها نهر الليكسون، وتنسب هذه القبائل إلى الجنس الإثيوبي الذين كانوا في صراع مع قبائل الجرامنت التي سيطرت على الطرق الصحراوية بفضل امتلاكهم للعربات ذات الخيول الأربعة التي انفردوا بها<sup>1</sup>.

يمكن الاستنتاج من خلال مقارنة المعلومات التي وردت في رحلة حانون مع ما ذكره هيرودوت أن التروفلاديت هم الطوارق الحاليين، والجبال العالية ربما يقصد بها مرتفعات الهقار والتاسيلي، وعليه يجب أن يكون نهر الليكسون هو نهر إغرغارن الذي ذكر ضمن الفصل السابق، كونه النهر الوحيد الذي يربط بين سلسلي الهقار والتاسيلي، إضافة إلى أنه أطول الأودية الصحراوية.

يعمر منطقة التاسيلي نازجر حاليا أقوام معروفين بتسمية الطوارق، يرجح أنهم ينتسبون إلى قبائل الجرامنت القدماء، ويعتبر الطوارق أنفسهم من السكان الأصليين للصحراء ويعمرون حاليا منطقتي الهقار والتاسيلي بالجزائر ومنطقة غات بليبيا وصحراء مالي والنيجر، يعيشون في شكل مجموعات من البدو يمتنون حرفة الرعي وتنوع مواشهم ما بين: الجمال والضأن والماعز والأبقار، يتحدثون لغة التهماق ويسكنون الخيام<sup>2</sup>، وهناك إشارات إلى أن لفظة التهماق مشتقة من تسمية التمحو نسبة إلى القبائل الليبية المعروفة بالتمحو التي عمرت عددا من مناطق شمال إفريقيا خلال فجر التاريخ، بالمقابل هناك من ينسبهم إلى قبائل التمحو بناءً على لون بشرتهم الداكن<sup>3</sup>.

### 3- مظاهر التعمير البشري خلال مرحلة البلايستوسين

شهدت منطقة شمال إفريقيا بصفة عامة تعميرا بشريا منذ مرحلة العصر الحجري القديم، ودلت البقايا الأركيولوجية ضمن الطبقات الأثرية على تنوع الثقافات البشرية المتراكمة عبر الزمن، كما لعب المناخ الدور الحاسم في تحديد أماكن انتشار الثقافات البشرية وتطورها عن طريق التبادل الناتج

<sup>1</sup>- بشي، ج3، المرجع السابق، ص ص: 34-35.

<sup>2</sup>- نفسه، ص ص: 21-22.

<sup>3</sup> - Gardel, op.cit., P : 24.

عن الاتصال البشري المبكر من خلال الهجرات البشرية المختلفة الاتجاهات، ونعرض فيما يلي نماذج عن أهم الحضارات البشرية التي عمرت شمال إفريقيا وعلى رأسها منطقة التاسيلي نازجر.

### 1.3 مظاهر الحضارة الحصوية

تسمى كذلك بحضارة الحصى المشذبة أو الحضارة ما قبل الآشولية، تتزامن مع مرحلة الفيلافانشيا المقابلة لفترة البلايستوسين الأسفل، والإنسان صانع هذه الحضارة هو الإنسان الماهر (Homo Habilis)، كما تؤرخ في شمال إفريقيا حسب نتائج البوتاسيوم أرغون في حدود مليوني سنة وهو أقدم تاريخ يمكن أن ينسب إلى هذه الحضارة<sup>1</sup>، وهو التاريخ الذي يقابل الحضارة الألدوانية<sup>2</sup> بإفريقيا الشرقية.

تتمثل الصناعات الحجرية لهذه الحضارة في الحصى الدائرية المشذبة على جهة واحدة، حيث يوحي شكلها بأنها استعملت على الأغلب للتقطيع والفرم، وهي بذلك تشبه إلى حد كبير الحصى المشذبة التي عثر عليها بموقع ألدفاي بإفريقيا الشرقية، كما تم العثور على هذا النوع في عدد من المواقع في كل من الجزائر والمغرب الأقصى وتونس وليبيا ومصر والصحراء الكبرى<sup>3</sup>، وتركزت أشهر مواقعها في الجزائر في: موقع عين الحنش بالقرب من مدينة العلمة ولاية سطيف الذي صنّفه الباحث سحنوني كأقدم موقع بإفريقيا، حيث عثر به على بقايا عظمية وصناعات حصوية تماثل الطبقة الأولى والثانية بموقع ألدفاي، أرخت هذه البقايا في حدود 1,95-1,77 مليون سنة، ويضاف إلى عين الحنش موقع الخربة القريب منه والذي يمكن أن يكون معاصرا له<sup>4</sup>، تدل هذه المعطيات على أقدمية الاستقرار البشري بالمنطقة.

<sup>1</sup> - L. Balout. (1972), « Chronologie absolue et préhistoire saharienne », *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée*, N° 11, P : 15.

<sup>2</sup> - الحضارة الألدوانية: تعد أقدم حضارة بشرية، يعود تاريخها إلى 2,5 مليون سنة. عثر على أول آثارها في موقع ألدفاي بتانانيا وتسمت باسمه، وتتميز بالحصى المشذبة، بالوت، 1980، المرجع السابق، ص: 446.

<sup>3</sup> - لخضر بن بوزيد. (2007)، *التاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ المعتقدات والفن الصخري*، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص: 39.

<sup>4</sup> - M. Sahnouni and all. (2004), « On the earliest human occupation in North Africa: a response to Geraads et al », *Journal of Human Evolution*, V46, Elsevier, PP: 773-774.

كشفت من جهة ثانية الدراسات التي أُجريت بعدد من المواقع بإقليم فزان على وجود صناعات قديمة تنسب إلى الحضارة الألدوانية نفسها، كما عثر بموقع رقان بالصحراء الجزائرية على حصى مشذبة ذات وجهين من حجر الكوارتز مشابهة لنظيرتها بفزان<sup>1</sup>، لعل هذا ما يثبت وجود اتصال بشري مبكر بين الأجناس التي عمرت إفريقيا.



شكل 14: صورة لحصى مشذبة بموقع رقان بالصحراء الوسطى

المصدر: Sahnouni, 2004, P : 773.

### 2.3 مظاهر الحضارة الأشولية

اتخذت الحضارة الأشولية تسميتها من أول موقع اكتشفت به بسانت آشول بشمال فرنسا، انتشرت هذه الحضارة في العديد من مناطق العالم كما يختلف تأريخها من منطقة إلى أخرى، والإنسان صانع هذه الحضارة بالنسبة لشمال إفريقيا هو الإنسان المعتدل (Homo Erectus)، ومن بين أشهر مواقعها نذكر: موقع تيغنيفين بمعسكر المؤرخ في حدود 600 ألف سنة أو يزيد الذي عثر به على عظام

<sup>1</sup>- سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 80.

بشرية تعود لإنسان يحمل مواصفات إنسان الأطلس، موقع أوزيدان، الماء الأبيض، بحيرة سفيان، تهوداين بالجزائر، موقع سيدي الزين بتونس، موقع سيدي عبد الرحمان بالمغرب الأقصى، بحيرة شاتي بفران، وتتمثل الصناعات النموذجية لهذه الحضارة في الفؤوس اليدوية، المكاشط<sup>1</sup>.

أرخت من جهة ثانية بقايا الصناعات الأشولية المكتشفة بإفريقيا الشرقية والجنوبية في حدود 1,6 مليون سنة، بينما أرخت مواقعها في الشرق الأدنى والصين وكوريا وإندونيسيا في حدود 600 ألف سنة، وفي مدينة نيس الفرنسية أرخت بقايا هذه الحضارة في حدود 380 ألف سنة<sup>2</sup>، وبالتالي نلاحظ وبوضوح أن تأريخ الحضارة الأشولية بشرق وجنوب إفريقيا أقدم بكثير من بقية مناطق العالم، وعليه يمكن الاعتقاد أن هذه الحضارة يمكن أن تكون قد انتقلت عن طريق التحركات البشرية من داخل إفريقيا إلى بقية أنحاء العالم.

عثر بالصحراء الوسطى على عدد من المواقع التي تحمل بقايا أشولية تمثلت في: صناعات حجرية، وبالقرب منها عثر على عدد كبير من عظام حيوانية متحجرة لفيلة وأفراس النهر والكركدن، حيث تظهر لاحقا هذه الحيوانات في مشاهد الفن الصخري خلال مرحلة الهولوسين، وتشمل هذه المواقع: عرق أدمر وموقع تهوداين بالتاسيلي، موقع تين مرزوقة بالهقار، واد ميزاب، وموقع شتمة في بسكرة، تعود هذه اللقى إلى فترة العصر الحجري القديم الأسفل<sup>3</sup>، يمكن الاعتماد على هذه المعطيات كدليل لإثبات أقدمية التعمير البشري بمنطقة الصحراء الوسطى وعلى رأسها منطقة التاسيلي نازجر. يعد ظهور الحضارة الأشولية على وجه العموم نتيجة لتطور الصناعة الحصوية<sup>4</sup>، وتتميز الصناعات الأشولية بتطور تقنيات الإنجاز، حيث تعد عملية تقصيب النواة بعد تصور شكلها وحجمها مسبقا ابتكارا لم يكن معروفا قبلا، لعل ذلك راجع إلى تطور حجم المخ لدى الإنسان المعتدل الذي

<sup>1</sup>- غانم، 2003، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، دار الهدى، الجزائر، ص ص: 22-45.

<sup>2</sup>- سحنوني، 1990، المرجع السابق، ص ص: 93-101.

<sup>3</sup>- غانم، 2003، المرجع السابق، ص: 75.

<sup>4</sup>- سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 93.

أصبح يبلغ 1300 سم<sup>3</sup>، ومن بين أهم تقنيات التقصيب نذكر تقنية كمبوا التي لم تكن معروفة إلا بإفريقيا، تقنية لفلوا المتمثلة في تقصيب النواة للحصول على شظايا دقيقة كبيرة الحجم<sup>1</sup>، تقنية طبلبالا وهي طريقة تقصيب تخص صناعة الفؤوس الصغيرة وتتركز هذه التقنية في الصحراء الشمالية الغربية لإفريقيا<sup>2</sup>.

عمرت الحضارة الأشولية منطقة شمال إفريقيا فترة هامة من الزمن ما بين 500 ألف سنة و100 ألف سنة، حيث استمرت إلى غاية البلايستوسين الأوسط كما انتشرت مواقعها في أماكن متعددة<sup>3</sup>، شهدت المنطقة خلال هذه الفترة تذبذبا مناخيا بين الرطب والجاف، غير أن مظاهر هذه الحضارة لم تنقطع وإنما تشير نتائج الحفريات إلى تطور الصناعات الأشولية<sup>4</sup>، وبناءً على هذه المعطيات قسم المختصون المراحل الأشولية إلى خمسة أقسام كالتالي:

- الأشولي القديم: يتكون هذا القسم من مرحلة واحدة تتميز بالحجارة المشذبة ذات الحجم الكبير الكروية والشبه كروية، الفؤوس اليدوية، الفؤوس الصغيرة التي تتميز على سابقتها في شكل طرفها الطويل الذي يبدو أكثر حدة، المثلثات وهي عبارة عن فؤوس ذات ثلاثة أوجه في أحد أطرافها وهي قليلة على العموم.
- الأشولي الأسفل: يتكون هذا القسم من مرحلتين هما: المرحلة II تتميز بقلة عدد الحصى المشذبة وكثرة عدد الفؤوس اليدوية مقارنة مع الطور السابق، إضافة إلى عدد قليل من الفؤوس الصغيرة، أما المرحلة III تحتوي على الفؤوس اليدوية والفؤوس الصغيرة والمثلثات.

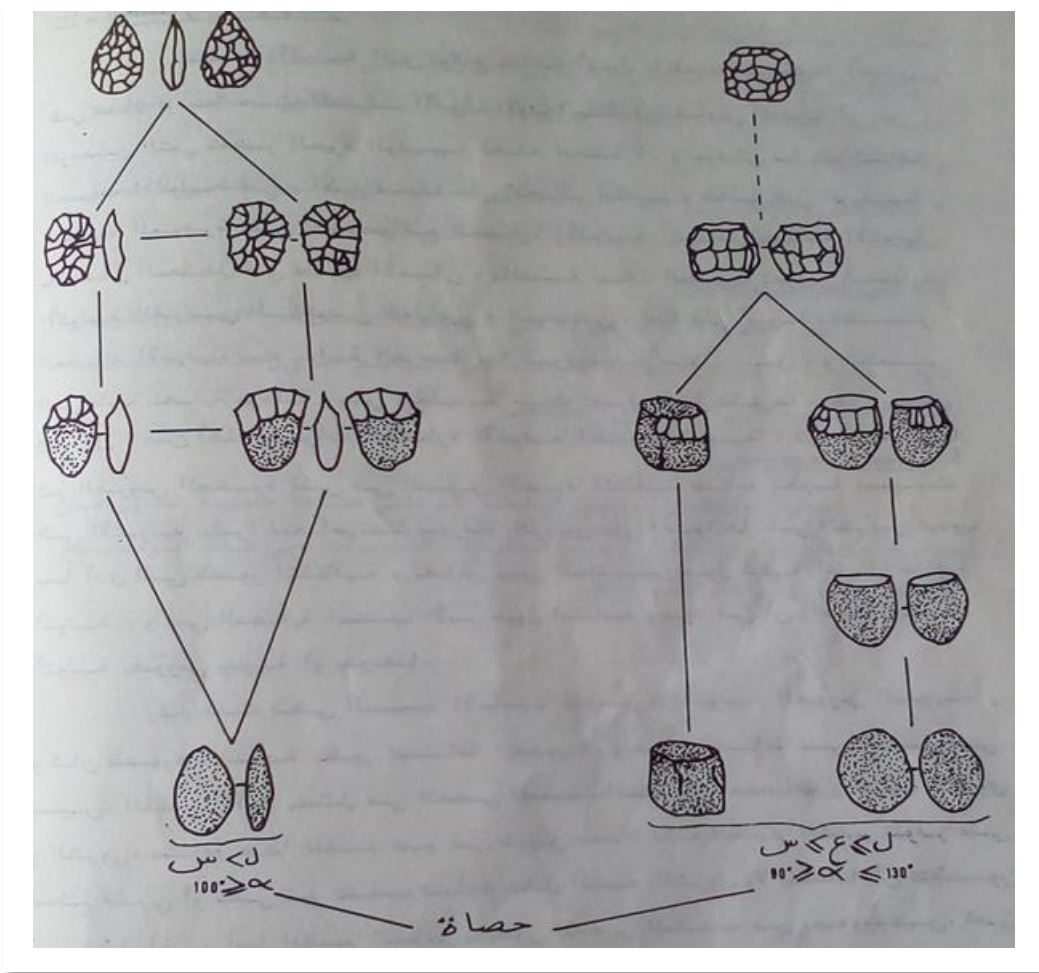
<sup>1</sup> - بالوت، 1980، المرجع السابق، ص: 448

<sup>2</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 95.

<sup>3</sup> - N. Petit-Maire. (1991), « Recent quaternary climatic change and man in the Sahara Marseille, France », *Journal of African Earth sciences*, V12, N°1/2, P: 125.

<sup>4</sup> - Balout, 1972, op.cit., P : 14.

- الأشولي الأوسط: يحتوي هذا الطور على مرحلتين: المرحلة IV تتميز بظهور تقنية التقصيب وتكثر خلالها الشظايا مع تزايد عدد الفؤوس اليدوية والفؤوس الصغيرة، وعدد من الصناعات العظمية، والمرحلة V تتميز بظهور النويات ذات الشكل الدائري والبيضوي<sup>1</sup>.
- الأشولي المتطور: تتميز بنسبة كبيرة في عدد الفؤوس اليدوية المتطورة الأشكال المثلثة والبيضاوية والقلبية، مع تطور تقنية التقصيب وعدد من الصناعات العظمية والخشبية من الشظايا والمكاشط<sup>2</sup>.



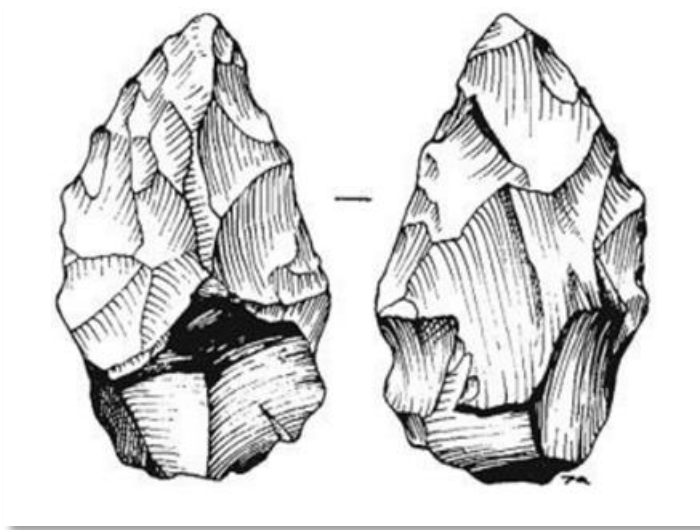
شكل 15: رسم توضيحي لتطور الصناعة الحصوية إلى صناعة أشولية

المصدر: سحنوني، 1999، ص: 94.

<sup>1</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص ص: 97-98.

<sup>2</sup> - Camps, 1974, op.cit., PP : 21-22.

يلاحظ من خلال البقايا الأثرية على طول المرحلة الأشولية أن التجمعات البشرية تركزت بالقرب من نقاط تجمع المياه مثل الأحواض والأنهار، وهي تقريبا ذات المواقع التي شهدت تعميرا بشريا خلال المرحلة العاترية والنيوليتية لاحقا<sup>1</sup>.



شكل 16: فؤوس يدوية ذات الوجهين من المرحلة الأشولية  
بعرق آدمر بالتاسيلي نازجر

المصدر: G. Aumassip et C. Roubet. (1966),  
« Premiers résultats d'une mission archéologique  
(grand erg oriental- erg d'admer) », C. R. A. P. E, P :  
61, <https://shs.hal.science/halshs-00701341>.

### 3.3 مظاهر الحضارة المoustيرية

تعد الحضارة المoustيرية واحدة من الحضارات التي عمرت العصر الحجري الأوسط، امتدت ما بين 100-40 ألف سنة قبل الميلاد، أخذت تسميتها من كهف المoustيه (Le Moustier) بفرنسا، وتنتشر مواقعها على العديد من المناطق في شمال إفريقيا، أوروبا، آسيا، والإنسان صانع هذه الحضارة هو إنسان نياندرتال الذي اعتاد على العيش في البيئات الباردة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - Petit-Maire, 1991, op.cit., P : 125.

<sup>2</sup> - Camps, 1974, op.cit., P : 22.

تتميز الحضارة الموسستيرية بصناعات حجرية مشذبة ودقيقة ومدببة الأطراف، وشظايا حادة من حجر الصوان مثل: المكاشط ذات الوجهين والمسنتات والسكاكين والمحكات والمثاقب والنصال التي تصنع من الشظايا ورؤوس السهام ذات القاعدة، ومن أهم مواقعها بشمال إفريقيا موقع سيدي الزين، عين محروثة، واد عكريت، القطار، سيدي منصور بتونس، موقع رتيمة، راس تنس، الأوراس، عرق آدمير، سهل آدمير، رقان، مرزوق بالجزائر، موقع تافوغالت، جبل أرحود، تازة بالمغرب الأقصى، موقع قورناية، بحيرة شاتي، كهف هوافتح بليبيا<sup>1</sup>، كما عثر على عدد من الصناعات اللفلوازية الموسستيرية الشبيهة بالصناعات الأشولية في عدد من المواقع بالصحراء الوسطى أشهرها اللقى التي عثر عليها في سهل آدمير وبحيرة مرزوق نواحي التاسيلي والهقار، أرخت هذه الصناعات ما بين 80 ألف و50 ألف سنة قبل الميلاد، لكنها قليلة جدا إذا ما قورنت بنظيرتها الأشولية<sup>2</sup>.

تتزامن الحضارة الموسستيرية مع المرحلة الجليدية ريس-فورم بأوروبا، وهي فترة قاسية من حيث البرودة والجفاف، وتقابلها بشمال إفريقيا مرحلة رطبة معروفة باسم المرحلة السلطانية، وبذلك يرجح أن يكون الإنسان النياندرتالي الذي عثر على آثاره بشمال إفريقيا قد انتقل إليها للنجاة من قساوة المناخ الجليدي بأوروبا<sup>3</sup>.

قسّمت الحضارة الموسستيرية من خلال تقنيات وأنواع الصناعات الحجرية المنسوبة إليها إلى عدة أوجه تتمثل فيما يلي:

- الموسستيري ذي التقليد الأشولي: تتمثل اللقى الأثرية لهذا النوع في كل من: الفؤوس اليدوية وخاصة ذات الشكل القلبي، الشظايا منحنية الظهر، ارتفاع نسبة رؤوس السهام ذات الظهر وكذلك المحكات والنصال، تراجع نسبة المكاشط والفؤوس الصغيرة.

<sup>1</sup> - Petit-Maire, 1991, op.cit., P : 125.

<sup>2</sup> - Jean Fabre. (2005), *Géologie du Sahara Occidentale et Central* royal Museum for central africa, Tervuren, Belgique, PP : 488-489.

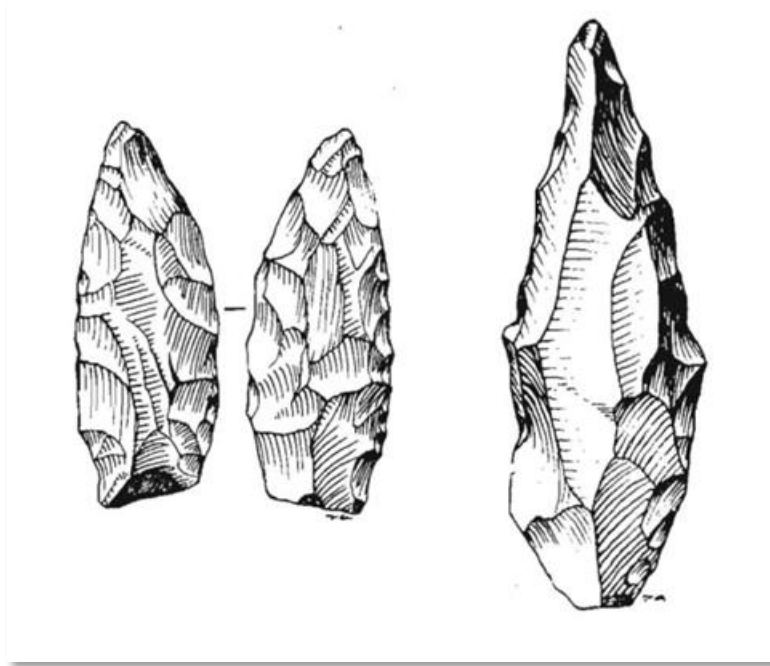
<sup>3</sup> - Camps, 1974, op.cit., PP : 12-13.

- الموسستيرى النموذجي: ندرة الفؤوس اليدوية، وتراجع نسبة الشظايا ذات الظهر والمسننات والمكاشط.

- الموسستيرى ذو المسننات: تركزت أغلب صناعات هذا النوع في المسننات والمحكات.

- الموسستيرى من نمط كينيا: يتميز هذا الوجه بارتفاع نسبة المكاشط ذات الوجهين والمحكات السميقة ذات الساق.

- الموسستيرى ذي نمط فراسي: نسبة إلى موقع فراسي بفرنسا، ومن أشهر صناعات هذا النوع المكاشط المنجزة عن طريق تقنية تقصيب لفلوا<sup>1</sup>.



شكل 17: رؤوس سهام من المرحلة الموسستيرية بموقع عرق آدمر  
نواحي التاسيلي نازجر

المصدر: Aumassip et Roubet, 1966, P : 69

<sup>1</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص ص: 103-105.

## 4.3 مظاهر الحضارة العاترية

ظهرت خلال العصر الحجري القديم الأوسط وامتدت على مناطق واسعة من شمال إفريقيا والشرق الأدنى في كل من مصر وفلسطين وشبه الجزيرة العربية، اتخذت تسميتها حسب الباحث ريجاس (M. Reygasse) من موقعها النموذجي في بئر العاتر شرق الجزائر<sup>1</sup>، وهي حضارة معاصرة للحضارة الموسستيرية المتطورة وتشارك معها في عدد من الصناعات الحجرية، وهنالك فرضيات ترجح أن العاترية ناتجة عن تطور الموسستيرية ومكملة لها، غير أنها تتميز عنها في قاعدة رؤوس السهام ذات الساق ما يُسهل تركيبها في أذرع خشبية أو عظمية، كما أن الصناعات العاترية أكثر تطوراً ومواقعها أوسع انتشاراً<sup>2</sup>.

يعد الإنسان صانع الحضارة العاترية على الأغلب هو الإنسان العاقل-العاقل، وهذا بناءً على نتائج الدراسات التي أجريت على آثار الإنسان العاتري بموقع دار السلطان بالمغرب الأقصى، الذي يحمل مواصفات تشبه إلى حد كبير مواصفات إنسان جبل أرحود، لعل هذا ما يشير إلى أن الإنسان الحديث ينحدر من الإنسان العاتري وفقاً للتسلسل السلالي<sup>3</sup>.

اختلف الباحثون من جهة ثانية في نسب الحضارة العاترية إلى أصولها الأولى في شمال إفريقيا أو الشرق الأدنى، حيث أثار حسب قول الباحث هيجو (Hugot) اكتشاف جمجمة إنسان نياندرتال صاحب الحضارة الموسستيرية في كهف هوأفتيح بليبيا المشابه لنظيره المكتشف في جبل الجليل بفلسطين جدلاً كبيراً<sup>4</sup>، فقد اقترنت الصناعات الموسستيرية بالصناعات العاترية في كهف هوأفتيح، كما عثر على العديد من المواقع العاترية في مصر وفلسطين وعدد من الواحات الصحراوية بين ليبيا ومصر مثل: واحة سيوة، واحة الداخلة، الخارجة، إضافة إلى الأقصر ونقادة والمراشدة، تتشابه اللقى التي عثر عليها ضمن هذه المواقع فيما بينها ما يدل على أن الأقوام التي أنجزت هذه الصناعات تحمل نفس

<sup>1</sup> - M. Reygasse. (1921), *Nouvelles études de palethnologie maghrébine*, D. Brahma, T3, Constantine, PP : 534-535.

<sup>2</sup> - H. J. Hugot. (1974), *Le Sahara avant le désert*, Des Hespérides, Paris, P : 68.

<sup>3</sup> - عقون، 2010، المرجع السابق، ص: 20.

<sup>4</sup> - Hugot, 1974, op.cit., PP : 63-64.

الأسلوب والتفكير، لعل هذا ما يوحي بوجود هجرة مبكرة يعتمد تحديد اتجاهاتها على تأريخ المواقع التي انتشرت بها الأقدم من الأحداث<sup>1</sup>.

امتدت الحضارة العاترية بالنسبة لشمال إفريقيا على فترة هامة من الزمن ما بين 40000 و20000 ق.م، شهدت من جهة ثانية المنطقة خلال هذه الفترة مرحلة مناخية جد رطبة ساهمت في امتلاء الأحواض والأنهار وتشكل العديد من نقاط المياه المختلفة، توسعت على إثرها مراكز التجمعات البشرية العاترية إلى غاية النيجر وتشاد وعلى ضفاف نهر السينغال، كما بلغت مراكزها مصر والسودان، وتنوعت الصناعات العاترية ما بين: الشظايا والمكاشط والمسننات ورؤوس السهام ذات القاعدة<sup>2</sup>.

قسمت الحضارة العاترية حسب تقنيات إنجاز الصناعات المنسوبة لها إلى ثلاثة أقسام نذكرها حسب تموضعها في الطبقات الأثرية من الأقدم إلى الأحدث فيما يلي:

- العاترية القديمة: تتشابه مع الصناعات الموسستيرية اللوفلوازية، تندر بها السهام ذات القاعدة أو العنق، معظمها مصنوعة من الكوارتز.
- العاترية النموذجية: صناعاتها منجزة بواسطة التقنية اللوفلوازية من حجر الصوان والكوارتز، تتنوع ما بين المكاشط ورؤوس السهام ذات العنق.
- العاترية العليا: صناعاتها أكثر تهذيباً وتغلب عليها رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها، وهذا النوع الأكثر انتشاراً في المواقع العاترية بالصحراء الوسطى<sup>3</sup>.

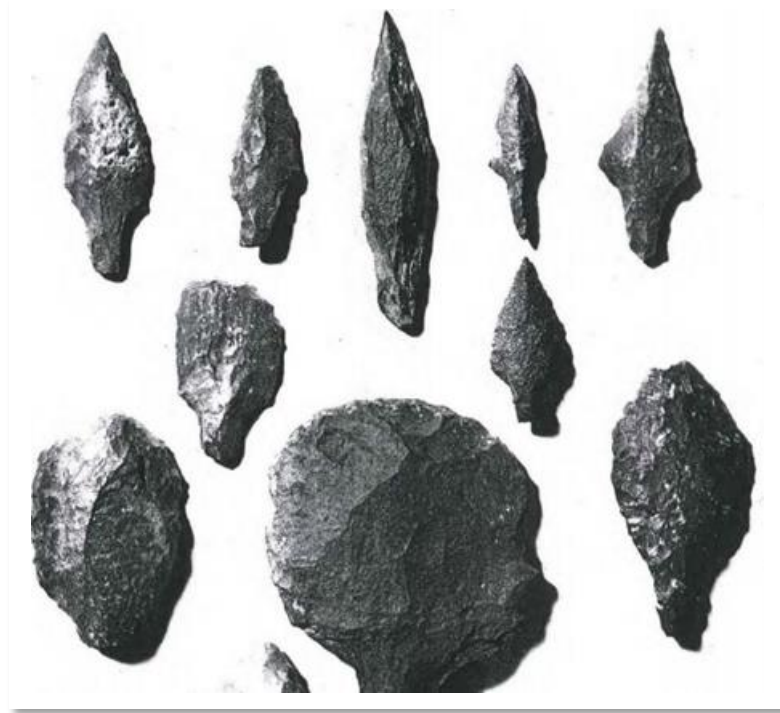
تتزامن نهاية الحضارة العاترية مع الانقلاب المناخي الذي ضرب المنطقة منذ 20000 ق.م، حيث تحولت الصحراء إلى منطقة قاحلة وباردة، بعد الجفاف الذي ضرب معظم نقاط المياه والذي بلغ ذروته في حدود 18000 ق.م تزامناً مع مرحلة الفورم الجليدية بأوروبا، انقطع خلالها الأثر البشري من الطبقات

<sup>1</sup>- غانم، 2003، المرجع السابق، ص، ص: 59، 78.

<sup>2</sup>- نفسه، ص: 62.

<sup>3</sup> - Balout, 1955, op.cit., P : 229.

الستراتيغرافية بالصحراء<sup>1</sup>، على الأرجح أن هذه المرحلة شهدت هجرة جماعية نحو الشمال تحددت من خلال انتشار الحضارات الشمالية المتمثلة في الإيبرومغربية والقفصية.



شكل 18: صناعات عاترية بموقع تهوداين

المصدر: L. Balout. (1958), *L'Algérie préhistorique*, Art et Matières graphiques, Paris, P : 82

### 5.3 مظاهر الحضارة الإيبرومغربية

شهدت الصحراء الوسطى ندرة في التعمير البشري عقب موجة الجفاف التي ضربت المنطقة خلال نهاية الحضارة العاترية، بالمقابل شهدت المناطق الساحلية تعميرا بشريا ينسب إلى الحضارة الإيبرومغربية التي يرجح أن تكون بدايتها ما بين 25000\_19000 ق.م، حيث تشير الباحثة أوماسيب إلى اكتشاف آثار تعمير بشري عقب نهاية الحضارة العاترية يعود تاريخها إلى حدود 25 ألف سنة قبل الميلاد بموقع سيدي سعيد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - Hachid, 2007, op.cit., P : 8.

<sup>2</sup> - G. Aumassip. (2001), *L'Algérie des premiers hommes*, Maison de Sciences de l'homme, Paris, P : 59.

اكتشفت الحضارة الإيبرومغربية لأول مرة بموقع المويلح بالغرب الجزائري، على يد الباحث بول بالاري (Pallaray. P) سنة 1899م، أين عُثر على مجموعة من الصناعات الميكروليتية أغلبها عبارة عن نصال، غير أن التنقيب في الموقع تأخر إلى غاية سنة 1907م عندما واصل التنقيب الباحث أ.باربان (Barbin. A)، ثم تولى بعده مهمة البحث الأثري في نفس الموقع الباحث ستيفان غزال (Gsell. St) سنة 1910م، وعلى إثر هذه التنقيبات أطلقت تسمية الصناعات الإيبرومغربية على اللقى المكتشفة، وذلك لاعتقاد الباحثين في البداية أن هذه الصناعات تابعة لحضارة العصر الحجري القديم الأعلى في جنوب إسبانيا أو شبه الجزيرة الإيبيرية<sup>1</sup>.

تندعم آثار العصر الحجري القديم الأعلى في منطقة شمال إفريقيا الذي يعوضه العصر الحجري القديم المتأخر، حيث تظهر ضمن طبقاته آثار الحضارة الإيبرومغربية هذا ما طرح إشكالية ضبط الأصول الأولى لهذه الحضارة محلية أم وافدة، وتشير نتائج الحفريات بكهف هو أفتيح إلى آثار الحضارة الإيبرومغربية في الطبقة 17 المؤرخة في حدود 17 ألف سنة قبل الميلاد<sup>2</sup>، بالمقابل شهدت الجهة الشرقية من القارة الإفريقية مناخا أقل قساوة منه في الغرب، وعليه يرجح أن هذه الحضارة انطلقت من الشرق إلى الغرب نحو السواحل، ومنها نحو بعض المناطق الداخلية، حيث عثر على آثارها في كل من: الأغواط، موقع الهامل ببوسعادة، كوليمناطة بتيارت، كما استمرت آثارها إلى غاية فجر التاريخ<sup>3</sup>.

عثر في سنة 1997م بمغارة إيضري ن عمار بمدينة الناظور بالقرب من جبل العنق بالشمال الشرقي الجزائري، على هياكل عظمية لأربعة أطفال<sup>4</sup> دفنوا في سن صغير منذ حوالي 15000 سنة، إضافة

<sup>1</sup> - غانم، 2003، المرجع السابق، ص: 82.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 89.

<sup>3</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 118.

<sup>4</sup> - يمكن التعرف على السن التي توفي فيها الأطفال في حالة غياب بقايا الهيكل العظمي، إما من شكل سلاميات اليد أو من عدد وشكل الأضراس اللبنية، فإذا احتوى الفك السفلي على ضرس واحد بعد الناب فإن عمر الجمجمة لا يتعدى سن الثانية، وإذا كان الفك السفلي يحتوي على ضرسين بعد الناب فإنه يعود لطفل ما بين ثلاث سنوات وسبع إلى ثماني سنوات، وإذا كان عدد الأضراس اللبنية بعد الناب ثلاثة أضراس فإن الطفل ما بين تسعة سنوات إلى 13 سنة، وردة جفال. (2024)، «تحديد عمر الهياكل العظمية من خلال بقايا الفك»، مقابلة شخصية، بتاريخ: 2024-02-04، عيادة طب وجراحة الأسنان، العلمة ولاية سطيف، (أذنت بنشرها).

إلى بقايا لهيكل يعود إلى إنسان بالغ دفن في وضعية الجلوس كنوع من الطقوس الجنائزية التي انتهجها الإنسان الإيبرومغربي يعود إلى حوالي 18000 سنة، ويظهر الجدار الأيسر لهذه المغارة مطلي بالمغرة الحمراء كأقدم تعبير فني بشمال إفريقيا، ينسب هذا الموقع الأثري إلى الحضارة العاترية بسبب احتوائه على عدد من الصناعات العائدة لها<sup>1</sup>، وكان لاكتشاف الهياكل العظمية العائدة للحضارة الإيبرومغربية دليلاً على صحة فرضية استمرار التعمير البشري بالمنطقة، وإذا رجحنا هذا الرأي فإن الحضارة الإيبرومغربية محلية والإنسان الإيبرومغربي هو سليل الإنسان العاتري على الأغلب.

تتميز الحضارة الإيبرومغربية بصناعاتها القزمية التي يتراوح حجمها ما بين: 3-7 سم، وتتنوع بين: النصال المشذبة القاعدة والمدببة الأطراف وأغلبها نصال مضروبة الظهر، المكاشط والمسننات، الأزامل الدقيقة والعادية ذات أشكال مستطيلة ومثلثة في الغالب وأخرى ذات أشكال منحرفة وهي نادرة جداً، أغلب صناعات هذه الحضارة من الحجر البركاني والكوارتز والصوان<sup>2</sup>، وتشمل آثار الحضارة الإيبرومغربية إلى جانب ما ذكر بقايا لهياكل بشرية، صناعات عظمية، أدوات زينة متمثلة في المعلقات والقلائد<sup>3</sup>.

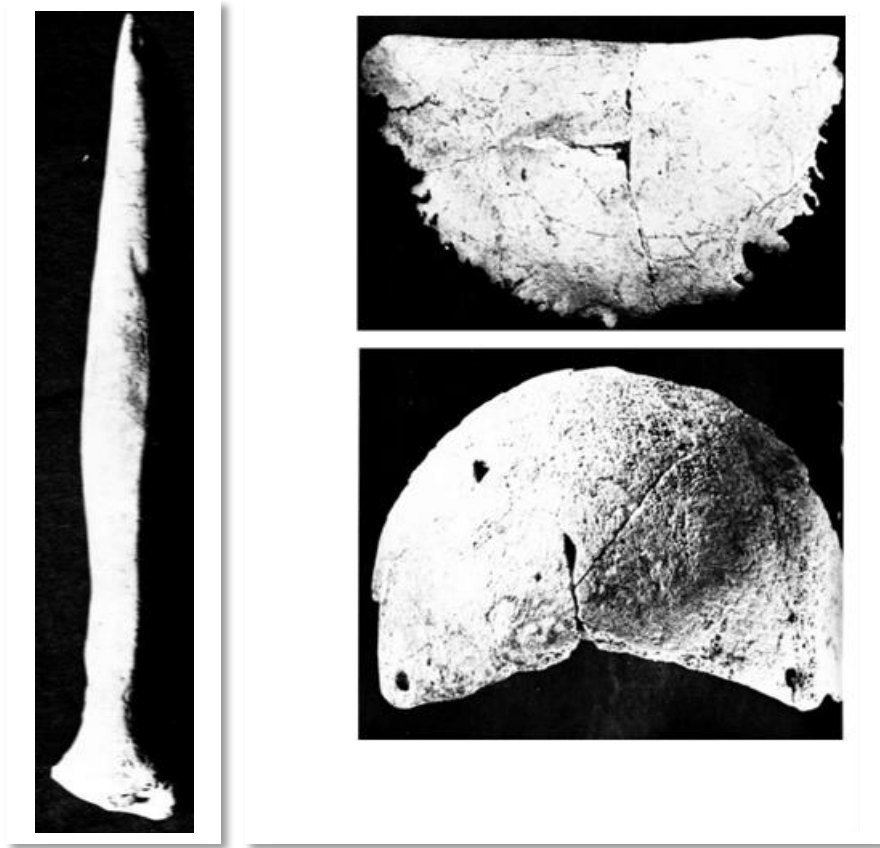
استمرت الحضارة الإيبرومغربية إلى غاية بداية الهولوسين في حدود 10000-9000 سنة قبل الميلاد، غير أن الهياكل البشرية التي عثر عليها في عدد من المواقع تشير إلى مواصفات الإنسان المشطي صانع الحضارة الإيبرومغربية في عدد من مقابر فجر التاريخ، كما يحمل عدد من الأشخاص حالياً مواصفات الإنسان المشتاوي ذي الخصائص المتوسطة ويقدر عددهم بنسبة 3% في شمال إفريقيا وأغلبهم في جزر الكناري<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> جميل حمداوي. (2016)، الحضارة الأمازيغية أنثروبولوجيا الإنسان التاريخ، الكتابة، الديانات والثقافة، ط2، إفريقيا الشرق، المغرب، ص: 92.

<sup>2</sup> - Camps, 1974, op.cit., P: 60.

<sup>3</sup> - Ibid., P: 62.

<sup>4</sup> - عقون، 2010، المرجع السابق، ص ص: 22-23.



شكل 19: عظام بشرية مصقولة لإنسان مشتة العربي

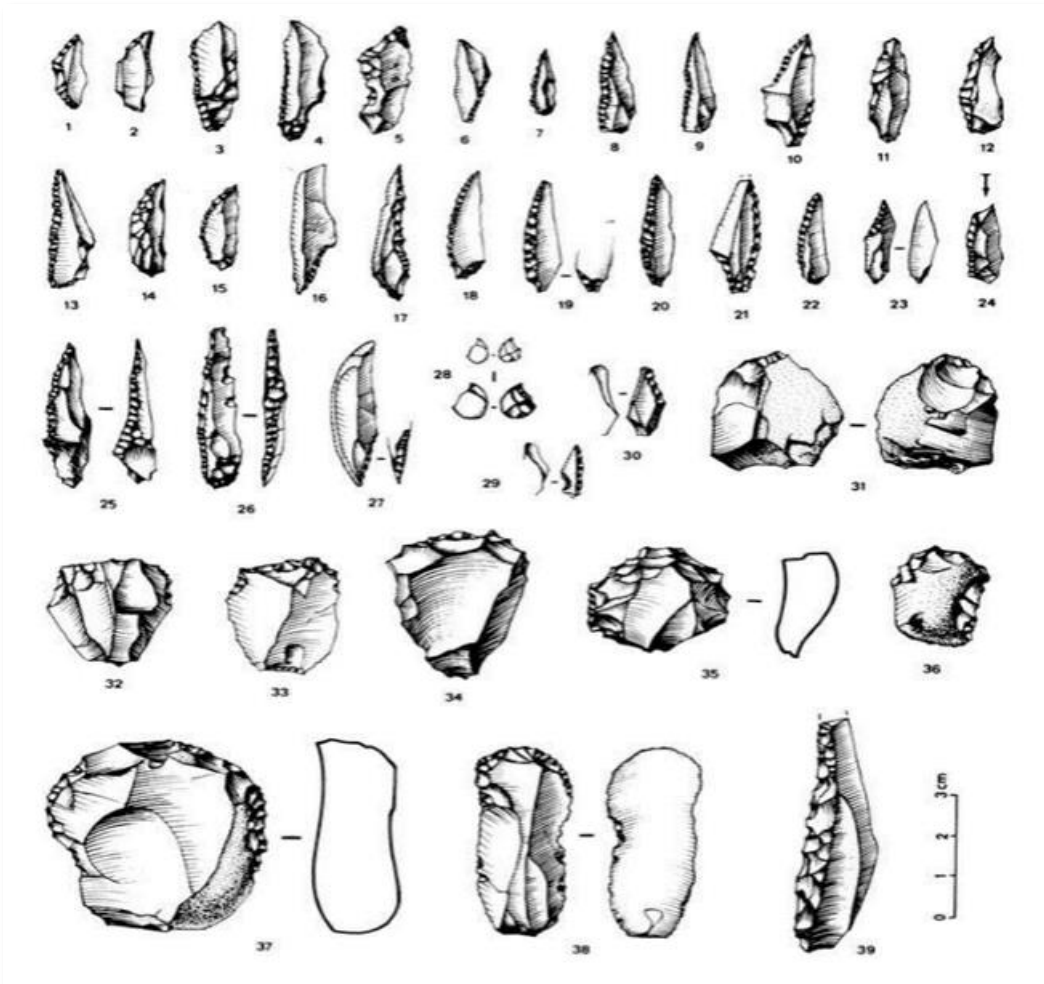
المصدر: Camps, 1974, P : 64

قسمت الحضارة الإيبيرومغربية حسب صناعاتها الحجرية إلى ثلاث مراحل:

- المرحلة القديمة: تميزت بندرة أدواتها التي تتخذ على العموم أشكالاً هندسية وعثر عليها في كل من: موقع تافوغالت بالمغرب الأقصى، موقع تامرقات بالقرب من بجاية، موقع راسل نواحي تيبازة، موقع المقطع بقفصة، وتتموضع آثارها ضمن الطبقات 6-9 بموقع تافوغالت.
- المرحلة الوسطى: تحتوي على عدد من الصناعات الحجرية ذات الأشكال الهندسية تغلب عليها النصال مضروبة الظهر، كما عثر إلى جانب الأدوات الحجرية على صناعات

عظمية في نفس الطبقة وأشهر مناطق تواجدها: موقع الخنزيرة، تافوغالت، بالمغرب الأقصى، موقع المويلح، الهامل، كوليمناطة بالجزائر.

- المرحلة المتطورة: تصبح الصناعات الحجرية خلال هذه المرحلة أكثر دقة مع تزايد عدد النصال مضروبة الظهر، بالإضافة إلى الصناعات العظمية وتتداخل زمنيا وأثرها مع الحضارة القفصية، ومن أشهر مواقعها: تمارا، بوسكورة بالمغرب الأقصى، موقع الهامل، الحويطة نواحي الأغواط، موقع جيجل الغربي بالجزائر<sup>1</sup>.



شكل 20: صناعات حجرية إيرومغربية بموقع راسل نواحي تيبازة  
المصدر: Camps, 1974, P : 65

<sup>1</sup>- غانم، 2003، المرجع السابق، ص ص : 87-88.

نستخلص من كل ما سبق ذكره أن الحضارة الإيبيرومغربية هي حضارة ساحلية نسبة لتركز اللقى المنسوبة إليها في مواقع ساحلية، كما عثر على بضعة مواقع داخلية منسوبة إليها على الأرجح أنها ناتجة عن انتقال الإنسان الإيبيرومغربي نحو هذه المناطق، كما أنها عمرت فترة هامة من الزمن قرابة ستة آلاف سنة، ثم تراجعت آثارها مقابل انتشار الآثار القفصية، إلى أن اندثرت تماما قبل حلول العصر الحجري الحديث، ويلاحظ إلى جانب ذلك أن معظم مواقع انتشارها كانت عبارة عن مناطق غابية تتوفر على مصادر الغذاء النباتية والحيوانية فضلا عن توفر مصادر المياه.

#### 4- مظاهر التعمير البشري خلال مرحلة الهولوسين

تتداخل نهاية مرحلة البلايستوسين بشكل كبير مع بداية مرحلة الهولوسين، لذلك كان من الصعب تحديد زمن فاصل بين المرحلتين، وتختلف الفرضيات بين وضع تاريخ تقريبي لبداية مرحلة الهولوسين ما بين 12000 ق.م و9000 ق.م، وعلى العموم فقد شهدت هذه المرحلة انتشارًا للحضارة القفصية التي تمتد على مدة زمنية تشمل نهاية البلايستوسين وبداية الهولوسين، كما تتداخل الحضارة النيوليتية مع القفصية وتغطي الجزء الأول من الهولوسين إلى غاية فجر التاريخ، وفيما يلي نركز على دراسة مظاهر الحضارة النيوليتية التي تعد الأهم والأبرز في تاريخ التعمير البشري خلال فترة ما قبل التاريخ.

#### 1.4 مظاهر الحضارة القفصية

اتخذت تسميتها من موقعها النموذجي بقفصة، كما عثر على أدواتها الميكروليتية في كل من الجنوب الغربي لتونس والجزء الشرقي المحاذي له بالجزائر إلى غاية شمال الصحراء، ويعود تاريخ اكتشافها إلى سنة 1910م على يد الباحث دي مرجان (De Morgane)، انتشرت مواقعها على المناطق الداخلية السهبية والتلية غير أنها لم تصل إلى السواحل على عكس الإيبيرومغربية، كما تركزت أماكن الاستقرار البشري لهذه الحضارة بالقرب من نقاط توفر المياه مثل: الأودية والأحواض

والسبخات، إضافة إلى الكهوف والمخابئ الصخرية وفي بعض الأحيان توجد آثار التجمعات البشرية في الهواء الطلق<sup>1</sup>.

تتداخل بداية الحضارة القفصية مع الحضارة الإيبيرومغربية في عدد من المواقع التلية خاصة في الشرق الجزائري، ويرجح أن تعود بدايتها إلى حدود 12000 ق.م ما يقابل نهاية البلايستوسين وبداية الهولوسين، حيث تقابل هذه المرحلة نهاية الفترة الجليدية بأوروبا المسماة بالفورم، وأطلقت تسمية الرماديات والحلزونات على المواقع القفصية نسبة لانتشار أكوام الرماد وفحم المواقد التي استخدمها الإنسان القفصي، إضافة إلى كثرة قواقع الحلزون المتراكمة في مساحات واسعة مشكلة عدة طبقات سمكية<sup>2</sup>.

تتمثل أبرز المواقع التي أكتشفت فيها بقايا الحضارة القفصية في كل من: موقع المقطع النموذجي بتونس، عين الذكارة، خنقة المهاد، ريلايي بتبسة، السهول العليا القسنطينية والسطايفية، موقعي كوليمناطة وعين كيدا قرب تيارت بالجزائر<sup>3</sup>، وبالنسبة للصحراء الجزائرية تركزت أهم مواقعها بالقرب من وادي منقوب، واد سوف، عين القطارة بالقرب من تادمايت<sup>4</sup>، ويشير من جهته ماك بيرني (Mac Burney) إلى آثار الحضارة القفصية التي عثر عليها بموقع هوأفتيح بليبيا ضمن الطبقة العاشرة المؤرخة ما بين 9000 و 7000 ق.م، وهو ما أكدته نتائج التنقيبات التي قام بها فريق البحث من جامعة كامبريدج بناءً على تحاليل الكاربون المشع C<sub>14</sub> سنة 1955 م<sup>5</sup>.

تتميز الصناعات القفصية بالدقة والتنوع وهندسية الأشكال ما بين المثلثة والهندسية والمنحرفة والمستقيمة، إلى جانب الصناعات العظمية الدقيقة، وتنوع مصنوعاتهما بين: المكاشط، الأزاميل، المحكات، المخارز ذات الأحجام الصغيرة، كما تميزت هذه الحضارة بزخرفة قشور بيض النعام

<sup>1</sup> - غانم، 2003، المرجع السابق، ص ص : 93-94.

<sup>2</sup> - R. Vaufray. (1937), « Le capsien des environs de Tébessa », *Bulletin de la Société de Préhistoire et d'Archéologie*, T1, <https://www.persee.fr>, PP : 130-137.

<sup>3</sup> - Balout, 1958, op.cit., P : 409.

<sup>4</sup> - Ibid., P : 411.

<sup>5</sup> - G. Mac Burney. (1967), *The Hawa Feth (Cyeneenaica) and the stone age of southeast Mediterranean*, Cambridge University, United Kingdom, PP: 332-333.

التي عُثِرَ عليها وبكثرة في العديد من المواقع في حين تعد النصال قليلة جدا تعوضها الشفريات مضروبة الظهر والشظايا؛ وقد عثر على عدد من بقايا الصناعات الحجرية والعظمية إضافة إلى قشور بيض النعام التي تعود إلى الحضارة القفصية في مواقع بفلسطين، ما يشير على وجود تواصل حضاري مبكر بين إفريقيا والشرق الأدنى القديم<sup>1</sup>.

تنقسم الحضارة القفصية بناءً على صناعاتها الحجرية والعظمية إلى مرحلتين:

- المرحلة القفصية النموذجية: تظهر آثارها على مستوى المواقع الممتدة من تبسة إلى

قفصة على شكل نصف دائرة، كما اتسمت صناعاتها بالخشونة والطول، تغلب عليها المحكات

إضافة إلى صناعات عظمية تتمثل في المخارز والشفريات<sup>2</sup>.

- المرحلة القفصية العليا: تكثر خلال هذه المرحلة الصناعات القزمية ذات الأشكال

الهندسية، أغلبها مصنوعة من حجر الصوان وتتنوع ما بين الأزاميل الطويلة الدقيقة والنصال

المثلثة والمستديرة وشبه المنحرفة، إضافة إلى الشفريات المخرّزة وقشور بيض النعام المحززة

بأشكال هندسية، وقواقع مثقوبة على الأرجح أنها استخدمت كحلي، وتتداخل صناعات هذه

المرحلة مع الصناعات النيوليتية حيث عثر على العديد من مواقعها بالقرب من مواقع الفن

الصخري<sup>3</sup>.

استمرت الحضارة القفصية بشمال إفريقيا لمدة أقل من مدة تعمير الحضارة الإيبيرومغربية وعلى

رقعة أقل انتشارا، ويرجح أنها انتهت في حدود الألف السادسة أو الخامسة وهنالك من الباحثين من يرى

أنها امتدت في بعض المواقع إلى غاية الألف الرابعة كأقصى تقدير لها<sup>4</sup>، تتشابه الصناعات القفصية مع

صناعات الحضارة السبيلية بمصر والحضارة النطوفية بفلسطين ربما يدل ذلك على استمرار الاتصال

البشري بين الشرق والغرب، خصوصا وأن كهف هوأفتيح يحمل آثار الحضارة النطوفية كما يحتوي إلى

<sup>1</sup>- Vaufrey, 1937, op.cit., PP : 137-139.

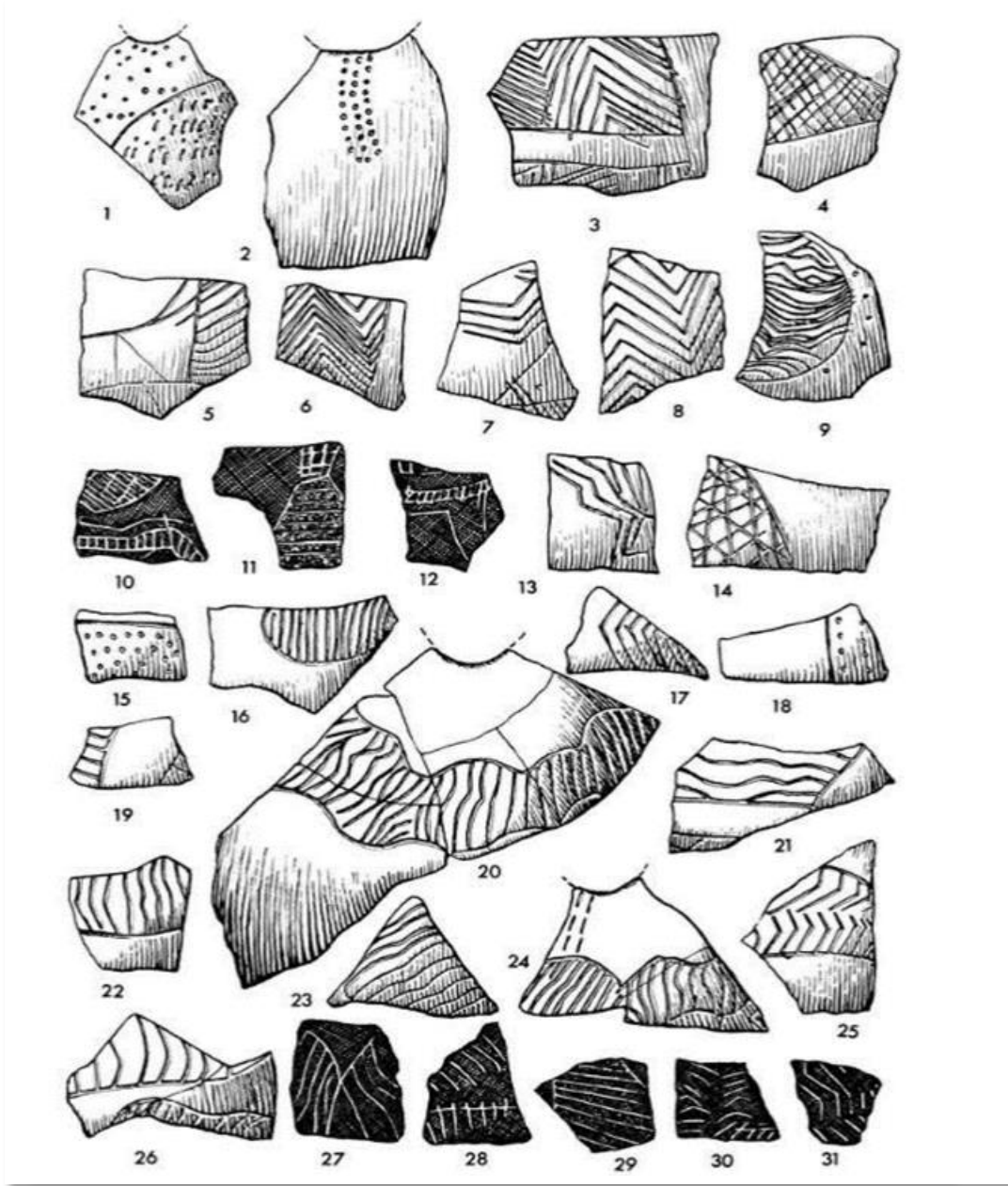
<sup>2</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 110.

<sup>3</sup>- Ibid., P: 110.

<sup>4</sup>- Balout, 1958, op.cit., P: 414.

جانب ذلك على آثار الحضارة القفصية من الصناعات العظمية وقشور بيض النعام<sup>1</sup>، بالمقابل عثر

على آثار الحضارة السبيلية في صحراء تانزروفت المؤرخة في حدود العصر الحجري الوسيط<sup>2</sup>.

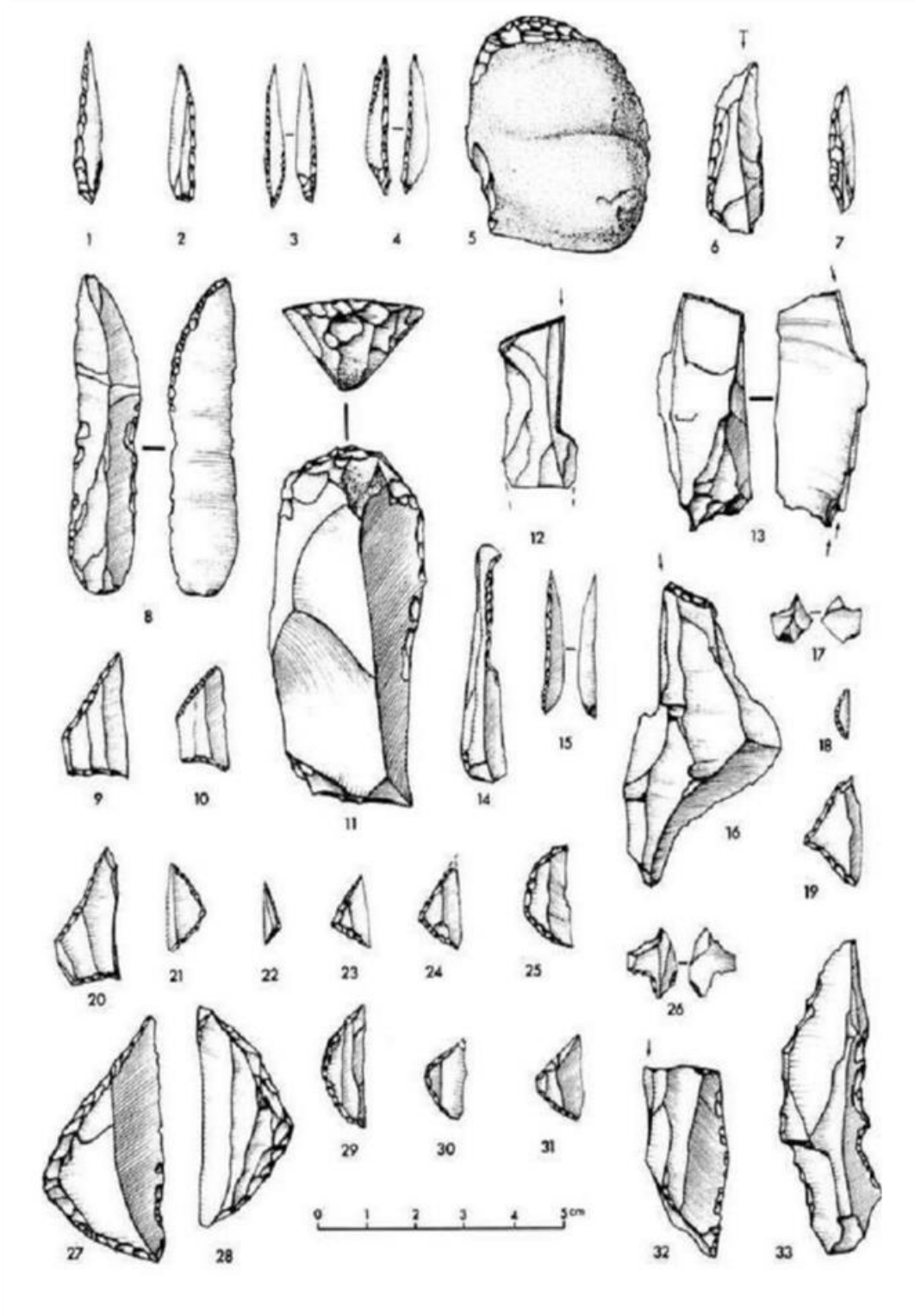


شكل 21: قشور بيض النعام مزينة بنقوش وحزوز تعود إلى المرحلة القفصية عثر عليها بالقرب من تبسة بالشرق الجزائري.

المصدر: Camps, 1974, P :184.

<sup>1</sup> -Camps, 1974, op.cit., PP : 192-194.

<sup>2</sup> - Slimane Hachi. (2003), « Les Cultures De L'Homme De Mechta Afalou, Les Gisement d'Afalou Bou Rhmmel (Massif Des Babors, Algérie) », Mémoire de C. N. R. P. A. H, série, N°2, P : 12.



شكل 22: صناعات قفصية بموقع ولاد جلال بسكرة

المصدر: Camps, 1974, P : 142.

نخلص من خلال ما سبق تقديمه إلى أن القفصيين وبما أنهم عاصروا جزءاً من المرحلة النيوليتية فربما كانوا المسؤولين عن ابتكار البعض من مشاهد الفن الصخري أو أنهم شاركوا في إنجازها، سواء بالنسبة للشمال في المناطق التلية أو في المناطق الصحراوية، أما بالنسبة لأصل السكان فمن الواضح حسب المواصفات الفيزيولوجية التي ظلت تظهر على الكثير من سكان المنطقة في الفترات اللاحقة وحتى في عصرنا المعاصر، فإنهم عبارة عن مزيج من الجنس المشتاوي والجنس القفصي والجنس الشرقي المتمثل في الإثيوبيين من الجزء الشرقي لقارة إفريقيا، ليتشكل أخيراً مزيج من الشعوب الليبية الإفريقية، وبالتالي يمكن القول بأن التعمير البشري على الأغلب يعود إلى الأصل الإفريقي (مزيج إفريقي ناتج عن الهجرة الداخلية للفئات البشرية داخل القارة نفسها).

#### 2.4 المميزات العامة للحضارة النيوليتية

يتباين تأريخ بداية العصر الحجري الحديث بين مختلف أنحاء العالم، فهو لم يظهر في نفس الفترة الزمنية في جميع المناطق، غير أن الانتقال من العصر الحجري الوسيط إلى العصر الحجري الحديث يعد بمثابة ثورة حقيقية في حياة إنسان ما قبل التاريخ، فبعدما تمكن الإنسان من التحكم في الحجارة وبرع في تحويلها إلى أدوات تخدم متطلبات حياته، أصبح يفكر خلال المرحلة النيوليتية في تطوير دائرة صناعته وإنتاجه لضمان حياة أفضل<sup>1</sup>، حيث تحكّم إنسان شمال إفريقيا خلال هذه المرحلة في تقنية الصقل وتنوعت صناعته الحجرية بين: المكاشط المصقولة، النصال الدقيقة، السهام، المثاقب، المخارز، المطاحن والأزاميل، كما تنوعت صناعاته العظمية ومن بينها: الإبر والدبابيس والخناجر، يضاف إليها القطع الصغيرة التي كانت تستخدم كحلي أو ترائب، إلى جانب الصناعة الفخارية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 127.

<sup>2</sup> - H. Camps-Fabrer. (1966), *Matière et Art mobilier dans la préhistoire Nord-Africain et Saharienne*, Centre de Recherches Anthropologiques Préhistorique et Ethnographique, Paris, P : 8.

تشير نتائج الاكتشافات في كل من التاسيلي نازجر وتادراوت أكاكوس على بقايا لمواقد وشظايا خزفية تدل على أن الفخار كان مستعملاً بالمنطقة منذ ما يسبق 8000 سنة قبل الميلاد، حيث عثر على قطع فخارية بموقع تين هاناكتان بالتاسيلي نازجر أرخت في حدود 9420 ق.م وهو بذلك أقدم من الفخار الذي عثر عليه في المناطق الشمالية المؤرخ في حدود 6000 ق.م<sup>1</sup>، كما عثر بالأكاكوس على هيكل بشري من النوع الزنجي مع آثار لثياب جلدية أرخت في حدود 9000 ق.م، ومن جهة ثانية عثر على بقايا مشابهة من حيث التأريخ بالهقار، ما يدل على أن العصر الحجري الحديث في كل من التاسيلي والهقار والأكاكوس ومرتفعات الإينيدي أقدم من مثيله في المغرب الأقصى ومعاصر لنظيره في ليبيا الشرقية وأوروبا الجنوبية<sup>2</sup>.

شهدت منطقة شمال إفريقيا عودة للأمطار مع بداية مرحلة الهولوسين بعد طول فترة الجفاف السابقة، امتلأت خلالها الخزانات الطبيعية وبلغ منسوب المياه فيها أعلى سُلماً له مقارنة بالفترات الرطبة السابقة، تزامن مع هذه المرحلة عودة للتعمير البشري حيث شهدت المنطقة كثافة سكانية هامة مع بداية الفترة النيوليتية خاصة بالصحراء الوسطى، وعلى الرغم من فترات الجفاف قصيرة المدى التي تخللت العصر الحجري الحديث إلا أن استمرار الحضارة النيوليتية والتعمير البشري دليل على تأقلم الإنسان مع بيئته وقدرته على التحكم فيها وابتكار حلول ووسائل تضمن استمراره<sup>3</sup>.

ساهمت وفرة المياه في تحقيق الاستقرار الأول للجماعات البشرية<sup>4</sup>، فبعدما اختبر الإنسان حياة التنقل توصل خلال العصر الحجري الحديث إلى فكرة الاستقرار في جماعات قرب مصادر المياه<sup>5</sup>، أخذت هذه الأقوام تنتقل شيئاً فشيئاً نحو الاستئناس والزراعة بدلا من الصيد والترحال والالتقاط<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- Le Quellec, 2006, op.cit., p : 112.

<sup>2</sup>- أولدروج، 1980، المرجع السابق، ص: 284.

<sup>3</sup> - Hachid, 2007, op.cit., P : 4.

<sup>4</sup> - خزعل الماجدي. (1997)، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط1، دار الشروق، الأردن، ص: 77.

<sup>5</sup> - محمد بيومي مهران. (1990)، مصر والشرق الأدنى القديم المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص: 33.

<sup>6</sup> - الماجدي، المرجع السابق، ص: 77.

وأضحى الإنسان ينتج طعامه بنفسه لأول مرة في تاريخه فكان ذلك بمثابة قفزة نوعية هامة، لم تكن لتتحقق إلا في ظروف مناخية مناسبة وبيئة رطبة، ومن ثم بدأ ينشئ قواعد اقتصادية تنظم حياته وإنتاجه كما ابتكر طرقاً لتخزين طعامه<sup>1</sup>.

بعدما تمكن الإنسان خلال المرحلة النيوليتية من التحكم في تدجين الحيوانات والزراعة، أخذ يبحث عن مصادر دائمة للمياه من شأنها أن تحقق له استيطاناً دائماً بدلاً من الاستيطان الموسمي، فبدأت تتشكل قرى تظم عدداً أكبر من الأفراد والمساكن وبدأت تظهر المجتمعات المستقرة بالقرب من مراكز توفر المياه الدائمة، حيث اكتشف الباحث رولمان (Roulmain) بوادي باث قرب مدينة طنجة آثاراً لثلاث مجتمعات سكنية البعد بينها لا يتجاوز خمسة كيلومتر<sup>2</sup>، كما تركزت أغلب مشاهد الفن الصخري بالقرب من الأودية ونقاط توفر المياه على غرار النقوش الصخرية المكتشفة على طول واد جرات ووادي إهريير وغيرها بالتاسيلي، إضافة إلى مشاهد وادي الأجال ووادي الشاطئ بمرتفعات الأكاكوس، واد زقزة ووادي مسعودة بفزان، مشاهد واحة غات وسردليس، وهي مشاهد قامت بإنجازها دون أدنى شك الأقوام التي عمرت المنطقة في أماكن تتركز مصادر المياه<sup>3</sup>.

أصبح الإنسان خلال هذه المرحلة أكثر ارتياحاً بعدما تمكن من تحقيق استقراره وأمنه الغذائي، وشرع في ابتكار ما يتلاءم مع نمط حياته الجديدة فطوّر صناعاته الحجرية وابتكر الفخار وصنع القراب والسلال وأدوات تخزين المؤن بمختلف أنواعها، وانطلاقاً من فكرة تخزين الطعام بدأ يبحث عن طرق لتخزين المياه بدلاً من الاعتماد على الأمطار أو ما توفره مصادرها الطبيعية فابتكر القراب والجرار وغيرها، كما دخل مرحلة الإنتاج الفكري حيث أرخ لمختلف تفاصيل حياته اليومية وظروفه البيئية من خلال المشاهد الصخرية التي جسدها على جدران الكهوف والمغارات<sup>4</sup>، وقد كان لكل هذه العوامل

<sup>1</sup>- مهران، المرجع السابق، ص: 33.

<sup>2</sup>- نفسه، ص: 33-34.

<sup>3</sup>- موري، المرجع السابق، ص: 26، 32.

<sup>4</sup>- مهران، المرجع السابق، ص: 34.

آثارها على التكوين النفسي والديني النابع عن الشعور الروحي للإنسان والذي يمتزج إلى حد بعيد مع المظاهر الاجتماعية لمعمري هذه المرحلة<sup>1</sup>.

### 3.4 مراحل العصر النيوليتي

ينقسم العصر الحجري الحديث بالنسبة لشمال إفريقيا إلى ثلاثة أقسام نذكرها فيما يلي:

#### 1.3.4 النيوليتي المتوسطي الساحلي

تشابه الملامح النيوليتية للسواحل الشمالية لإفريقيا مع نظيرتها بالسواحل الجنوبية لأوروبا من حيث خصائص الصناعات الحجرية والعظمية والفخارية، ويتسم هذا النوع على وجه العموم بقلّة الأدوات الحجرية والتي تتسم في الغالب بكثرة الحزوز والمسننات والنصال ذات الظهر، مع ندرة في الصناعات القزمية والفؤوس ورؤوس السهام<sup>2</sup>، أما فيما يخص الأواني الفخارية فقد عثر على بقايا منها في عدد من المواقع الساحلية الغربية في كل من موقع: أشاكار قرب طنجة، وموقع غار كاحل قرب سبتة تميزت بأشكال شبه دائرية ذات فتحة كبيرة وعنق قصير أو منعدم في الغالب، وأخرى ذات أشكال مخروطية القاعدة وفي بعض الحالات تحتوي على مقابض متنوعة، كما تتميز بزخارف متناوبة ومتجاورة على شكل أنصاف دوائر ومثلثات وشكل الحرف U، إضافة إلى خطوط بسيطة ومربعات، وأغلب هذه الزخارف لا تتعدى مقابض الأنية، توحى هذه الزخارف بأنها منجزة بواسطة عروق وأوراق نباتية<sup>3</sup>، وبذلك يشبه هذا الفخار نمط الصناعة الكارديالي (Style Cardial) والانطباعي (Style Impressionné) بجنوب أوروبا<sup>4</sup>.

عثر بالمقابل في السواحل الشرقية القريبة من الجزر الإيطالية في عدد من المواقع على غرار:

موقع: قرية، هرجلة، جبل الذيب بتونس، والقالة بالجزائر، على صناعات حجرية نيوليتية من حجر

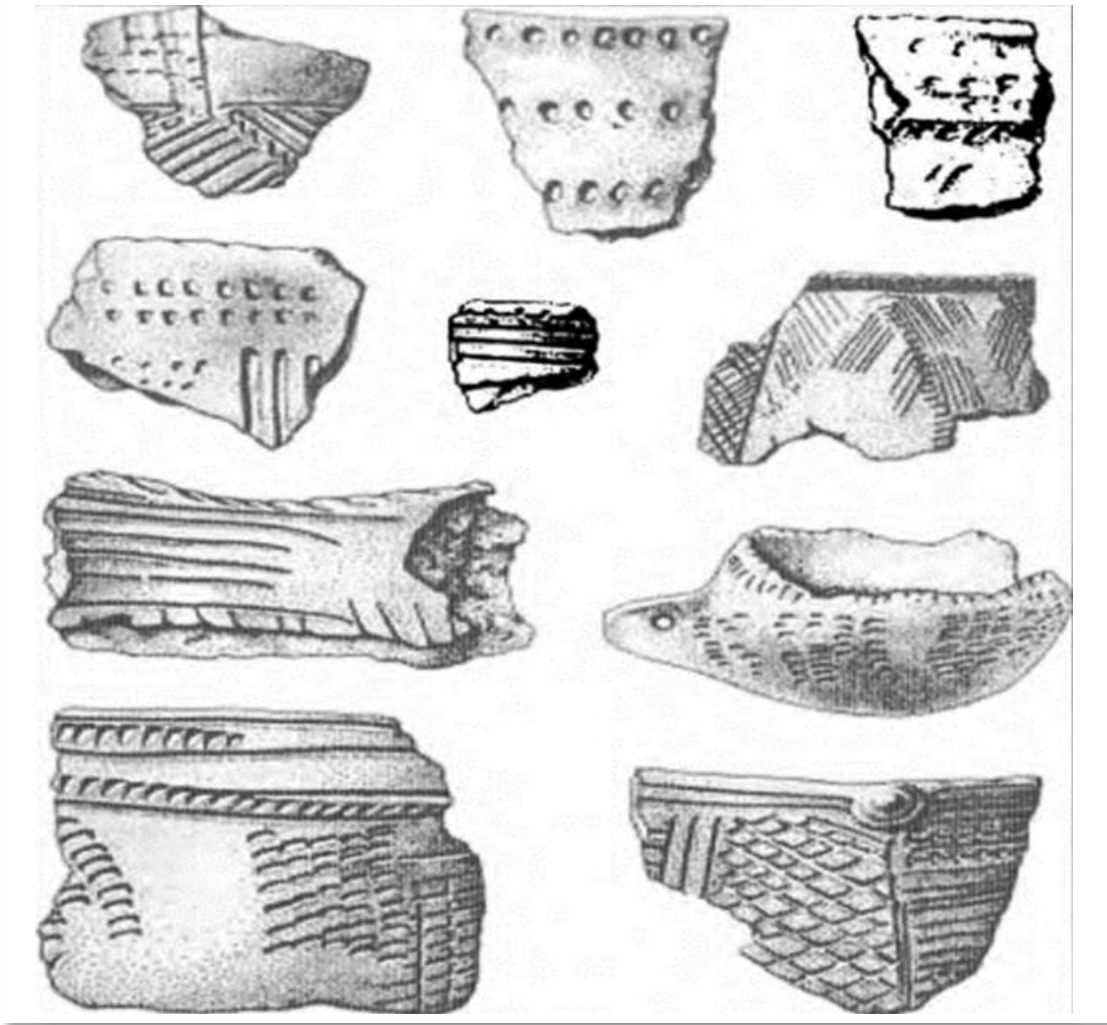
<sup>1</sup> - الماجدي، المرجع السابق، ص: 78.

<sup>2</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 129.

<sup>3</sup> - نفسه، ص ص: 128-129.

<sup>4</sup> - غانم، 2003، ص: 137.

السيج<sup>1</sup> المنعدمة بالسواحل الشرقية في تونس والجزائر والتي تكثر خاصة في الجزر الإيطالية<sup>2</sup>، ويرى كامبس أنه يعود إلى حدود الألف السابعة قبل الميلاد<sup>3</sup>.



شكل 23: قطع من أواني فخارية من النمط الانطباعي بموقع القطارة بالغرب الجزائري.

المصدر: غانم، 2003، ص: 136.

#### 2.3.4 النيووليتي ذي التقاليد القفصية

<sup>1</sup> - السيج هو نوع من أنواع الحجر البركاني، يمتاز بلونه الأسود الشفاف ذو مظهر زجاجي ويكثر تواجده بالقرب من الجزر البركانية، تعددت استخداماته قديما بين صنع: السكاكين ورؤوس السهام والشفرات، إضافة إلى صناعة الحلي والخرز والأواني.

<sup>2</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 128-129.

<sup>3</sup> - Camps, 1974, op.cit., P : 219.

ينتشر النيوليتي ذي السمات القفصية بالمناطق الداخلية على عكس المتوسطي، ويتميز بصناعات حجرية متنوعة من: المكاشط والمسننات والنصال ورؤوس السهام والفؤوس المصقولة وأدوات الطحن، إضافة إلى الصناعات العظمية المتمثلة في الأدوات المصقولة والقاطعة والمثاقب، أما عن الأواني الفخارية فتتميز بأشكال مخروطية ذات مقابض دائرية وفتحات عريضة مزينة بحزوز غائرة مستقيمة توحى بأنها منجزة بواسطة أداة تشبه المشط، وحلي مصنوعة من القواقع البحرية وقواقع السلاحف وحصى النهر الملونة، وأهم ما يميز هذا النمط هو قشور بيض النعام التي استخدمت للترزين أو كآنية لحفظ السوائل، دون أن نغفل استعمال المغرة في ترزين الأواني ومشاهد الرسوم الصخرية<sup>1</sup>.

يمتد النمط النيوليتي ذي التأثير القفصي من جنوب غرب تونس شرقا إلى غاية المحيط الأطلسي غربا، على معظم الهضاب والسهول العليا إلى غاية مشارف الصحراء<sup>2</sup>، ومن أشهر مواقعه: قفصة، الرديف، الداموس الأحمر وكهف كابيتيلي بالأوراس، عين قطارة، حاسي المويلح، مواقع مدينة ورقلة، حاسي مندة، زميلة البركة، واد زقاق، كما أرخت معظم مواقعه بين الألف السادسة والألف الخامسة قبل الميلاد<sup>3</sup>.

ويرى عدد من الباحثين على غرار بالو أن القفصيين هم المسؤولون عن إنجاز لوحات الفن الصخري بمرتفعات الأطلس الصحراوي، نظرا لتشابه اللقى الأثرية مع ما تحمله مضامين المشاهد الصخرية<sup>4</sup>، وقد عثر على قطع من قشور بيض النعام بموقع عرق إساون شمال التاسيلي يحمل بعضها صورا لحيوانات برية وأبقار وبعضها مزين بزخارف ورموز مختلفة<sup>5</sup>.

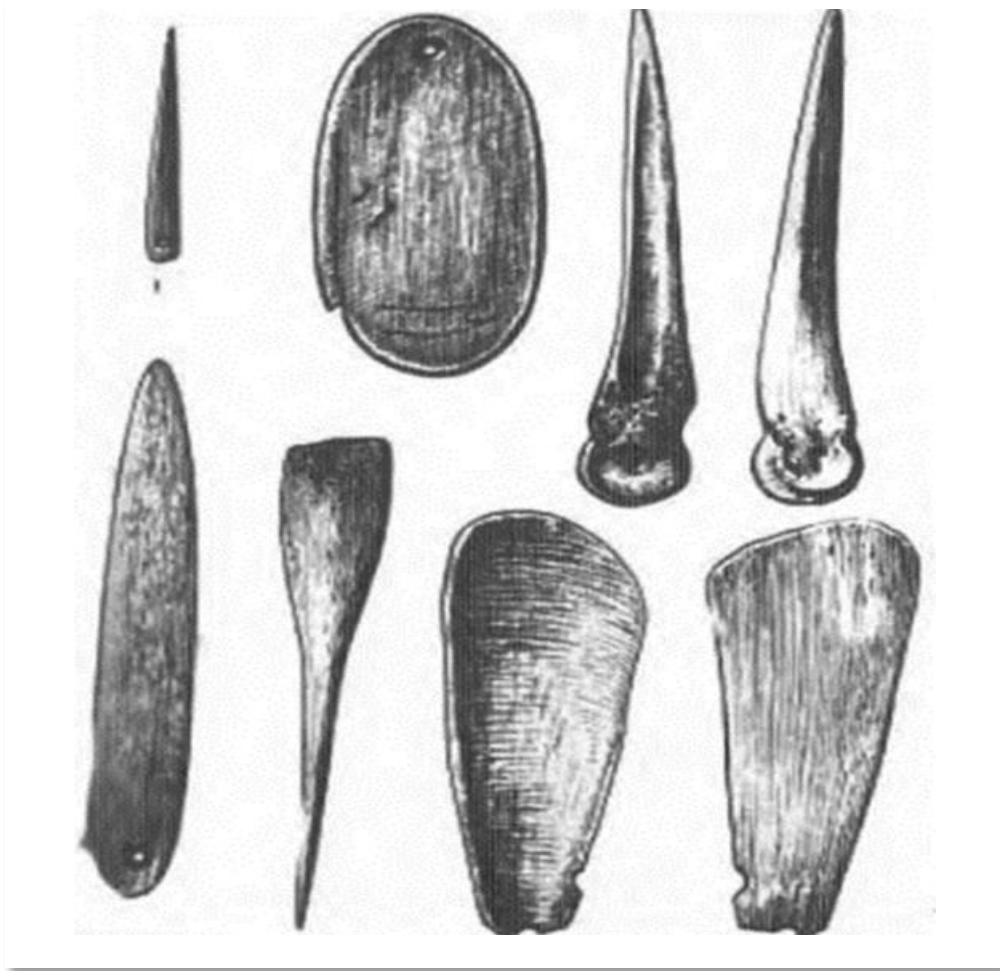
<sup>1</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 130-131.

<sup>2</sup> - غانم، 2003، المرجع السابق، ص: 125.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 131.

<sup>4</sup> - Balout, 1972, op.cit., P : 18.

<sup>5</sup> - Aumassip, 1997, op.cit., P : 155.



شكل 24: صناعات عظمية من النمط النيوليتي ذي السمات القفصية  
المصدر: غانم، 2003، ص: 127.

### 3.3.4 النيوليتي الصحراوي

انتشر هذا النمط في مناطق واسعة من الصحراء، أطلق عليه في البداية تسمية النيوليتي الصحراوي السوداني وذلك لاعتقاد الباحثين أن أصله يعود إلى الخرطوم بالسودان نسبة لأولى الأدوات النيوليتية المكتشفة بموقع شينهاب، غير أن الأبحاث التي أجريت على عدد من المواقع الأثرية بالصحراء الوسطى أثبتت تشابه اللقى المكتشفة بهذه المواقع مع نظيرتها بالسودان من حيث النمط

والتأريخ، وبذلك لا يمكن أن يكون تأثير هذا النوع قد انطلق شرقاً من السودان نحو بقية المناطق بالصحراء الوسطى<sup>1</sup>.

أثبتت من جهة ثانية نتائج التحليل بواسطة الكربون المشع C<sub>14</sub> على أقدمية الفخار بالصحراء الوسطى حيث أعطت تواريخ متقاربة مع نظيرتها في كل من موقع نبتا بلايا بمصر وموقع العظام بالسودان، وبهذا الخصوص اقترح الباحث كامبس الاكتفاء بتسمية النيوليتي الصحراوي فقط بدلا من تسمية السوداني، كما قسمت أماكن انتشاره بالصحراء وفقا لمراكزه الحضارية إلى عدة أقسام: النيوليتي الصحراوي بالهقار والتاسيلي، النيوليتي الصحراوي بأدرار الإيفوراس، النيوليتي التلمسي بمالي، التينيري بالنيجر، ظهر تشيت بموريتانيا والصحراء الغربية<sup>2</sup>.

يتميز هذا النمط من النيوليتي بقلّة الصناعات الحجرية ورداءتها وتشمل: الأدوات ذات الظهر، رؤوس السهام، المطاحن والمدقات والمقاطع والمصاقل، والصنارة والخطاف، وبعض الصناعات الكروية، مع غياب المحكات والحجارة القزمية ذات الأشكال الهندسية وهي مصنوعة على وجه العموم من الحجارة البركانية<sup>3</sup>، وتنوع الصناعات العظمية بين: المخارز والخناجر والشفرات، كما استخدمت كحلي للزينة وعثر إلى جانبها على بعض العقيق، وأهم ما ميّز النيوليتي الصحراوي الفخار ومشاهد الفن الصخري والكثافة السكانية، حيث أثبتت اللقى الأثرية أن الصحراء الوسطى كانت بمثابة وحدة ثقافية حظيت بالاستقرار البشري منذ بداية مرحلة الهولوسين<sup>4</sup>، نظراً لكونها شهدت فترة رطبة وبيئة خضراء وفيرة الكلاً والمياه خلال هذه المرحلة<sup>5</sup>.

تشير مشاهد الفن الصخري في عدد من المواقع بالصحراء الوسطى على وجود مزيج بشري بين الجنس الأبيض المتوسطي والجنس الزنجي، كما عثر سنة 1966م بموقع أمكني بالقرب من الهقار الذي

<sup>1</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 132.

<sup>2</sup> - Camps, 1974, op.cit., P : 224.

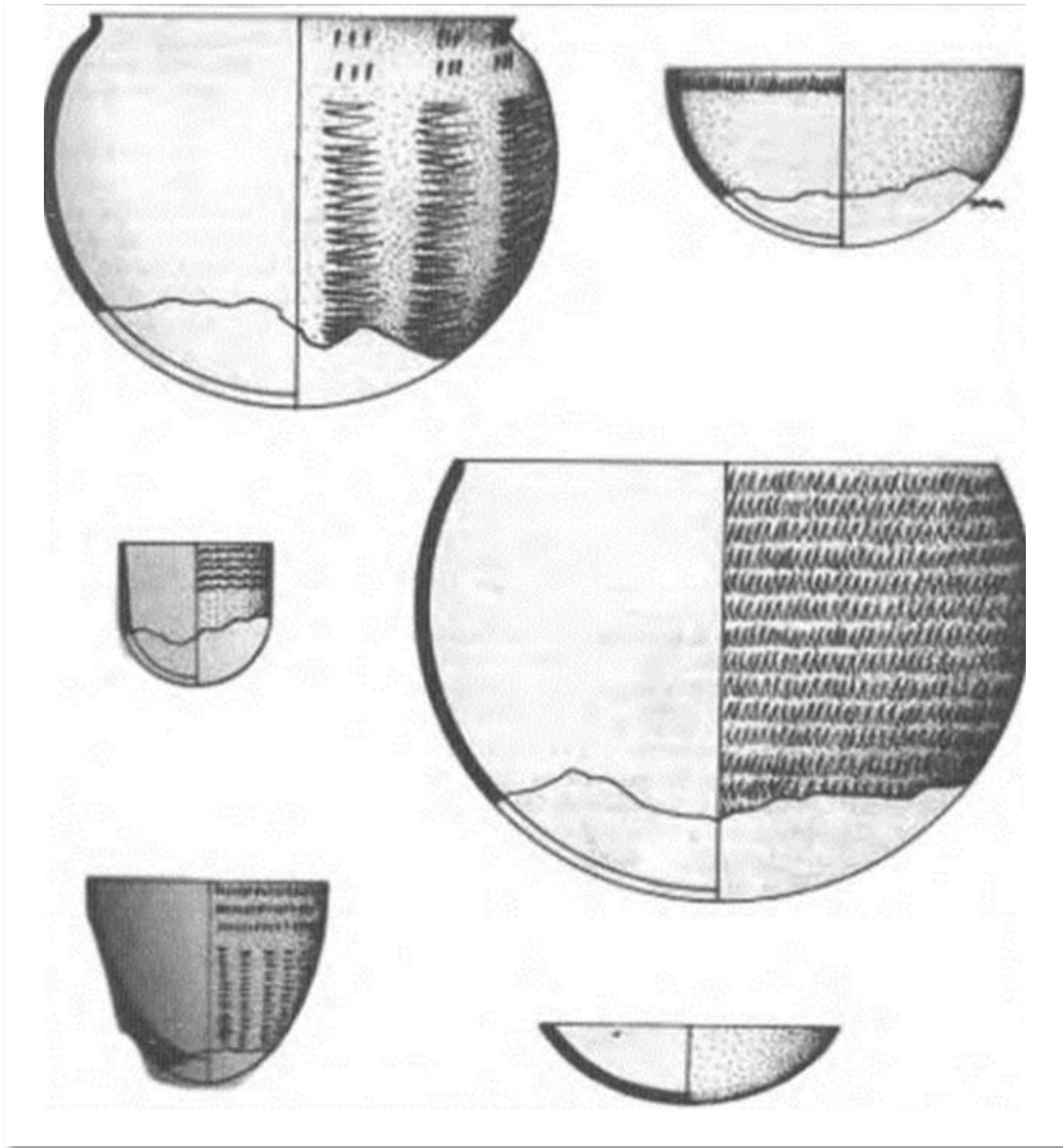
<sup>3</sup> - سحنوني، 1999، المرجع السابق، ص: 133.

<sup>4</sup> - Hachid, 1998, op.cit., P : 218.

<sup>5</sup> - Camps, 1974, op.cit., P : 226.

يعتبر من بين أهم المواقع الأثرية على يد فريق بحث بقيادة غابريال كامبس ، على ثلاثة قبور تحتوي على عظام بشرية لامرأة وطفلين ، أثبتت النتائج التشريحية أنها تعود لأشخاص زواج أرخت في حدود الألف

السابعة قبل الميلاد<sup>1</sup>.



شكل 25: فخار مزين بحزوز على شكل سلال عثر عليه بموقع أمكني بالقرب من الهقار.  
المصدر: غانم، 2003، ص: 120.

<sup>1</sup>- Chamla, 1968, op.cit., P : 99.

## 4.4 مظاهر النشاط البشري خلال الفترة النيوليتية

شهدت الصحراء الوسطى خلال المرحلة النيوليتية تطوراً في التفاعل البشري وفقاً للظروف الطبيعية السائدة بعد طول فترة الركود التي شهدتها المنطقة سابقاً، تمثلت مظاهر هذا النشاط في التحول من حياة الترحال والتنقل إلى حياة الاستقرار واكتشاف الزراعة، كما نجح الإنسان في تطوير الآلات والتقنيات المرتبطة بزراعة الأرض والصيد، واستئناس الحيوانات بدلاً من الاعتماد على الصيد والالتقاط، حيث شهدت هذه الفترة تكتل الجماعات البشرية في أماكن وفيرة المياه تربطها غاية تحقيق التعاون والتكافل لمواجهة مصاعب الحياة<sup>1</sup>.

تمكن الإنسان بفضل الزراعة من التعرف على الفصول المناخية وتحديد فتراتها من خلال أصناف النباتات، حيث تنمو بعض الفصائل في فصل دون غيره، وتشير نتائج الحفريات إلى تنوع المزروعات بمنطقة الصحراء الوسطى على غرار: الشعير والذرة والبقول والقمح الذي كان أكثر المزروعات انتشاراً<sup>2</sup>، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن البدايات الأولى لهذه المزروعات مستمدة من أصولها البرية<sup>3</sup>، حيث عثر على معظم هذه المزروعات ضمن الطبقات الأثرية لأراضي الجرامنت جنوب فزان التي يعود تاريخها إلى المرحلة النيوليتية<sup>4</sup>، إضافة إلى نوى التمر بمنطقة تانزروفت في مدافن تعود إلى النصف الثاني من الألف الرابعة قبل الميلاد كدليل على انتشار أشجار النخيل ودليل كذلك على الاستقرار البشري بهذه المنطقة خلال المرحلة النيوليتية<sup>5</sup>.

استطاع الإنسان تأمين غذائه خلال العصر الحجري الحديث ثم بدأ يبحث عن طرق لتخزين منتوجه حتى يتمكن من استخدامه وقت الحاجة، ومن ثم لجأ إلى صناعة الأواني الفخارية لتخزين

<sup>1</sup> - هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 9.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 107-108.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 108.

<sup>4</sup> - فيرون، المرجع السابق، ص: 49.

<sup>5</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit.-P : 120.

الغذاء والماء وصنع القراب، وأصبح غذاؤه متنوعا بعدما تحكّم في الزراعة واستأنس الحيوانات التي استغل لحومها وألبانها<sup>1</sup>، حيث تُظهر بعض المشاهد الصخرية عددا من الأبقار المربوطة إلى بعضها في وضعية متقابلة ليؤخذ منها الحليب، كما تنوعت طرق طهو الطعام، وعلى الأرجح أن معمري هذه الحقبة استخدموا التوابل وخاصة الملح، حيث تزخر الصحراء الوسطى بمناجم الملح المنتشرة على طول الطريق الممتدة ما بين منطقة أمقيد إلى غاية عين صالح المعروفة بطريق الملح<sup>2</sup>.

اتسمت المرحلة النيوليتية بنشأة المجتمعات المستقرة المرتبطة بالأرض والزراعة واستئناس الحيوان، وبداية تشكل القرى التي جعلت الإنسان مرتاحًا ليتفرغ إلى حرف أخرى غير الزراعة والتي مهدت لظهور المدن لاحقا، فارتقى تدريجيا في سلم التطور وصنع القوارب والملابس وأدوات الزينة وغيرها، ومارس الإنتاج الفكري والفني سواء بالنسبة للفن المنقول أو الثابت المجسد على جدران الكهوف والمغارات<sup>3</sup>، كما تطور النظام الاجتماعي وبدأت تظهر الضوابط التي يحترمها الجميع، حيث تعلم الإنسان الملكية من خلال زراعة الأراضي وبدأ في وضع مخططات لحمايتها تمخضت عنها قوانين وأحكام، وترجع بعض النظريات الأنثروبولوجية الاجتماعية أن حق ملكية الأراضي ربما انتقل وتوارث عن طريق المرأة خلال المرحلة النيوليتية، حيث حظيت المرأة بمكانة هامة كونها كانت تعتبر رمزا للخصوبة والإنتاج، كما يعود إليها الفضل والأسبقية في ابتكار الزراعة<sup>4</sup>.

دفعت فترات الجفاف التي تخللت المرحلة النيوليتية الجماعات البشرية إلى الهجرة بحثا عن مصادر جديدة للمياه<sup>5</sup>، ومع زيادة الجفاف تخلى سكان الصحراء خاصة عن تربية الجواميس المستأنسة والثيران إلى تربية المواشي من الماعز والأغنام، التي تتكيف بشكل أفضل مع البيئة المقفرة

<sup>1</sup> - هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 11-13.

<sup>2</sup> - بشي، ج<sup>1</sup>، المرجع السابق، ص: 135.

<sup>3</sup> - هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 7.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 92-97.

<sup>5</sup> - بن بوزيد، 2016، المرجع السابق، ص: 1027.

المستجدة وتنقلوا مع مواشيهم بحثا عن المياه<sup>1</sup>، حيث تشير المشاهد التصويرية إلى تراجع صور الجواميس والثيران لصالح مشاهد الضأن والماعز والجمال، بالمقابل اشتد التنافس حول المجال الحيوي وبدأت تظهر أشكال الصراعات والحروب على الأرجح أنها بسبب الرغبة في السيطرة على أماكن توفر المياه، تبرزها مشاهد مرحلة العربات ومرحلة الجمل المتزامنتين مع تحول المناخ إلى الجاف خلال نهاية الحقبة النيوليتية<sup>2</sup>.

### 5- مظاهر الهجرة والتحركات البشرية

تشير دلائل البقايا الأثرية على وجود تحركات بشرية داخل القارة الإفريقية منذ بداية مرحلة البلايستوسين، بدليل تشابه الصناعات الما قبل آشولية في الشمال مع نظيرتها الألدوانية بشرق القارة الإفريقية وجنوبها، في حين يعود تاريخ بداية الهجرات البشرية بمنطقة الصحراء الكبرى بصفة عامة إلى حوالي 20000 ق.م، أي ما يقابل تاريخ نهاية الحضارة العاترية تزامنا مع موجة الجفاف والبرودة القاسية التي شهدتها المنطقة<sup>3</sup>، تراجع خلالها الأثر البشري من الطبقات الأركيولوجية ربما بسبب الهجرة الجماعية للمنطقة، بالمقابل شهدت المناطق الشمالية لإفريقيا خلال هذه الفترة انتشار الحضارة الإيبيرومغربية والقفصية غير أن امتدادها لم يكن بحجم امتداد الحضارة العاترية<sup>4</sup>.

اتخذت الأقوام الحاملة للحضارة العاترية كهف هوأفتيح كمركز للعبور بين بلاد المغرب ومصر، حيث عُثِر على عدد من الصناعات الحجرية العاترية المشابهة للقى موقع هوأفتيح في كل من: واحة الداخلة والخارجة وواحة سيوة والفيوم، يضاف إليها مواقع أخرى بمصر العليا قرب الأقصر وفي نقادة والمراشدة القريبة من نجع حمادي<sup>5</sup>، أكدت جملة هذه اللقى عن وجود خط سير حضاري بين مواقع

<sup>1</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit., P : 123.

<sup>2</sup> - Alimen, 1987, op.cit., P : 224.

<sup>3</sup> - Hachid, 2007, op.cit., P: 4

<sup>4</sup> - فيرون، المرجع السابق، ص: 46.

<sup>5</sup> - غانم، 2003، المرجع السابق، ص: 78.

مصر الغربية وبلاد المغرب منذ نهاية العصر الحجري القديم الأعلى<sup>1</sup>، يمكن الاعتقاد من خلال هذه المعطيات أن هذه الأقوام تمكنت من رسم خط أولي للهجرة نحو الشرق انتهجته لاحقا الجماعات البشرية خلال مرحلة العصر الحجري الحديث لنفس الأسباب المناخية.

تشير نتائج الأبحاث والحفريات الأثرية أن التحركات البشرية في القديم كانت أكثر ترددا على الجهة الغربية لتدرارت أكاكوس، في حين تلخص تواجدهم حاليا في جماعة طوارق أدرار الأكاكوس الذين يتمركزون في واحة سردليس أكثر من واحة غات نظرا للأماكن الغنية بالمياه، حيث لعبت منطقة الأكاكوس إلى جانب منطقتي التاسيلي والهقار دورا هاما في حياة سكان الصحراء الوسطى، كونها صالحة للإقامة والمرعى وتتوفر على مراكز للمياه، كما أنها محصنة طبيعيا ولا تزال تحتوي على أنواع عديدة من الكهوف والمخابئ الصخرية الضيقة والواسعة<sup>2</sup>.

تعد مصادر المياه والتربة الخصبة من أهم العوامل المتحكمة في أماكن استقرار الجماعات البشرية<sup>3</sup>، لعل هذا ما يفسر استمرار اتجاه التحركات البشرية خلال فترات الجفاف التي شهدتها الصحراء نحو سواحل البحر المتوسط شمالا والمحيط الأطلسي غربا إضافة إلى سواحل البحر الأحمر وضياف النيل شرقا<sup>4</sup>، ولعل من بين أهم الدلائل على وجود اتصال بشري خلال المرحلة النيوليتية بين منطقة شمال إفريقيا أو بلاد المغرب ومصر، ما عثر عليه بالفيوم من حلي تتمثل في عقود وسلاسل من قشور بيض النعام على الطريقة القفصية التي اُرخت بواسطة الكربون المشع في حدود 4437 سنة ق.م<sup>5</sup>.

أثبتت من جهة أخرى الدراسات في منطقة هوأفتيح أن تيارات الهجرات البشرية عبر الشمال الإفريقي لم تتوقف بحثا عن مصادر المياه، عُرفت بعض هذه الهجرات بالقفصية والإبيرومغربية نحو

<sup>1</sup> - مهران، المرجع السابق، ص ص: 46-47.

<sup>2</sup> - موري، المرجع السابق، ص ص: 32-34.

<sup>3</sup> - هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 9.

<sup>4</sup> - بن بوزيد، 2016، المرجع السابق، ص: 1027.

<sup>5</sup> - هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص ص: 48-49.

النيل في مصر<sup>1</sup>، كما عثر في منطقة الفيوم على فخار مشابه إلى حد كبير لفخار موقع هوأفتيح الليبي المؤرخ في حدود الألف السادسة قبل الميلاد إضافة إلى عدد من الصناعات الحجرية المتشابهة بين الموقعين<sup>2</sup>.

يذهب عدد كبير من الباحثين إلى تفسير التشابه بين اللقى الأثرية التي عثر عليها في كل من مواقع الفيوم والخارجة وسيوة بمصر مع كهف هوأفتيح في ليبيا إلى إمكانية افتراض أن حضارة كل من الفيوم وليبيا إنما تنتهي إلى حضارة واحدة تعود إلى الصحراء<sup>3</sup>، وتشير نتائج الأبحاث بموقع شينهاب بالسودان إلى تشابه كبير في اللقى الأثرية مع ما تم اكتشافه بالفيوم وتتمثل في: الفؤوس المصقولة والأزاميل ومقالع الأحجار إضافة إلى تقنية التشظية المورقة، واعتبر موقع شينهاب أقدم من الفيوم، بالمقابل حظي موقعي التينيري و التيبستي بالصحراء الجنوبية بصناعة حجرية مشابهة، وعليه يشار إلى أن الصحراء الجنوبية هي أول مكان انطلقت منه الحضارة النيوليتية إلى الشمال بما في ذلك الفيوم والخرطوم كونها تعتبر مصدر المحاجر الخام التي صنعت منها أدوات الحضارة الفيومية<sup>4</sup>.

تنتشر جملة النقوش والرسوم الصخرية على نطاق واسع من موريتانيا إلى مصر، ومن جبال الأطلس إلى النيجر والتشاد، حيث يشير التشابه في مضامين المشاهد وطريقة آداءها على وجود تواصل بين منجزها<sup>5</sup>، بالمقابل تدل مشاهد الكبش الذي يحمل القرص على رأسه والذي يصاحبه في بعض المشاهد شخصا يرتدي قميصا يربطه بحزام عريض وسط الجسم مع خصلة شعر جانبية على الرأس، التي عثر عليها في مواقع جنوب وهران والتاسيلي نازجر وبرقة على مدى التشابه مع المشاهد التصويرية للكبش الذي يحمل قرص الشمس على رأسه والذي يرمز إلى المعبود المصري آمون رع، كما ذكرت

<sup>1</sup> فضل علي. (1995)، «مصادر المياه الخمس من خلال النقوش والمخلفات الأثرية»، في: النقاش والرسوم الصخرية بالوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ص: 185.

<sup>2</sup> مهران، المرجع السابق، ص: 45.

<sup>3</sup> يسرى الجوهرى. (1981)، جغرافية المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص: 54.

<sup>4</sup> مهران، المرجع السابق، ص: 47-48.

<sup>5</sup> فيرون، المرجع السابق، ص: 50.

نصوص التوابيت التي تعود إلى فترة الدولة المصرية الوسطى خصلة الشعر الجانبية التي اعتاد عليها الكهنة المصريين كعلامة تميزهم عن غيرهم وفي ذلك إشارة إلى مدى تشابه المعتقد الديني<sup>1</sup>، وفي ذات السياق تعتبر التماثيل الصغيرة ذات الهيئات الحيوانية والبشرية المصنوعة من: الطين، الحجر، العاج المكتشفة في عدد من المواقع بالمغرب الأقصى مثل واد سوس وموقع آشكار، التي تقابلها تماثيل مشابهة عثر عليها في كل من مقابر البداري ونقادة بمصر (ترتبط هذه التماثيل بمبدأ الخصوبة) بمثابة دليل آخر على تشابه بعض المعتقدات الدينية<sup>2</sup>.

عثر بعدد من المواقع الأثرية بمصر على قطع حجرية تحمل نقوشا ملونة على شكل خطوط مستقيمة وفي بعض الأحيان على شكل هيئات بشرية وحيوانية أطلق عليها اسم "الخطوط البيضاء المتقاطعة" التي تشبه ما تصوره بعض المشاهد بمواقع الفن الصخري بالصحراء الوسطى، كما عثر على قطع فخارية تحمل هي الأخرى زخرفة بيضاء وحواف سوداء تشبه إلى حد بعيد الفخار القفصي، يضاف إليها فخار موقع العمرة بمصر الذي يحمل رسومات لغطاء الرأس المزين بريش الطيور، وهو ما تبرزه العديد من المشاهد الصخرية في مواقع متفرقة من التاسيلي والأكاكوس وفزان لأشخاص يزينون رؤسهم بريش الطيور<sup>3</sup>.

تحمل مشاهد أخرى إلى جانب ما ذكر سابقاً صورا لأشخاص برؤوس حيوانية وأذنان استخدمت فيها نفس الألوان المستعملة في تزيين أقراص النذور التقليدية لدى المصريين المؤرخة في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد لعل هذا ما يفسر التوافق في الأحداث التاريخية<sup>4</sup>، ويمكن إضافة العقود من قشور بيض النعام المنسوبة إلى الحضارة القفصية والمكتشفة في مواقع بمصر الغربية كدليل قاطع على

<sup>1</sup> - Camps-Febrer. 1966, op.cit., PP : 401-402

<sup>2</sup>- Ibid., P : 402.

<sup>3</sup>- أم الخير العقون. (1988)، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، الإسكندرية، ص: 139.

<sup>4</sup>- فيرون، المرجع السابق، ص: 50.

علاقة التأثير والتأثر بين المنطقتين التي لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال الاتصال الناتج عن التحركات البشرية<sup>1</sup>.

تجسد من ناحية أخرى إحدى الشواهد التصويرية المصرية المتمثلة في صلاية صيد الأسود صوراً لعدد من الرجال الليبيين الذين يظهرون بذبول خلف ظهورهم مثل ذبول بني آوى أو الذئاب كعلامة على أنهم من رجال الحرب، ويضع كل واحد منهم ريشة أو اثنتين على رأسه، كما يظهر بعضهم بذيل متدلٍ من حزام يشد الخصر وخصلة شعر في مقدمة الرأس تشبه الصل (الكوبري) التي اعتاد المصريين على ارتدائها، كدليل آخر على الفرضية التي تشير إلى الاتصال البشري المبكر بين المنطقتين<sup>2</sup>. يعود تاريخ ظهور العربات لأول مرة إلى سنة 1200 ق.م في دلتا النيل المصرية، ارتبطت مشاهدتها بمشاهد الفراعنة والحروب مع شعوب البحر<sup>3</sup>، بالمقابل تجسد مشاهد الفن الصخري في كل من: مرتفعات التاسيلي نازجر وما جاورها من جبال أكاكوس والهقار وآير وفزان، والجبال الموريتانية إلى غاية المغرب الأقصى، عربات تجرها خيول كدليل على امتلاك الشعوب الليبية لهذه الوسيلة، وتؤرخ هذه الأخيرة في حدود الألف الأولى قبل الميلاد إلى غاية فجر التاريخ<sup>4</sup>.

تسمح جغرافية نقوش العربات والأحصنة بأخذ فكرة عن الأقوام التي عمرت المناطق الصحراوية التي شاع فيها استخدام مثل هذه الوسائل، على غرار قبائل الجرامنت والنوميدي والجيتول إضافة إلى الإثيوبيين والشعوب الأطلنطية، ويرجح أن القبائل الطارقية التي تشغل مناطق الجنوب الشرقي من الصحراء الوسطى هم أحفاد قبائل الجرامنت الليبية ممن اعتادوا على استخدام العربات التي تجرها الأحصنة والجمال<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عقون، 2010، المرجع السابق، ص: 139.

<sup>2</sup> - عبد العزيز صالح، (1962)، حضارة مصر القديمة وأثارها، ج1، القاهرة، ص ص: 191-192.

<sup>3</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit., P : 124.

<sup>4</sup> - H. Lhote. (1982), Les Chars Rupestre Sahariens, des Syrtes au Niger, par le pays des Garamentes et des Atlantes, Edition des Hespérides, Paris, P : 3.

<sup>5</sup> - Ibid., PP: 2-3.

نشأت من خلال ما ذكر لدى الباحثين فكرة تتبع طريق العربات، من خلال الانتشار الواسع للنقوش والرسوم على مناطق الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا، هذا ما دفع بعدة باحثين من بينهم: موني، لوت وغوتيه (E.F. Gauthier, H. Lhote, R. Mauny)، للبحث عن آثار لطرق العربات ومقارنتها مع النقوش المتوفرة، حيث تعد هذه الأخيرة بمثابة طرق قديمة تربط أجزاء الصحراء لمسافات قصيرة أو متوسطة نظرا لتركيبها ووظيفتها<sup>1</sup>. ولا يحدد الفن الصخري نوع المواد التي تنقلها العربات لذلك يمكن الاستناد إلى ما نقل عنهم من قبل المؤرخين القدماء أمثال: هيروdot<sup>2</sup>، بليبي<sup>3</sup> وغيرهم الذين ذكروا أن قبائل الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا من نوميد وليبيين وجرامنت عرفوا تبادل السلع ضمن النشاط الاقتصادي التجاري منذ القديم، وتمثلت سلع أهل الجنوب في كل من الملح، التمور، الزيوت، القمح، الجلود والأصواف، إضافة إلى الحيوانات المستأنسة<sup>4</sup>.

تزرخ الصحراء الوسطى بمناجم الملح المنتشرة على طول الطريق المعروفة بطريق الملح، إضافة إلى طريق البحث عن النحاس بموريتانيا حيث اكتشفت آثار لعربات بالقرب من مواقع توفر المعادن بالمناطق الشمالية والغربية بالمغرب الأقصى<sup>5</sup>.

تتميز مشاهد مرحلة الجمل بزنجرة فاتحة اللون مقارنة بزنجرة مشاهد المراحل السابقة، وقد ارتبط تواجد الجمل في كل من إيليزي وفزان بقبائل الجرامنت التي أشار إليها هيروdot، وهي ذات القبائل التي عمرت التاسيلي والهقار في حدود 1200 أو 1000 ق.م<sup>6</sup>، كما يشير الباحث دوموقو (Demougeot) إلى أن الجمل دخل الصحراء الوسطى من الشرق أي من السودان ومصر بحكم أسبقية ظهوره بهذه المناطق، عن طريق اتصال قبائل الناسامونس والجرامنت الليبية بالقبائل المصرية والسودانية،

<sup>1</sup> - Lhote, 1982, op.cit., P: 47.

<sup>2</sup> - هيروdotيس، الكتاب الرابع، فقرة: 181-183.

<sup>3</sup> - بليبي الأكبر، الكتاب الخامس، فقرة: 5، 6، 8.

<sup>4</sup> - Lhote, 1982, op.cit., PP : 48-54.

<sup>5</sup> - بشي، المرجع السابق، ص: 135.

<sup>6</sup> - M. Hachid. (2006), « Du nouveau sur le monument d'Abelessa (Ahaggar, Algérie) de la date de L'introduction du dromadaire au Sahara centrale, du personnage d'Abelessa et des inscriptions rupestres dites (libyco-berbères) », *Sahara*, N°17, Algérie, PP : 102-103.

خصوصاً وأنهم سجلوا هذا الاتصال قبلاً منذ فترة الأحصنة والعربات، كما أن المصريين عرفوا استئناس الجمل منذ عهد الفراعنة الأوائل خلال مرحلة الدولة القديمة، غير أن استعماله لم يتعدى أغراض النقل<sup>1</sup>، ويضيف الباحث في هذا الصدد أن الجرامنت من جنس البشرة الفاتحة وبحكم اتصالهم المبكر بالشرق أي السودان أدخلوا الجنس الزنجي أو كما يسميهم هيرودوت بالإثيوبيين بمثابة عبيد<sup>2</sup>، هذا ما يفسر ظهور الجنس الأبيض المتوسطي والجنس الزنجي في مشاهد الفن الصخري الصحراوي ضمن مشاهد مرحلة الرعي<sup>3</sup>.

### حوصلة

نخلص انطلاقاً من فكرة دراسة الفئات البشرية خلال مرحلتَي البلايستوسين والهولوسين، إلى الاعتقاد بأن الهجرة البشرية قد انطلقت على الأغلب من داخل القارة الإفريقية، وبالتالي يرجح أن يعود أصل التعمير البشري إلى داخل القارة نفسها، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال أقدم التأريخات التي أعطيت للهياكل العظمية البشرية بالمنطقة والتي تعود إلى فترات في غاية القدم، إضافة إلى المواصفات الفيزيولوجية التي لازالت تتصف بها بعض الفئات من السكان الحاليين، كما لعب المناخ والبيئة دوراً جديراً في تحديد المواصفات الفيزيولوجية لمعمري البيئات المتشابهة، ولعل هذا ما يفسر من جهة ثانية الاختلافات البنيوية بين الأجناس البشرية التي قدمت ثقافات متنوعة بين الأشولية والعاترية والإبيرومغربية والقفصية وغيرها.

شكلت دراسة تأثير التغيرات المناخية على الجانب الاجتماعي والفكري جزءاً هاماً من البحث التاريخي التحليلي، حيث ساد الاعتقاد أن القدرة البشرية على خلق الإنجازات الفكرية قد تشكلت منذ العصور السحيقة (العصور الجليدية)، حيث تدل الصناعات الحجرية والعظمية على نوع من التفكير

<sup>1</sup>- E. Demougeot. (1960), « Le chameau et l'Afrique du Nord Romaine », *Annales Economies Sociétés Civilisation*, N°2, France, PP : 213-214.

<sup>2</sup>- هيرودوت، الكتاب الرابع، الفقرة: 183.

<sup>3</sup> - Demougeot, 1960,op.cit., P: 214.

والإبداع، كونها تعد بمثابة حصيلة لمشروع صمم في العقل ونفذ على أرض الواقع لتلبية أغراض العيش، وعليه يمكن القول ببساطة أن كل ما صنعه الإنسان عبارة عن نتاج فكري، وتعد مشاهد الفن الصخري أفضل دليل على مجهودات الفرد لتطوير نفسه تماشياً مع التغيرات الحاصلة.

شهدت منطقة التاسيلي نازجر تعميراً بشرياً منذ الحقب الغابرة، استطاع الإنسان خلالها أن يترك بصمته في شكل صناعات حجرية أثبت من خلالها مدى قدرته على التحكم والتعامل مع بيئته وتهذيبها لخدمته، غير أنه لم يحاول التعبير عن نفسه إلا مع حلول العصر الحجري الحديث في شكل نقوش ورسومات على لوحات صخرية تروي تفاصيل جد واقعية عن حياته اليومية، وكأنه تحول من إنسان صامت إلى إنسان معبر.

# الفصل الثالث

منهجية دراسة الفن الصخري

## تمهيد

اعتاد الإنسان منذ بداياته الأولى على التواصل مع بيئته عن طريق التجربة، فاشتغل على الحجارة والخشب والعظام وغيرها من المواد الأولية وصنع منها أدوات من شأنها أن تسهل حياته وتلبي احتياجاته، حيث بدأت تجربة الإنسان من البساطة إلى الإتقان تدريجيًا ومع مرور الوقت برع في إنجاز أدوات متنوعة وتعد الصناعة الحجرية أبرزها.

تمكن الإنسان من ابتكار العديد من تقنيات الصناعة على الحجارة على غرار التشذيب والقطع والصقل والنقش والنحت، خلفت هذه المهارات أدوات صنفت كشواهد قاطعة على ماضي الإنسان وثقافته المتنوعة، اعتمد عليها الباحثون في تتبع أماكن استقرار الجماعات البشرية ومعرفة نمط معيشتهم ومراكز الهجرة والاتصال، إضافة إلى أهميتها في تعيين الأماكن التي شهدت امتزاجًا ثقافيًا على غرار معظم المواقع الأثرية بالصحراء الوسطى، حيث يعود تاريخ التعامل مع الحجارة إلى مرحلة البلايستوسين منذ حدود العصر الحجري القديم كما أشرنا إليه خلال الفصل السابق، بينما شهدت مرحلة الهولوسين نمطًا جديدًا غير مسبوق تمثل في الرسم والنقش على الجدران الحجرية.

شهد العصر الحجري الحديث ثورة حقيقية من حيث التطور الفكري والإنتاجي ولعل أهم ما وسم هذه المرحلة المشاهد الصخرية بشقها: النقوش والرسوم أو ما اصطلح عليه مشاهد الفن الصخري، الذي يتركز عليه هذا البحث والذي زين العديد من المواقع بشمال إفريقيا وأهمها موقع التاسيلي نازجر، يعد هذا الموروث في غاية الصعوبة من حيث التأريخ والتحليل كونه وبالرغم من أنه يشكل زادًا حقيقيًا يستدل به على تاريخ الأقوام التي عاشت خلال مرحلة الهولوسين، غير أنه يعد موضوعًا شائكًا ومتشعبًا من حيث الدراسة، وتتناول الحديث عن الفن الصخري في هذا الفصل من حيث المفهوم والتأريخ وأساليب الإنجاز والسمات العامة، إضافة إلى الأهمية التاريخية التي يمنحها هذا الموروث إلى فائدة الأبحاث العلمية.

## 1- مفهوم الفن الصخري

يعد الفن الصخري بمثابة مظهر من مظاهر النشاط البشري المنجز على الحجارة بواسطة جملة من الإجراءات، وفقا لقواعد معينة تعتمد على وسائل تطبيقية<sup>1</sup>، تعرفه هيئة حفظ التراث العالمي لليونسكو بالسويد سنة 1994م: بأنه مجموعة من الأشكال المستوحاة من الواقع المجسدة على ألواح صخرية بواسطة أدوات حادة بالنسبة للنقوش والمزينة بالألوان بالنسبة للرسوم، خلال فترة ما قبل التاريخ وفجره، كما تشير ذات الهيئة على أنه وبسبب صعوبة تفسير مشاهدته إلا أنه ربما يشير إلى جوانب عقائدية، حيث أن تكرار نفس المشهد على الحجارة لا يعبر بالضرورة عن هدف جمالي ولكن ربما يجسد نوعاً من التعاويد والطقوس، كما أن كثرة مشاهد الخصوبة تدل على أهميتها وتقديسها، لذلك يمكن اعتباره كدليل على الجانب الروحي والنفسي لمنجزيه، يضاف إليها مشاهد القوارب والشمس والرقص والصيد والهيئات الأدمية وطبعات الأيدي التي تؤدي كلها نفس الغرض<sup>2</sup>.

تعرفه الهيئة الأوروبية للتنظيم والتوجيه الثقافي على أنه أحد أكبر وأهم المظاهر الرمزية، الفنية، الاجتماعية والفكرية، يتكون من مجموعة من المشاهد المنجزة على سطح طبيعي صلب (سقف صخري، جدران الكهوف والمغارات، المخابئ الصخرية أو على ألواح حجرية منفصلة)<sup>3</sup>؛ وبذلك تختلف الهيئة الأوروبية مع اليونسكو في حصر المشاهد الصخرية في الجانب الروحي وإنما تنظر إليه كسجل أثري وتاريخي لمختلف مظاهر الحياة البشرية والطبيعية، حيث تشير المشاهد الصخرية بوضوح إلى حالة البيئة والمناخ السائد خلال الفترة التي أنجزت فيها.

<sup>1</sup> - Auzou. (2001), *Le grand Dictionnaire Encyclopédique du XXIe siècle*, Philippe Auzou, Paris, P : 94.

<sup>2</sup>- Unesco Suède. (1994), *L'ensemble est inscrit sur la liste du patrimoine mondiale de l'Unesco*, Tanum, Suède, P : 3.

<sup>3</sup>- C.O.C.E. (2010), «Chemins de l'art rupestre préhistorique», Conseil d'Orientation des itinéraires Culturels Européens, France : PP: 2-3.

يعتبر الفن الصخري بشقيه النقوش والرسوم بمثابة شاهد مادي وواحد من أبرز المصادر الوثائقية الأثرية القاطعة في الحدث التاريخي، ويشمل كلاً من النقوش البارزة والغائرة والرسوم والرموز وجملة الكتابات المدونة على الصخور المسماة بالكتابات الصخرية<sup>1</sup>.

تزرخ الصحراء الوسطى بكم هائل من مشاهد الفن الصخري الذي يعد فريداً من نوعه بالنسبة للمنطقة<sup>2</sup>، كونه يشكل مكتبة تاريخية أثرية محفوظة على الحجارة، كما أنه يعد بمثابة دليل مكمل لما توصلت إليه الأبحاث المتعلقة بصناعات ما قبل التاريخ والبقايا الباليونتولوجية (Paléontologiques)، حيث تعكس اللوحات الجدارية مقاطع وتفصيل تاريخية، تنصب معطياتها في قالب يشمل طبيعة الحياة البشرية ضمن البيئة القديمة بما تحويه من مميزات ومواصفات، ومدى انعكاسها على النشاط البشري<sup>3</sup>.

## 2- تاريخ الأبحاث

تعود أولى الاكتشافات بخصوص النقوش الصخرية في الجزائر إلى سنة 1847م، حيث عثرت فرقة عسكرية بقيادة الباحث جاقو (Jacquot) والنقيب كوش (Koch) على مجموعة من النقوش المتنوعة في كل من منطقتي تيوت وموغار التحتاني<sup>4</sup>، وبعدها بحوالي 30 سنة وبالتحديد في 1880م رفعت مجموعة من التقارير والملاحظات من قبل القائد العسكري بوشيه (Bouchier)، عن مجموعة من النقوش بمنطقة الحاج ميمون بالقرب من جنان بورزق، إلا أن الدراسات والتنقيبات لم تباشر بالمنطقة عدا بعض التأمّلات التي كتبت على شكل تقارير مثل أعمال: Tissot, Bommet (1889)، Hammy (1882) (1884) الذين كتبوا بعض التقارير عن جزء من مشاهد منطقة الحاج ميمون، واد

<sup>1</sup> - محمد إبراهيم. (2012)، ميادئ ترميم وحماية الآثار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص: 21.

<sup>2</sup> - Hachid, 1986, op.cit., P : 7.

<sup>3</sup> - Lhote, 1962, op.cit., P : 205.

<sup>4</sup> - G. Aumassip. (2013), Trésors de L'Atlas, ANEP, Alger, P : 7.

العزونية بتيارت، الطويلة ومنطقة المحيسرات، أستخدمت كشواهد لإقامة كرونولوجية تاريخية في ميدان الفن الصخري<sup>1</sup>.

توالت العديد من الأبحاث من طرف المدرسة الاستعمارية في شتى الميادين الأنثروبولوجية، الجيولوجية، الباليونتولوجية وغيرها<sup>2</sup>، حيث كان هدف الفرنسيين منذ البداية تحليل تواجدهم بمنطقة شمال إفريقيا من خلال نسب المقننات الأثرية المكتشفة إلى أصول أوروبية بناء على التشابه بينها وبين نظيرتها التي عثر عليها بمواقع أركيولوجية بأوروبا، من أجل منح الاحتلال سمة الشرعية وبذلك أعطت هذه الدراسات نتائج متناقضة<sup>3</sup>.

ارتفع عدد المحطات المكتشفة بالجزائر ما بين سنة 1889-1890م إلى ما يقارب خمسون محطة تحتوي على النقوش والرسوم على يد مجموعة من الفرق والوحدات العسكرية، على طول سلسلة الأطلس الصحراوي وبعض الواحات، ومناطق أخرى من أماكن استقرار الطوارق، إضافة إلى عدم معتبر من الكتابات الصخرية المنتشرة على مناطق واسعة من الصحراء<sup>4</sup>.

تعود أولى الأبحاث العلمية الجادة في ميدان الفن الصخري إلى منتصف القرن 19م، ويعد فلانم (Flamand) أول الباحثين في هذا الميدان، وهو أول من أشار إلى وجود 20 محطة للنقوش بالأطلس الصحراوي، كما أنه أعدّ جردا واسعا لهذه المحطات بما تحتويه من نقوش جمعها في عدة مقالات، نشرها الباحث غزال (Gsell) سنة 1921م بعد وفاته<sup>5</sup>.

يعود أول اكتشاف للرسوم والنقوش الصخرية بمنطقة التاسيلي نازجر إلى سنة 1892-1893م، على يد بعثة استطلاعية بقيادة فيرو (Ferou)، وتركزت الأبحاث بواد جرات ابتداء من سنة 1932م

<sup>1</sup> - Flamand, 1921, op.cit., P : 20.

<sup>2</sup>- N. Coye. (1993), « Préhistoire et protohistoire en Algérie au XIXe siècle : les significations du Document archéologique », dans : *Cahiers d'études africaines*, V33 N°129, PP : 100-105.

<sup>3</sup>- حسين بلحروش. (2018/2017)، «تطبيق نظام المعلومات الجغرافية على مواقع الفن الصخري للأطلس الصحراوي-منطقتي البيض والجلفة نموذجاً-»، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه أثار ما قبل التاريخ، قسم الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص ص: 49-50.

<sup>4</sup>- Dupuy. (2007), « Sous zone 2 : Algérie-Tunisie », ICOMOS, Paris, P : 29.

<sup>5</sup>- Flamand, 1921, op.cit., PP : 120-121.

من قبل القائد العسكري برونون (Brenans)، الذي رفع مجموعة من التقارير بهذا الخصوص إلى متحف باردو بالعاصمة، ليتولى بذلك موريس ريجاس (Reygasse) أولى الأبحاث بالمنطقة، وبأشر العمل الأثري لأول مرة بوادي جرات كلا من الباحث غوتيه (Gauthier) وريجاس (Reygasse) ابتداء من شتاء 1934م، اللذان قاما برفع النقوش والرسوم المشار إليها من قبل القائد برونون وشملت النقوش الكبيرة، وفي السنة نفسها تلقى هنري لوت (H. Lhote) دعوة من قبل ريجاس للمشاركة في مشروع البحث المتعلق بنقوش وادي جرات، حيث كان في رحلة استطلاعية بالتاسيلي في هذه الفترة، هذا ما جعله يلبي الدعوة وينظم إلى فريق البحث<sup>1</sup>.

تزامنت مع الأبحاث في ميدان الفن الصخري بالجزائر عدة اكتشافات بإقليم فزان المجاور لمنطقة التاسيلي ابتداءً من سنة 1850م على يد الرحالة هنريتش بارت (Heinrich Barth)، تلتها تقارير النقوش المكتشفة بواد الآجال من طرف الإيطالي كواردو زولي (Corrado Zoli) سنة 1914م، وفي سنة 1932م توالى الاكتشافات على يد ليو فروبينيوس (Leo Frobenius)، حيث قدم هذا الأخير تقريراً مفصلاً حول رسوم منقوشة بالأنفاق الكبيرة بمنطقة برجوش، تلتها دراسات فابريتشيو موري (Fabrizio Mori) بكل من فزان وطرابلس الغرب في واد زقزة وواد مسعودة، ثم في سنة 1933م تمت الإشارة إلى مشهد لمركب كبير الحجم بمنطقة العوينات على الحدود الليبية المصرية من طرف الباحث لودوفيكو دي كابورياكو (Ludovico Di Caporiaco)، تزامناً مع أبحاث ريجاس بالتاسيلي<sup>2</sup>.

أسفرت أبحاث قرازيوسي (Grasioussi) مع حدود 1938م عن مواقع جديدة لمشاهد الفن الصخري في المنطقة الممتدة ما بين جنوب فزان والجنوب الشرقي من غات تمثلت في كل من: واد سلفوفت، واد تاكيسيت، عين إزان، واد إركين، تضمنت هذه المواقع إلى جانب الرسوم والنقوش

<sup>1</sup> - Lhote, 1976, op.cit., P : 9.

<sup>2</sup> - موري، المرجع السابق، ص: 14.

الصخرية نقوش التيفيناغ، ومع حلول سنة 1955 م أضيفت هذه المواقع المذكورة إلى مواقع محطات الفن الصخري المصنفة بمرتفعات الأكاكوس<sup>1</sup>.

وسَّع ريجاس من أبحاثه لتشمل مناطق محاذية لجرات في 27 جويلية 1935 م، رفعت عنها تقارير إلى مؤسسة ما قبل التاريخ الفرنسية، تضمنت هذه التقارير معلومات حول اكتشاف نقوش حلزونية مرتبطة بالمرحلة الطبيعية القديمة مصاحبة لمشاهد أفراس النهر والجواميس وغيرها، تحدث عنها رايمون فوفري (R. Vaufrey) في منشور له حول تحديد عمر حلزونات الفن الصخري لشمال إفريقيا سنة 1936 م<sup>2</sup>، وفي سنة 1959 م تمكن فريق البحث من رفع تقرير مفاده إحصاء لـ 4000 نقش يعبر عن مراحل مختلفة متوزعة على طول 30 كلم على جانبي واد جرات، وبعد ريجاس قام لوت بقيادة فريق بحث في نفس السنة لمواصلة التنقيبات الأثرية بهذا الخصوص، استغرقت مدته ثلاثة أشهر دون انقطاع<sup>3</sup>. قام لوت خلال الفترة الممتدة ما بين 1959-1962 م، برحلة استكشافية إلى منطقة جانت استطاع خلالها اكتشاف العشرات من النقوش الجديدة التي تعكس بدورها مشاهد تعود إلى مراحل مختلفة<sup>4</sup>، تواصلت أعماله بعد 1969 م للكشف عن مواقع جديدة محاذية لجانت، حيث رفع في هذه السنة تقريراً كاملاً حول مجمل النقوش المكتشفة بمنطقة التاسيلي نازجر لتشكل مكملاً ثقافياً أثرياً لنظيرتها بالجنوب الوهراني<sup>5</sup>.

لعبت هذه التقارير دوراً هاماً في تحفيز الباحثين من مختلف أنحاء العالم لإجراء المزيد من التنقيبات في المنطقة، توالى على إثرها العديد من الدراسات على غرار أعمال كل من: ألال (Allard)، هيوار (Huard)، بومال (Pomel)، أوبارماير (Obermaier)، بروي (Breuil)، جولود (Joleaud)،

<sup>1</sup> - موري، المرجع السابق، ص: 26.

<sup>2</sup> - R. Vaufrey. (1936), « L'Age des spirales de l'art rupestre Nord-Africain », dans : *Bulletin de la société préhistorique*, Française, T33, France, PP : 624-625.

<sup>3</sup> - Lhote, 1976, op.cit., P : 10.

<sup>4</sup> - H. Lhote. (1967), « Gravures rupestres du Tassili n'Ajjer (Sahara Central) », dans : *Le Saharien*, N°37, France, P : 211.

<sup>5</sup> - Lhote, 1976, op.cit., P : 10.

لوكلاك (Le Quellec)، أوماسيب<sup>1</sup> (Aumassip)، حشيد (Hachid)، حاشي (Hachi) وغيرهم، ولعل أهم الأبحاث الحديثة تجلت في أعمال جويلية 2004م لمحاولة إعطاء تأريخ محدد للفن الصخري الصحراوي بشقيه (النقوش والرسوم)، حيث وقعت الجزائر في هذا التاريخ اتفاقية شراكة مع فرنسا من أجل تكوين فريق بحث مزدوج استعان بأخصائيين فيزيائيين وكيميائيين، ترأست الفريق السيدة مليكة حشيد، بترخيص ودعم من قبل مديرية التراث الثقافي ومحافظة حضيرة التاسيلي واليهقار<sup>2</sup>.

أثبتت كل هذه الأبحاث والدراسات أن الجزائر تزخر بعدد هام من مواقع النقوش والرسوم الصخرية مقسمة على منطقتين جبليتين واسعتين: في الشمال سلسلة جبال الأطلس، وفي الجنوب الكتل الجبلية بالصحراء، أسفرت نتائج إحصائها عن 145 محطة في الشمال، في حين يقدر عددها بالآلاف في الصحراء جنوبا، ولاتزال الدراسات تثمر عن اكتشافات لمواقع جديدة إلى اليوم وهذا ما جعل الجزائر تحتل صدارة بلدان شمال إفريقيا من حيث غناها بهذا الموروث الثقافي<sup>3</sup>.

### 3- التوزيع الجغرافي للمشاهد الصخرية في شمال إفريقيا

تنتشر مواقع الفن الصخري على مساحة واسعة من شمال إفريقيا من موريتانيا إلى مصر ومن جبال الأطلس إلى النيجر<sup>4</sup>، وتعد منطقة التاسيلي نازجر بالجزائر أهمها نظرا للكثافة الهائلة من النقوش والرسوم الممتدة على كامل المنطقة والتي تعد بمثابة نموذج أصلي عن بقية المشاهد في كافة مواقع شمال إفريقيا<sup>5</sup>، قد تدل هذه المشاهد على أهمية منطقة التاسيلي في استقطاب الاستقرار البشري خلال المرحلة النيوليتية.

<sup>1</sup>- Aumassip, 2013, op.cit, P : 9.

<sup>2</sup>- M. Hachid. (2004), « UN projet de datation direct pour l'art rupestre saharien », Musée de l'art rupestre et de l'histoire du Sahara à Alger, Algérie, P : 1.

<sup>3</sup>- Dupuy, 2007, op.cit., P : 29.

<sup>4</sup>- فيرون، المرجع السابق، ص: 50.

<sup>5</sup>- L. Allard-Huard. (1994), « Les secteurs rupestres du sous-continent Saharien et du Nil », dans : *Les Dossiers D'Archéologie*, N°197, France, P : 70.

تنتشر إلى جانب التاسيلي أبرز مواقع الفن الصخري في كل من: مرتفعات الهقار والأطلس الصحراوي أو ما أُصطلح عليه الجنوب الوهراني في كل من جبال القصور عمور وأولاد نايل<sup>1</sup>، وعدد من المواقع في الشرق الجزائري نواحي قسنطينة، يضاف إليها الجنوب الغربي التونسي<sup>2</sup>، إضافة إلى مواقع من المغرب الأقصى في كل من الأطلس الكبير، تيشوكان، وادي درعة<sup>3</sup>، وادي صياد، واد السوس، آشكار وغيرها<sup>4</sup>، ومن الصحراء الموريتانية والساحل الإفريقي في كل من مرتفعات: زمور، تنساس، الإفوراس، الأيبر، الجادو، التيبستي، يضاف إليها إقليم فزان ومرتفعات الأكاكوس، واحة غات وسردليس على الحدود الليبية الجزائرية، إقليم طرابلس إلى غاية برقة<sup>5</sup>، منطقة الواحات المصرية ومواقع قريبة من واد النيل في كل من القرقد، أبكة، العوينات<sup>6</sup>، ومواقع بالقرب من الخرطوم السودانية، ويضاف إلى شمال إفريقيا مشاهد جدارية مشابهة عثر عليها بجزر الكناري<sup>7</sup>.

يلاحظ أن مشاهد الفن الصخري تتركز على مستوى المرتفعات الجبلية والممرات بين الجبال وحول الينابيع ونقاط توفر المياه القديمة، كما توجي كثافة المشاهد حول هذه النقاط أنها كانت على الأغلب أماكن تجمعات بشرية وليست مجرد مراكز اتصال، غير أن كثافة المشاهد تختلف من حيث التوزيع الإقليمي حسب تدرج مراحلها، فنجد مثلا نقوش المرحلة الطبيعية تكثرت في أماكن وتقل في أخرى، وكذلك الحال بالنسبة لمشاهد مرحلة الرعاة والعربات وغيرها<sup>8</sup>.

يشير التشابه بين مضامين المشاهد الصخرية بشقها الرسوم والنقوش وطريقة آدائها على وجود تواصل بين منجزها، حيث تظهر الكباش والثيران مزينة بعقود وأقراص على رؤوسها في معظم المواقع

<sup>1</sup>- Lhote, 1976, op.cit., P : 107.

<sup>2</sup>- G. L. Lefebvre. (1967), Corpus des gravures et des peintures de la région de Constantine, Arts et Métiers graphiques, Paris, P : 94.

<sup>3</sup>- R. Vaufrey. (1955), Préhistoire de l'Afrique, T1, Paris, P : 153.

<sup>4</sup>- Camps-Fabrer, 1966, op.cit., P : 402.

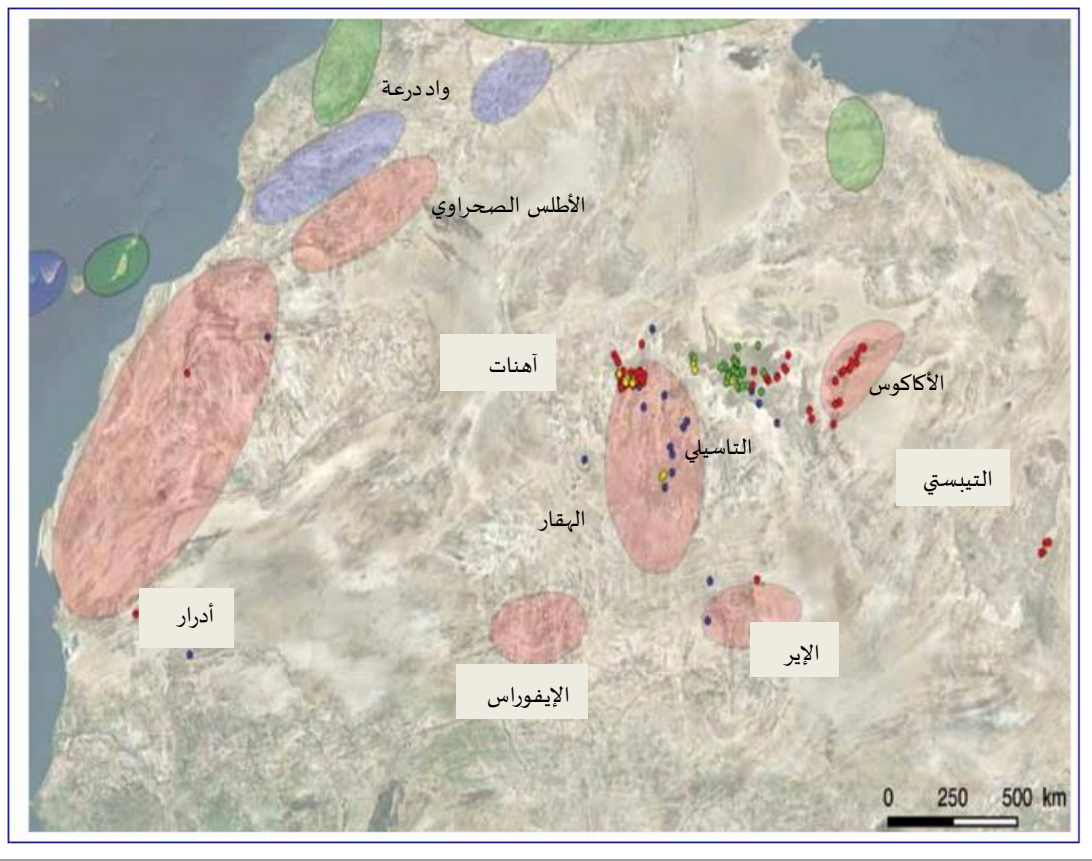
<sup>5</sup>- موري، المرجع السابق، ص: 26.

<sup>6</sup>- H. A. Winkler. (1938), Rock Drawings of southern Upper Egypt, VI, Oxford, University press, London, P: 32-36.

<sup>7</sup>- فيرون، المرجع السابق، ص: 50.

<sup>8</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P :9.

من الصحراء الكبرى، كما يظهر في مصر الرعاة في فترة ما قبل الأسرات برفقة كباش تحمل أقراصًا هي الأخرى تدل على عبادة الإله آمون رع، تحمل من جهة ثانية مشاهد لرسوم صخرية في كل من التاميلي نازجر وفزان صورًا لأشخاص لهم أذنان ورؤوس حيوانية وآخرون يزينون رؤوسهم بريش الطيور، وقد استخدمت نفس الألوان في صور أقراص النذور التقليدية لدى المصريين المؤرخة في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد، ربما تفسر كل هذه التفاصيل التوافق في الأحداث التاريخية بين مناطق شمال إفريقيا<sup>1</sup>.



شكل 26: خريطة جغرافية توضح أبرز مواقع انتشار مشاهد الفن الصخري بشمال إفريقيا

المصدر: Y. Gauthier. (2021), « commentaires et Compléments au livre de J. Kunz », *les Cahiers de l'AARS*, N° 22, P : 262 <http://aars.fr> (بتصرف)

<sup>1</sup>- موري، المرجع السابق، ص: 6.

## 4- كرونولوجية تأريخ الفن الصخري

تعتمد عملية تأريخ مشاهد الفن الصخري على جملة من الطرق والآليات التي اجتهد في وضعها عدد من الباحثين، أسفرت عن اقتراحات تقريبية لتاريخ ظهور هذا الموروث، فضلا عن تصنيف المشاهد حسب ما تحتويه إلى عدة مراحل، تختلف هذه المقترحات حسب كل باحث ونعرض فيما يلي أهم طرق التأريخ المعتمدة وأبرز التواريخ والتصنيفات المقترحة.

## 1.4 طرق وآليات تأريخ المشاهد الصخرية

يعد تأريخ مشاهد الرسوم والنقوش الصخرية في غاية الصعوبة وذلك لعدم نجاعة طرق التأريخ المختلفة مع الحجارة، لذلك اجتهد الباحثون في مجال الفن الصخري في ابتكار العديد من الطرق التي تسمح بوضع المشاهد الصخرية ضمن كرونولوجية تاريخية محددة نذكر من بينها:

## 1.1.4 التأريخ بواسطة النظائر المشعة

تعتمد هذه التقنية على تتبع الإشعاع الذي تصدره النظائر، على غرار الكربون المشع  $C^{14}$  الذي يتم حقنه في المواد العضوية المكتشفة بالقرب من مواقع النقوش الصخرية، وهو قادر على التأريخ إلى غاية 60 مليون سنة غير أن نتائجه تبقى نسبية فيما يخص النقوش بسبب الأخطاء المحتملة المتعلقة بالنسب المتحصل عليها، كما أنه لا يوجد دليل يربط هذه اللقى العضوية بالنقوش، إضافة إلى كونها تقنية غير ناجعة مع الصخور<sup>1</sup>، كما أن هذه الطريقة معرضة للخطأ فيما يخص اعتماد مخبرين لتحليل العينة، أو استعمال عينتين لتحليل واحد ما يتسبب في زيادة احتمالية إعطاء نتائج قياس خاطئة<sup>2</sup>.

يضاف إلى طريقة التأريخ بواسطة الكربون المشع تقنية التأريخ بواسطة اليورانيوم-ثوريوم (Uranium-Thorium)، تعتمد هذه التقنية على قياس نسبة الاضمحلال الإشعاعي لليورانيوم في

<sup>1</sup>- G. Aumassip. (1993), *Chronologies de l'art rupestre Saharien et Nord-Africain*, Jaques Gandini, France, P : 15.

<sup>2</sup>- A. Muzzolini. (1986), *L'art Rupestre Préhistorique des Massifs Centraux Saharien*, Oxford, BAR, Great Brittan, P : 27.

المعادن الموجودة على الصخور أو اللقى الأثرية وينطبق الأمر كذلك على تقنية التأريخ بواسطة البوتاسيوم-أرغون المشع (Potassium-Argon)، وطريقة التأريخ بالروبيديوم-سترونتيوم (Rubidium-Strontium) المعتمدة لقياس عمر الرواسب على الصخور والتكوينات الجيولوجية<sup>1</sup>، غير أن عيب هذه التقنيات يكمن في عدم قدرتها على إعطاء تواريخ دقيقة بفعل عوامل التعرية البيئية التي تعرضت إليها الصخور مع مرور الزمن، بالإضافة إلى تطابق أو تراكم العديد من المشاهد على بعضها ما تسبب بتشويهاها وصعّب من عملية تزمينها<sup>2</sup>.

تسببت إلى جانب ما سبق ذكره عمليات المسح التي قام بها لوت وفريقه في تخريب عدد معتبر من اللوحات الصخرية خاصة فيما يخص الرسوم، حيث قام الفريق بتبلييل الجدران وفركها للكشف عن الصور الخلفية للوحات ما تسبب في طمس المشاهد المتراكمة فوق بعضها، حيث تمت الإشارة إلى هذه التفاصيل خلال الندوة الدولية التي انعقدت سنة 1978م حول حماية رسومات التاسيلي نازجر التي نظمتها الحضيرة الوطنية للتاسيلي نازجر مع هيئة اليونسكو، خلصت نتائج هذه الندوة إلى جملة من الإجراءات القانونية الضرورية للحفاظ على هذا الموروث الثقافي<sup>3</sup> وهو ما سنعرض تفاصيله لاحقا خلال هذا الفصل.

#### 2.1.4 دراسة الزنجرة

تعرفها أوماسيب بأنها إحدى الطرق المعتمدة في تحديد الكرونولوجية التاريخية للنقوش، تتمثل في تغيير لون الحزوز والفجوات بفعل عوامل الطبيعة المتمثلة في: الرطوبة وسيول الأمطار وما تحتويه من عناصر معدنية مثل النترات ( $\text{NO}_3^-$ )، الأمونيوم ( $\text{NH}_4^+$ )، الصوديوم ( $\text{Na}^+$ )<sup>4</sup>، حيث تتفاعل هذه

<sup>1</sup>- M. Gravelle. (1968), « Les âges radiométriques au Rubidium-Strontium et au Potassium-Argon et leur signification géologique. Application des méthodes géochronologiques à l'étude structurale du socle cristallin de l'Ahaggar central et occidental », dans : *Bulletin du service géologique de l'Algérie*, P : 68.

<sup>2</sup>- Balout, 1972, op.cit., P : 14.

<sup>3</sup>- M. Hachid, et autres. (2012), « Quelques résultats du projet de datation directe et indirecte de l'art rupestre saharien International Colloquium, The Signs of Which Times? Chronological and Palaeoenvironmental Issues » in: *The Rock Art of Northern Africa*, Royal Academy for Overseas Sciences Brussels, PP: 75-76.

<sup>4</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 16.

العناصر الكيميائية بوجود الضوء والهواء ونشاط البكتيريا الحية الحيوية، إن استمرار مثل هذه التفاعلات على مستوى نفس المنطقة يتسبب في تغير لون الفجوات الموجودة في الصخور ومع مرور الزمن يصبح لونها داكنا أكثر، هذا ما يعبر عنه علميا بظاهرة التأكسد الكيميائي، غير أن هذه الطريقة مرتبطة بالتقلبات المناخية ولا يمكن تعميمها على جميع مواقع الفن الصخري بسبب اختلاف الظروف المناخية من منطقة إلى أخرى<sup>1</sup>.

يتمثل عيب هذه التقنية في كونها لا تعطي نسب تاريخية محددة، سوى أنها تحدد النقوش الأقدم من الأحداث وبالنسبة لنقوش التاسيلي نازجر يُميز نوعين من الزنجرة: زنجرة حمراء وأخرى سوداء، تظهر الأولى على مستوى النقوش الحديثة خاصة تلك المنجزة بواسطة النقر، تتمثل في مشاهد العربات والأحصنة وما يعاصرها من مشاهد النعام والزراف والماشية، إضافة إلى مشاهد الجمال وما يصاحبها من رموز الكتابة الصخرية الصحراوية، أُرخ هذا النوع في حدود 2000 ق.م أو 3000 ق.م، أما الثانية فتنسب إلى النقوش القديمة ذات الحزوز السمكية والغائرة، تتركز أغلب لوحاتها حول مشاهد الحيوانات الضخمة والبرية وبعض الأشكال الهندسية خاصة الحلزونية، إضافة إلى مشاهد الصيد، أُرخت هذه النقوش في حدود 5000 أو 6000 ق.م<sup>2</sup>.

اكتشفت إضافة إلى ما ذكر سابقاً شرائط سوداء وأخرى بيضاء بكل من موقع صفار وجبارين من طرف فريق بحث بقيادة مليكة حشيد، تشكلت هذه الشرائط بفعل العوامل المناخية حيث تحتوي على مشاهد لبقرات تم تأريخها في حدود 5470 ق.م في جبارين و5020 ق.م في صفار<sup>3</sup>.

### 3.1.4 التأريخ بواسطة مسحوق الفلور

يعد الباحث تندررون (G. Tendron) أول من استخدم هذه التقنية لتحديد عمر المشاهد الصخرية من خلال نثر مسحوق الفلور على مستوى النقوش، ثم يتم تعريضها للأشعة فوق البنفسجية،

<sup>1</sup>- Muzzolini, 1981, op.cit., P : 127.

<sup>2</sup>- Perret, 1936, op.cit., PP : 48-51.

<sup>3</sup>- Hachid. M, et autres, 2012, op.cit., P: 81.

مع مراعاة تثبيت المسحوق على الأسطح جيدا خاصة المصقولة ذات الواجهات الملساء بواسطة مادة لاصقة مثل المواد الدهنية، ثم تقاس درجة انعكاس الضوء بواسطة آلة قياس الأشعة فوق البنفسجية (spectrophotomètre)، التي تعطي النتائج في شكل منحني بياني يمكن الاعتماد عليه لتحديد عمر النقوش<sup>1</sup>.

تعرضت هذه التقنية للانتقاد بسبب صعوبة الوصول إلى بعض النقوش المنتشرة في الأماكن المرتفعة والوعرة، مع استحالة عزل المكان عن الضوء والمؤثرات الطبيعية، إضافة إلى غياب الاستقراء المباشر والدقيق لتاريخ النقوش وكثرة المشاهد المتراكمة فوق بعضها، حيث يشير الباحث بدناريك (Bednarik) في هذا الصدد إلى أن المجموعات البشرية التي اعتادت الترحال وخاصة في المناطق الصحراوية يمكن أن تعمر بعض المواقع على فترات زمنية متعاقبة فينتج عن هذه الظاهرة تطابق المشاهد المنجزة عبر مراحل زمنية مختلفة<sup>2</sup>.

اقترح الباحث قودرون (G. Gaudron) سنة 1942م فكرة الاعتماد على الأشعة فوق البنفسجية بطريقة أخرى، تعتمد على مدى انعكاس الضوء كلما كانت فجوات النقوش أكثر عمقا وقدمًا، غير أن نظريته انتقدت هي الأخرى لأن النقوش لم تؤدي كلها بنفس العمق في الفترة ذاتها فبعضها غائر وبعضها رفيع<sup>3</sup>.

#### 4.1.4 التأريخ اعتمادًا على تركيب النقوش

أشارت الباحثة كامبس فابريير (H. Camps-Fabrer) إلى أن أحسن طريقة يمكن اعتمادها في تأريخ النقوش الصخرية لمختلف مناطق شمال إفريقيا، تتم عن طريق تتبع مظاهر المشاهد الفنية وطريقة إنجازها وتطورها عبر مراحل وتضيف أن ظهور فن الحجارة المنحوتة يتزامن مع الإنسان

<sup>1</sup>- Camps-Fabrer, 1966, op.cit., P : 211.

<sup>2</sup>- R. G. Bednarik. (1995), «Taking the style out of the Panaramitee style», In: *AURA Newsletter*, V12, N°1, PP : 1-5.

<sup>3</sup>- Camps-Fabrer, 1966, op.cit., P : 211.

العاقل-العاقل بشمال إفريقيا، بمعنى أن هذا الموروث لا يتعدى مرحلة الهولوسين، كما أن القفصيين استعملوا أكسيد الرصاص في تزيين النقوش التي تركزت أساسا في المناطق الجافة، حيث تتميز النقوش القفصية بكونها منجزة على واجهات صخرية لا تراعى فيها تقنية الصقل، إضافة إلى أن مواقع انتشار الثقافة القفصية قليلة بالصحراء الوسطى مقارنة بالمناطق الساحلية والشمالية الشرقية، وعليه تقسم المشاهد الصخرية وفقا لما تتضمنه ووفقا لأماكن انتشارها<sup>1</sup>.

تعتمد هذه الطريقة إلى جانب ما ذكر على تصنيف المشاهد حسب الحيوانات الممثلة، ما يسمح بمعرفة الفصائل الحيوانية السائدة في كل مرحلة ومقارنتها مع الظروف البيئية السائدة، غير أن الباحث لوكلاك يرى أن غياب فصيلة حيوانية معينة عن المشاهد لا يعني بالضرورة عدم وجودها بيئيا، فقد تقتصر المشاهد على ما يثير اهتمام منجزها فقط<sup>2</sup>، وبالرغم من ذلك تبقى تقنية التأريخ عن طريق استقراء المشاهد الجدارية أنجح طريقة لتحديد عمر هذا الموروث الثقافي<sup>3</sup>.

#### 2.4 التواريخ المقترحة حسب الباحثين

اختلف الباحثون في تحديد تاريخ ظهور الفن الصخري، حيث يشير الباحث ميزولينى إلى أن أقدم تاريخ يمكن أن يعطى لهذا الموروث لا يتجاوز الألف الرابعة ق.م بالصحراء الكبرى، بمعنى تاريخ دخول الشعوب المتوسطية إلى شمال إفريقيا وبداية الاتصال البشري والتبادل الثقافي<sup>4</sup>، هذا ما يخالفه فيه العديد من الباحثين، حيث حدّد قبله الباحث فلانمن تاريخ مشاهد الفن الصخري بشمال إفريقيا بصفة عامة بحدود الألف السادسة ق.م<sup>5</sup>، كما انظم إلى رأيه الباحث لوت الذي ركز جلّ اهتمامه بالبحث

<sup>1</sup>- Camps-Fabrer, 1966, op.cit., P: 218.

<sup>2</sup>- J. L. Le Quellec, (1999), « Répartition de la Grande Faune Sauvage dans le Nord de l'Afrique Durant l'Holocène », In : *L'Anthropologie*, VI, N°103, P : 192.

<sup>3</sup>- بلحروش، المرجع السابق، ص: 79.

<sup>4</sup>- Muzzolini, 1986, op.cit., P : 316.

<sup>5</sup>- Flamand, 1921, op.cit., P : 87.

والتنقيب عن مواقع النقوش بالتاسيلي نازجر خاصة، ويشير إلى أن بداية النقوش الصخرية بالصحراء الوسطى يمكن أن تعود إلى الألف الخامسة أو السادسة ق.م على أقصى تقدير<sup>1</sup>.

افترض الباحث فوفري (Vaufrey) أن الفن الصخري يمكن أن يكون بمثابة مؤشر على بداية العصر النيوليتي، حيث بنى فرضيته انطلاقاً من الصناعات الحجرية ذات الأشكال الهندسية والحلزونية، التي عُثِر عليها بالقرب من مواقع الفن الصخري بعدد من المناطق والتي تنسب إلى الثقافة القفصية<sup>2</sup>، يؤيده في هذا الرأي عدد من الباحثين على غرار: بالو، كامبس، كامبس فابري، حيث يرى هؤلاء الباحثين أن تاريخ بداية الفن الصخري يعود على الأغلب إلى المرحلة القفصية<sup>3</sup>.

يرى من جهته كامبس أن بداية الفن الصخري بشمال إفريقيا يمكن أن تتزامن مع فترة الحضارة القفصية منذ حدود الألف السابعة قبل الميلاد، مستدلاً في ذلك بكثرة مشاهد النعام وكثرة بقايا الحلي المصنوعة من قشور بيض النعام على الطريقة القفصية، التي عُثِر عليها في عدة مناطق بالقرب من مواقع النقوش الممتدة من السواحل الشمالية والشرقية إلى غاية شمال الصحراء الوسطى الجزائرية المؤرخة في حدود نهاية الألف السابعة قبل الميلاد<sup>4</sup>.

انطلق الباحث لوكلاك بناءً على نتائج التحليل التي أجريت على بقايا لماعز وأغنام من النوع المدجن في كهف كابيتيلي بمرتفعات الأوراس التي أرخت في حدود 6530 ق.م، إلى إثبات أن مشاهد الرعي والاستئناس لا يمكن أن تكون أقل من الألف السابعة قبل الميلاد<sup>5</sup>.

تشير الباحثة مليكة حشيد إلى أن تاريخ النقوش يمكن أن يتجاوز الألف الثامنة ق.م، بناءً على المعطيات التي تثبت أن الجماعات البشرية التي عمّرت منطقة شمال إفريقيا امتلكت تقنيات الصناعة الحجرية والعظمية وحتى الفخارية منذ بداية العصور الحجرية<sup>6</sup>، توافقها في الرأي الباحثة جينات

<sup>1</sup>- H. Lhote. (1972), « Déchiffrement d'une Fresque d'époque Bovidienne du Tassili-N-Ajjer », Santander Symposium, France, P : 503.

<sup>2</sup> - Vaufrey, 1936, op.cit., P : 634.

<sup>3</sup> - Aumassip, 2005, op.cit., P: 268.

<sup>4</sup> - Camps, 1974, op.cit., P : 186-224.

<sup>5</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit., PP : 116-118.

<sup>6</sup> - Hachid, 1986, op.cit., P : 8.

أوماسيب في كون هذا الموروث يعود إلى أسبق من الألف الثامنة ق.م بحكم الاستقرار البشري في المنطقة منذ بداية الهولوسين في حدود 10000 أو 9000 ق.م، وبالنسبة للتاسيلي نازجر سُجل تاريخ التعمير البشري انطلاقاً من بداية الهولوسين منذ حوالي  $9420 \pm 200$  ق.ح ويعد تاريخ 3500 ق.م بداية لدخول واستقرار النوميدي بالمنطقة<sup>1</sup>، حيث تشير نتائج تحليل الحمض النووي للميتوكوندريا لعدة سلالات مأخوذة من عظام حيوانية عثر عليها من طرف فريق بحث إيطالي، أثناء عمليات التنقيب التي أجريت بفزان خلال حقبة الستينيات من أجل تأريخ بقايا لأحد أنواع المواشي المدججة بواسطة الكربون المشع الذي أعطى تاريخ 7430 ق.م<sup>2</sup>.

ظهرت بعض الآراء خلال سنوات التسعينات حول احتمال نسب أصول مشاهد الفن الصخري إلى فترة البلايستوسين، حيث تشير بعض الافتراضات إلى أن الحضارة العاترية يمكن أن تكون الحضارة الأم للفن الصخري، كونها عمرت فترة طويلة من الزمن كما أنها انتشرت على مساحة شاسعة<sup>3</sup>، بالمقابل تشير الدراسات الأنثروبولوجية إلى أن الإنسان المشتاوي صانع الحضارة الإيرومغربية من المحتمل أن يكون سليل الإنسان العاتري<sup>4</sup>، حيث عثر على العديد من البقايا الأثرية للمشتاويين بالصحراء الوسطى في كل من "وان موهيجاج" بالأكاكوس وموقع "حاسي الأبيض" بشمال مالي، لذلك يُعتقد أن الصحراء لم تخلُ تماماً من التعمير البشري خلال فترة الجفاف التي رافقت نهاية البلايستوسين<sup>5</sup>.

يضاف إلى نتائج الدراسات الأنثروبولوجية حقيقة أن العاتريين عرفوا التلوين بالمغرة واستخدموا قشور بيض النعام التي لم تكن حكرًا على القفصيين، وزينوا هذه القشور بحزوز وخطوط بأدوات حادة<sup>6</sup>

<sup>1</sup>- Aumassip, 2005, op.cit., P : 422.

<sup>2</sup> - Le Quellec, 2006, op.cit., P : 114.

<sup>3</sup>- Aumassip, 2001, op.cit., P : 55.

<sup>4</sup>- G. Camps. (1970), « L'Homme de Mechta-El Arbi et sa civilisation, contribution à l'étude de l'origine des Gauches. Simposio Del Cro-Magnon », Estud, Allant, N°15, Madrid, P : 257.

<sup>5</sup>- M. Hacid. (2000), « Les Premiers Berbères Entre Méditerranée –Tassili -Et Nil », Edisud-Ina-Yas, Paris,P: 209.

<sup>6</sup>- H. Lhote. (1943), « Découverte d'un Atelier des perles Néolithiques dans la région de Gao (Soudan Français) », dans : *Bulletin De La Société Préhistorique De France*, Vol 40, N°1-3, PP : 24-35.

وعليه يمكن أن تعود النواة الأولى للفن الصخري إلى الحضارة العاترية، غير أن هذا الرأي لم يحظ بالتأييد نظراً لمعطيات التحولات المناخية وعدم العثور على لقى أثرية صريحة تثبت صحة هذا الفرض. أسفرت عموماً اقتراحات الباحثين عن تواريخ متناقضة ما بين الألف الرابعة إلى العاشرة قبل الميلاد، لكن عدم استنادها إلى معطيات أثرية قاطعة يجعل من نتائجها مجرد فرضيات تنتظر التأكيد أو النفي، كما تفتح المجال إلى اقتراح تواريخ أكثر قدماً<sup>1</sup>.

#### 3.4 تصنيف مشاهد الفن الصخري

تعد عملية تأريخ الفن الصخري بالنسبة للصحراء الكبرى في غاية الصعوبة والتعقيد، حيث اختلف الباحثون حول تصنيفها حسب ما تتضمنه المشاهد الصخرية وتنسب أول محاولة لوضعها ضمن كرونولوجية تاريخية إلى الباحث فلان، الذي قسمها حسب مورفولوجية الحزوز ولون الزنجرة إلى مجموعتين كبيرتين:

- المجموعة الأولى: تتمثل في النقوش القديمة ذات الزنجرة الداكنة التي تنسب إلى الفترة ما قبل التاريخية وتنقسم بدورها إلى مرحلتين: مرحلة الجواميس العتيقة التي تتضمن مشاهد الحيوانات الضخمة ومختلف أوجه الحياة البرية، مرحلة البقرات وما تحويه من مشاهد الأبقار والأغنام وغيرها، إضافة إلى مختلف مظاهر الصناعات البسيطة بما تتضمنه من أدوات مستعملة في الحياة اليومية مثل: الدبابيس والعصي، أو لغرض الصيد والقتال مثل: الدروع والرماح والأقواس والسهام وغيرها.

- المجموعة الثانية: تتمثل في النقوش الليبية البربرية ذات الزنجرة الفاتحة وتنقسم بدورها إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل تاريخية تظهر فيها مشاهد الخيول والعربات وبعض الأشكال الهندسية سماها فلان بالمرحلة ما قبل الليبية (Période Pré libyque)، ومرحلة تاريخية ليبية

<sup>1</sup> - المحفوظ إسمهر (2007)، «أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته»، في: أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، الرباط، ص ص: 168-169.

(Période libyque) تتضمن عدد من رموز الكتابة الليبية البربرية ربما تنسب إلى التيفيناغ من

بينها رموز أخرى غير معروفة قد تصنف ضمن التيفيناغ أو ضمن الكتابة الليبية البربرية<sup>1</sup>.

يضيف فلانن إلى هاتين المجموعتين إثنين متأخرتين لكن نقوشها تعد مهمة مقارنة بسابقتها:

الأولى تتضمن رموز ونقوش عربية تنتهي إلى الحقبة التاريخية والثانية تتضمن رموز وكتابة حديثة تتمثل

في آيات قرآنية قصيرة وبعض الأحاديث النبوية، إضافة إلى بعض المفردات مثل لفظ الجلالة "الله"

واسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعبارات أخرى من انجاز الإنسان المعاصر، أديت فوق النقوش

القديمة وتسببت في تشويه اللوحات الصخرية والإخلال بالسياق الذي ترمز إليه<sup>2</sup>.

قسم الباحث لوت بناءً على الدراسات التي قدمها الباحث بروي (Breuil) سنة 1931م

المشاهد الصخرية حسب ما تتضمنه من مواضيع مختلفة إلى ثلاثة أقسام:

- المرحلة القديمة: تتضمن أشكال الحيوانات البرية الضخمة وتغلب عليها مشاهد الجواميس

العتيقة في شكل قطعان أو فرادى، إضافة إلى بعض المشاهد الأدمية وتعد صور الحيوانات في هذه

المرحلة مكتملة الإطار (Dialypéigraphique)، بمعنى أنها تظهر بهيئاتها الكاملة وتسمى بمرحلة

ذوات الحوافر، حددها الباحث زمنيا بأنها تعود إلى نهاية الحضارة القفصية<sup>3</sup>.

- المرحلة المتوسطة: تحتوي على مشاهد لبعض الحيوانات البرية مثل الجواميس والفيلة

والكركدن إلى جانب مشاهد الكبش أو ذكر الغنم، أغلب مشاهدها غير مكتملة الإطار

(Monopéigraphique)، ينسبها الباحث بروي إلى المرحلة النيوليتية المتأخرة<sup>4</sup>.

- المرحلة المتأخرة: تحتوي على مشاهد الحيوانات المستأنسة، إضافة إلى مشاهد الكبش ذي

الهالة أو القرص<sup>5</sup>، ينسبها الباحث إلى المرحلة الرعوية لفترة ما قبل الأسرات بالحضارة الفرعونية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- Flamand, 1921, op.cit., PP : 126-127.

<sup>2</sup>- Flamand, 1921, op.cit., PP : 127-128.

<sup>3</sup>- H. Lhote. (1970), Les Gravures rupestres du Sud-oranais, Arts et Métiers graphiques, Paris, P : 159.

<sup>4</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 6.

<sup>5</sup>- Ibid., P : 7.

<sup>6</sup>- Lhote, 1970, op.cit., P : 159.

أشار الباحث تيودور مونود (Théodore Monod) سنة 1932 م إلى تقسيم المشاهد الجدارية حسب مواضيعها إلى أربعة مراحل: مرحلة جواميس ما قبل التاريخ تشمل مشاهد الثيران والجواميس البرية، المرحلة القديمة أو بقريات ما قبل التاريخ تشمل الأبقار المستأنسة، المرحلة المتوسطة أو الليبية البربرية، المرحلة المتأخرة أو العربية البربرية<sup>1</sup>.

أعقبت تقسيمات بروي العديد من النقاشات والانتقادات، أعاد مونود على إثرها تقسيم مراحل الفن الصخري إلى أربع فترات تمثلت في: المرحلة الطبيعية تشمل مختلف مظاهر الحياة البرية القديمة، مرحلة البقريات تشمل مشاهد الرعي والاستئناس، مرحلة الخيليات التي تظهر فيها مشاهد الأحصنة، مرحلة الجمل، حيث اتفق كل من الباحث بروي ولوت مع مونود على فصل مرحلتها الأحصنة والجمل كمرحلتين متأخرتين<sup>2</sup>.

قسم كل من الباحثين هيوار (Huard) وآلار (Allard) المشاهد الجدارية إلى مرحلتين: مرحلة الصيادين ومرحلة الرعاة، لكن بقي هذا التصنيف عامًّا لا يقدم تعليلاً واضحاً لعدة تفاصيل<sup>3</sup>، اقترح بعد ذلك هيوار سنة 1969 م تصنيفاً جديداً تضمن ثلاثة مراحل تشمل:

- مرحلة الصيادين العتيقة: تشمل مشاهد الحياة البرية القديمة.  
 - مرحلة الصيادين القديمة: قسمها الباحث إلى قسمين يشمل القسم الأول حيوانات منجزة بمقاسات كبيرة وحزوز غائرة وبأسلوب أقل إتقاناً، بينما يشمل القسم الثاني حيوانات منجزة على واجهات مصقولة.

- المرحلة المتأخرة: أُدرجت هذه المرحلة ضمن فترة الرعاة وتشمل النقوش ذات المقاسات الصغيرة والمتوسطة ذات الحزوز الرفيعة والمنجزة بتقنية النقر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- Le Quellec, 2006, op.cit., P : 112.

<sup>2</sup>- Muzzolini, 1986, op.cit., P : 70.

<sup>3</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 5.

<sup>4</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 258.

قدم لوت سنة 1976 م تصنيفات جديدة كحوصلة لما سبق من الدراسات، ركز خلالها على ما تتضمنه المشاهد الصخرية من مواضيع مختلفة، كما يرى لوت أن الصحراء الوسطى تنفرد بخصوصية تصنيف النقوش عن بقية مناطق شمال إفريقيا، لذلك قسمها إلى أربعة مراحل:

- مرحلة الجاموس العتيق (Période Bubaline)، تحتوي على مشاهد الحيوانات البرية، منجزة بأسلوب متقن ومقاسات كبيرة، كما تحتوي على بعض المشاهد الأدمية والحيوانية المنجزة بمقاسات صغيرة<sup>1</sup>.

- مرحلة الرعاة أو البقرات (Période Bovidienne)، تحتوي على مشاهد لحيوانات مدجنة منجزة بأسلوب شبه طبيعي بسيط يغلب عليه الأسلوب التخطيطي، بمقاسات صغيرة تندر فيها الهيئات الأدمية وتغلب عليها مشاهد الأبقار المستأنسة<sup>2</sup>.

- مرحلة الحصان (Période Caballine)، تحتوي على مشاهد العربات ويغلب عليها الطابع التخطيطي<sup>3</sup>.

- مرحلة الجمل (Période Camaline)، تحمل مشاهد هذه المرحلة نقوش ليبية بربرية، وأخرى ليبية عربية اعتبرها الباحث حديثة<sup>4</sup>.

تنتهي المرحلة الأولى والثانية إلى الجزء الأخير من فترة ما قبل التاريخ، في حين تنتهي الثالثة والرابعة إلى فترة فجر التاريخ، كما قسم لوت مرحلة الحصان إلى مرحلتين صغيرتين: تحتوي الأولى على مشاهد العربات والثانية تظهر فيها رموز الكتابة الليبية البربرية<sup>5</sup>.

طرحت نظرية لوت في مؤتمر منظمة الكونغرس الإفريقي لفترة ما قبل التاريخ بدار حول مشاهد الفن الصخري بمواقع الصحراء الكبرى، التي أشار فيها إلى أن فترة الجاموس تعد من بين أقدم مشاهد الفن الصخري المنقوش أو المرسوم، وفي هذا الطرح يشير موري (F. Mori) إلى مرحلة الحياة البرية

<sup>1</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 257.

<sup>2</sup>- Lhote, 1970, op.cit., PP : 170-176.

<sup>3</sup>- Camps, 1974, op.cit., P: 257.

<sup>4</sup>- Lhote, 1970, op.cit., P : 176.

<sup>5</sup>- Lhote, 1976, op.cit., P : 36.

الكبيرة كأقدم مرحلة<sup>1</sup>، كما يضيف لوت ضرورة مراعاة التطور الحاصل على مستوى المنطقة والوقت حيث تغيرت البنية الفيزيولوجية والمناخية والجيولوجية للصحراء عبر الزمن، فظهرت أنواع حيوانية وانقرضت أنواع أخرى، وبالتالي يمكن استخدام هذه الظاهرة بمثابة وسيلة للتأريخ من خلال مقارنة الأنواع الموجودة مع المناخ السائد<sup>2</sup>.

اقترح الباحث ميزوليبي بعد عدة سنوات من التقسيمات السابقة للباحثين الذين سبق ذكرهم، تصنيفاً جديداً حول مشاهد النقوش والرسوم الصخرية، اعتمد فيه على المعلومات التي قدمتها الدراسات السابقة إضافة إلى معطيات التغيرات المناخية يتمثل هذا التصنيف فيما يلي:

1-الفترة النيوليتية الرطبة: تمتد من الألف الرابعة إلى الألف الثانية ق.م وتنقسم بدورها إلى ثلاثة مراحل:

- المرحلة الطبيعية تسمى كذلك بحقبة الجاموس العتيق، وتتميز نقوشها بمنطقة التاسيلي نازجر بكثرة مشاهد القوس الكبير الشبه دائري.
- مرحلة نقوش البقرات القديمة في الأخدود الوسطي للتاسيلي نازجر وأغلبها عبارة عن رسوم صخرية تقل فيها النقوش.
- مرحلة المشاهد الأدمية<sup>3</sup>.

2-الفترة النيوليتية الجافة: تمتد من الألف الثالثة ق.م إلى غاية نهاية الألف الأولى ق.م، تغلب عليها مشاهد الجاموس البري الذي عمر المنطقة لفترة طويلة من الزمن، كما تحتوي على مشاهد الجواميس ذات الأسلوب الطبيعي المسمى أسلوب التازينة<sup>4</sup> (Style de Tazina).

<sup>1</sup>- موري، المرجع السابق، ص: 25.

<sup>2</sup>- Lhote, 1976, op.cit., P : 37.

<sup>3</sup>- Muzzolini, 1986, op.cit., P : 317.

<sup>4</sup>- التازينة: عبارة عن نقوش رفيعة تتضمن مشاهد مختصرة من حيث المدلول يكثر هذا الأسلوب في النقوش الطبيعية العتيقة ويختفي في نهاية مرحلة البقرات أو كما تسمى غالبا مرحلة الرعاة وبداية مرحلة العريبات، يُنظر: Lhote, 1970, op.cit., P : 170.

<sup>5</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 6.

3-الفترة الرطبة الثانية: تعود إلى حوالي نهاية الألف الأولى أو منتصف الألف الثانية قبل الميلاد

تتضمن أربعة مراحل:

- مدرسة الرسوم الصخرية لمجموعة البانيور بالتاسيلي التي تتضمن أساساً مشاهد الأبقار القديمة.

- مدرسة المشاهد الفنية لمجموعة نقوش إهيران-تاهيلاي (Ihéren-Tahilahi) تتضمن مشاهد الأبقار المتأخرة التي تغطي معظم مواقع الفن الصخري بالتاسيلي نازجر.

- مجموعة مشاهد وان أميل (Uan Amil) نواحي التاسيلي ومشاهد الأكاكوس الليبية.

- مجموعة مشاهد إهيران-تاهيلاي بالتاسيلي التي تتضمن رموز الكتابة الليبية البربرية ضمن مرحلة الحصان<sup>1</sup>.

4-الفترة الجافة الأخيرة: تبدأ منذ نهاية الألف الأولى قبل الميلاد إلى الوقت الحاضر وتتضمن

مشاهد الجمل<sup>2</sup>.

قسمت الباحثة مليكة حشيد النقوش الصحراوية في مقال لها نشرته سنة 1986 م إلى خمسة

مراحل: المرحلة الطبيعية، المرحلة شبه الطبيعية، مرحلة البقريات، مرحلة العربات، وأخيراً المرحلة

الليبية البربرية، تعود الثلاث الأولى إلى فترة ما قبل التاريخ، وتعود الإثنتين الأخيرتين إلى الفترة التاريخية<sup>3</sup>،

أما عن الباحث لوكلارك (J. Le Quellec) فقد صنف النقوش سنة 1987 م اعتماداً على ما قدمه

هيوار (Huard) قبلاً ضمن أربعة مراحل: الصيادين، الرعاة، العربات، الجمل وهي التصنيفات الأكثر

شيوعاً لدى الأوساط العلمية<sup>4</sup>.

تلاً الجدل الكبير واختلاف الفرضيات حول ضبط كرونولوجية واضحة ومحددة لمشاهد الفن

الصخري إجماعاً أغلبية الباحثين على نسبه إلى مرحلة الهولوسين، حيث تم الاتفاق على حدود الألف

<sup>1</sup>- Muzzolini, 1986, op.cit., P : 318.

<sup>2</sup>- Ibid., P : 318.

<sup>3</sup>- Hachid, 1986, op.cit., P : 8.

<sup>4</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 9.



## 5- تقنيات وأساليب إنجاز المشاهد الصخرية

ابتكر منجزى الفن الصخري العديد من التقنيات والأساليب المختلفة لأداء مشاهد متنوعة المواضيع، وتختلف تقنيات إنجاز النقوش عن تقنيات إنجاز الرسوم، حيث تعتمد النقوش على: الصقل، النقر، الحز، في حين تعتمد الرسوم على الألوان، كما وجدت بعض النقوش الرفيعة الملونة أو ما يعبر عنها بوصف مغاير: عبارة عن رسومات محددة الأبعاد بحزوز رفيعة مثل مشاهد منطقة جبارين وتيسوكاي وإهران بالتاسيلي نازجر<sup>1</sup>.

تعد عملية التنقيط أو التوتيد أو النقر من بين التقنيات الأكثر شيوعا في إنجاز النقوش خاصة القديمة منها، حيث تظهر أكثر في مرحلة الجاموس، يسبق النقر عملية الصقل وتتم عن طريق تحديد الأبعاد المراد إنجازها بواسطة إحداث عدة نقاط متتالية على شكل خطوط قد تكون غليظة أو رقيقة، غائرة أو رفيعة ويستخدم لإنجازها أزاميل ومناقيش حجرية<sup>2</sup>.

تتمثل عملية الصقل في تحضير الجدار عن طريق كشطه وتمليس به بحجارة ملساء مثل الصوان أو الكوارتز، تظهر هذه التقنية خاصة في مرحلة البقریات أو الرعاة، كما استخدمت كذلك في النقوش الحديثة غير أنها أقل دقة من نظيرتها القديمة<sup>3</sup>، ترافق هذه التقنية في أغلب الأحيان الواجبات الحاملة للرسوم التي تكثر خاصة في الجنوب الوهراني<sup>4</sup>.

يُتبع في تنفيذ عملية الحز إنجاز خطوط بواسطة أداة حادة إمّا أن تكون غائرة أو سطحية على شكل حرف U أو V، شاع استخدام هذه التقنية خاصة في النقوش القديمة، حيث تظهر في مشاهد مرحلة الجواميس والبقریات في كل من واد جرات وهضبة المساك<sup>5</sup>، كما تظهر نقوش أخرى بحزوز غائرة

1- J. D Lajoux. (1977), *Tassili-N-Ajjer. Art Rupestre Du Sahara Préhistorique*, Edition Du Chêne, 2<sup>e</sup>Ed, Paris, P : 26.

2- G. Lefebvre. (1970), « Typologie De La Technique Des Gravures Rupestres Pré Et Protohistoriques De L'Algérie Non Saharienne : Types 1-25 », Centre De Recherches Anthropologiques Préhistoriques Et Ethnographiques, P : 58.

3- Flamand, 1921, op.cit., P : 236.

4- Aumassip, 2013, op.cit., P : 13.

5- Lhote, 1970, op.cit., P : 170.

ذات حواف نجمية الشكل منجزة بواسطة الطرق المباشر بأداة حادة تنتمي إلى المرحلة المتأخرة من النيوليتي، غير أن هذه التقنيات التي سبق ذكرها لا تظهر بالضرورة في ذات المشهد، بمعنى أن التقنية المعتمدة في تنفيذ النقوش لا تتعلق بالموضوع الذي تعالجه، وإنما تعتمد على ميولات وبراعة منجزها<sup>1</sup>. تعتمد الرسوم الصخرية في إنجازها على الألوان عكس النقوش، حيث تستخرج الألوان من مواد طبيعية كالطين والصلصال والفحم والشحم المحروق والدم وبعض الأنواع من الحشائش والنباتات، يضاف إلى هذه المكونات مواد سائلة مثل: الماء أو الحليب أو البيض أو العسل، من أجل تسهيل مزجها أو تخفيف ألوانها أو لغرض تسهيل التصاقها بالأسطح الصخرية خاصة الملساء، تعطي هذه المكونات ألوانا مختلفة على غرار: الأبيض، البرتقالي، البني، الأحمر، الأخضر، الأصفر، وحتى اللون الأسود المستوحى من الفحم أو الشحم المحروق، إضافة إلى اللون البنفسجي واللون الأزرق الذي يعد وجوده نادرًا في اللوحات الجدارية بالصحراء<sup>2</sup>، حيث عثر على بقايا من هذه المواد في كل من تماجرت بالتاسيلي، تادراوت الأكاكوس، جبل العوينات بمصر<sup>3</sup>.

عثر الباحثون على بقايا لمشاغل استخدمت لتحضير الألوان في موقع "إن إتيان" بالتاسيلي، عبارة عن مهارس ومدقات ومطاحن استعملت لسحق مواد التلوين، عثر عليها بالقرب من مواقع الرسوم تحمل بقايا مواد ملونة<sup>4</sup>، وتجدر الإشارة إلى أن الألوان التي تزين المشاهد تبدو قوية خلال المرحلة الطبيعية القديمة بينما تبدو مخففة خلال مرحلة الرعاة والمراحل التي تليها<sup>5</sup>.

نُفذت الرسوم على الأرجح بواسطة فرشاة من ريش النعام أو الطيور بصفة عامة أو ألياف نباتية أو أصواف حيوانية، حيث كانت تربط في الغالب بعصًا طويلة حتى تصل إلى الأماكن المرتفعة<sup>6</sup>، كما استخدمت الأصابع أو اليد أو الرجل البشرية لتنفيذ بعض الرسوم، واستخدم الفم لرش الألوان على

<sup>1</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P: 13.

<sup>2</sup>- Lhote, 1970, op.cit., P: 170.

<sup>3</sup>- Hachid, 1998, op.cit., P : 181.

<sup>4</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., P : 26.

<sup>5</sup>- Hachid, 1998, op.cit., P : 184.

<sup>6</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., P: 26.

بعض الجداريات<sup>1</sup>، بالنسبة لرسومات التاسيلي يعد اللون الأبيض الأكثر شيوعاً في المشاهد الصخرية، كما عثر عليه بكميات كبيرة في القبور وقد شاع استخدامه قبلاً في الطقوس الجنائزية خلال مرحلة الباليوليتي، يستخرج هذا اللون من مادة الصلصال الأبيض الذي يتركز في منطقة وحيدة بالتاسيلي وهي منطقة "عقبة تافيلالت"، إن بعد المسافة بين أماكن الرسوم الصخرية ومكان استخراج الصلصال الأبيض إضافة إلى شيوع استخدامه في المراسيم الجنائزية إنما يعد مؤشراً على ارتباط الرسوم بالطقوس التعبدية ارتباطاً وثيقاً<sup>2</sup>.

أنجزت بعض المشاهد على ارتفاع شاهق أو على منحدرات يصعب الوصول إليها وإما بمقاسات فارعة خصوصاً تلك التي استخدمت فيها تقنية الصقل، كما أنه لا يوجد ما يشير أو يثبت أن الأرضيات كانت على نفس الارتفاع أو على الأقل كانت قريبة من السطح الحامل للجدارية، ما يطرح الفضول حول الطريقة التي استخدمت لتنفيذ المشاهد في هذه الأماكن، تطرح الباحثة جينات أوماسيب فرضية أن منجزها ربما استخدموا سقالات للوصول إليها، أو ربما أنجزت عن طريق الهبوط والتدلي من قمم الجبال<sup>3</sup>.

يعد اختيار الأماكن التي أنجزت فيها المشاهد الصخرية مؤشراً ثانٍ على ارتباطها بالجانب العقائدي، حيث توجد بعض مشاهد الرعي في أماكن لا تصلح فيها ممارسة الاستئناس، على غرار موقع صفار ذي التضاريس الوعرة والذي يتضمن مشاهد الرعي والتدجين، على أرجح أن هذه الأماكن اتخذت للتضرع والعبادة<sup>4</sup>.

أنجزت أغلب مشاهد الحيوانات بمقاطع جانبية مع بعض الاختلافات الصغيرة بين اللوحات ربما تتعلق بشخصية منجزها من حيث المهارة ودرجة الإتقان، غير أن التشابه الكبير بين معظم المشاهد يطرح هو الآخر التساؤل حول ما إذا كان منجز هذا الموروث يعتمدون على نموذج معين قاموا بإعادة

<sup>1</sup>- Hachid, 1998, op.cit., P : 184.

<sup>2</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., P: 26.

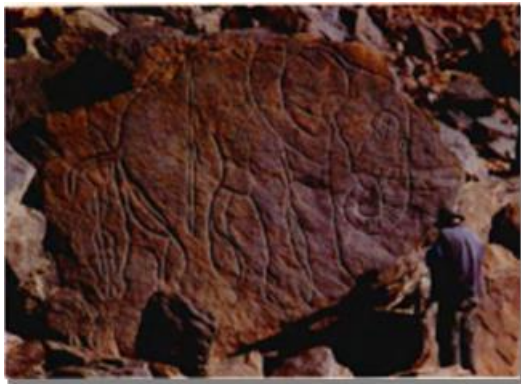
<sup>3</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P : 13.

<sup>4</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., P: 26.

نسخه؟، يتميز الفن الصخري بكونه واقعيًا بامتياز، صحيح أنه لا يمكن استبعاد الخيال عن بعض المشاهد، غير أن النمط الغالب يتمثل في الواقعية والتجسيد الطبيعي لملامح الموضوع المنجز<sup>1</sup>، أما عن نقاط الاختلاف بين المشاهد فعلى الأرجح أنها متعلقة بالأسلوب بمعنى الطريقة التي تنفذ بها اللوحات<sup>2</sup>.

طرح الباحثون العديد من الاقتراحات حول الأساليب المتبعة في تنفيذ المشاهد الصخرية، غير أن أبرزها والمتفق عليها هي اقتراحات لوت المبنية على ما قدمه فلانمن قبلاً خلال بداية الأبحاث والتنقيبات، وتتمثل أساليب انجاز المشاهد الصخرية حسب لوت فيما يلي:

- الأسلوب الطبيعي ذي المقاسات الكبيرة: يتمثل في تجسيد الهيئات بأحجامها الطبيعية أو أبعادها التقريبية، يتميز بدقة الإنجاز وتبدو الحزوز غائرة بالنسبة للنقوش، غير أن بعض النقوش منفذة بحزوز رفيعة، يركز هذا الأسلوب على تجسيد الحيوانات وغالبا ما تظهر الهيئات البشرية في حالة حركة، يصطلح عليه الأسلوب الواقعي وتكثر مشاهدته في واد جرات.



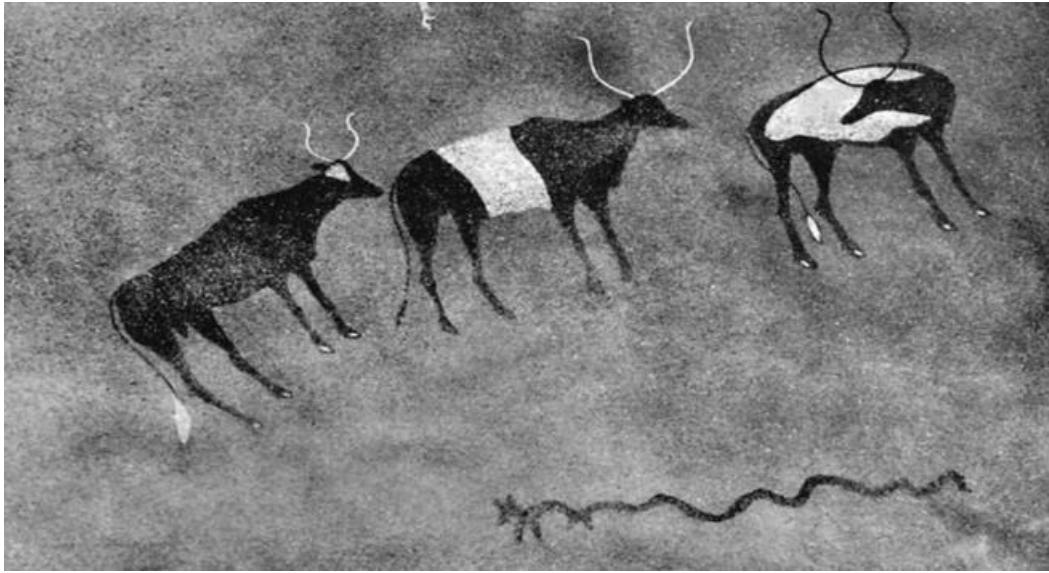
شكل 28: على اليمين مشهد لكركدن بواد جرات (التاسيلي)، على اليسار مشهد لفيل بواد باديس (فزان)، منجزة بمقاسات ضخمة.

المصدر: **G. Aumassip. (2004), Préhistoire Du Sahara Et De Ses Abordes, Au temps des chasseurs le Paléolithique, T1, Maisonneuve Et Larose, Paris, PP : 4-5.**

<sup>1</sup>- **Aumassip**, 2013, op.cit., PP : 13-14.

<sup>2</sup>- **A. Muzzolini. (2006)**, « Classifying a set of rock art: how to choose the criteriat », In: *Rock art research*, N°23, V2, P: 173.

- الأسلوب الطبيعي ذي المقاسات المتوسطة: انفرد لوت بتصنيف هذا الأسلوب، وتظهر في مشاهد الحزوز غائرة وسميكة بزنجرة داكنة، كما تغلب عليه مشاهد الثيران<sup>1</sup>.
- الأسلوب الطبيعي ذي المقاسات الصغيرة: يسمى كذلك أسلوب تازينة، يمتاز بالإتقان وتبدو الحزوز غائرة ورقيقة بالنسبة للنقوش، تظهر الحيوانات بأطراف طويلة خاصة الأرجل والذيل والقرون، تكون الحزوز على شكل حرف U ونادرا ما تظهر على شكل حرف V، يتميز بزنجرة داكنة تنتهي إلى المرحلة القديمة، تتركز مشاهد في واد جرات<sup>2</sup>.



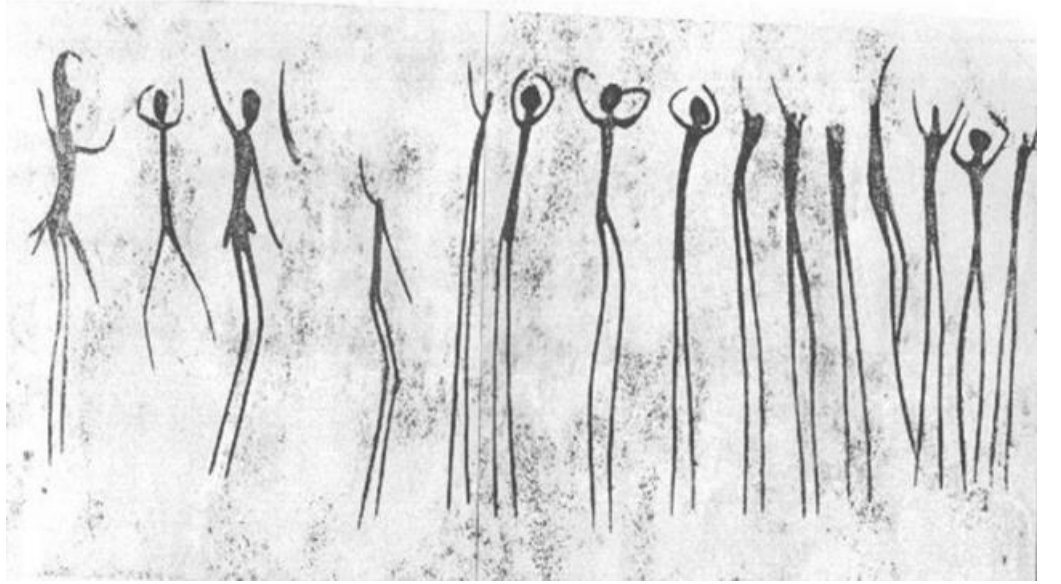
شكل 29: رسوم مميزة باللون الأبيض والأسود منجزة بأسلوب تازينة بواد تاجر جارت  
المصدر: Lhote, 1954, P : 732.

- الأسلوب شبه الطبيعي: مشاهد منجزة بمقاسات متوسطة وأقل إتقاناً، تظهر فيه تقنية النقر وأحيانا تقنية الصقل، ذي زنجرة أفصح من مشاهد المرحلة الطبيعية، تتضمن مواضيعه تفاصيل طبيعية وأخرى غير طبيعية على غرار مشاهد الأشخاص برؤوس حيوانية، كما يغلب عليه طابع السكون على عكس المرحلة السابقة.

<sup>1</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P : 17.

<sup>2</sup>- Muzzolini, 1995, op.cit., P: 299.

- أسلوب الرعاة: يسمى كذلك الأسلوب البقري تدور مشاهدته حول رعاة الأبقار وحياة الرعي التي تكثر بالصحراء، يمتاز بالأشكال الهندسية والخطوط البسيطة التي تنتهي بدائرة تمثل الرأس، كما تظهر فيه الأطراف على شكل خيوط طويلة<sup>1</sup>.



شكل 30: رسوم صخرية منجزة بأسلوب خيطي (أسلوب الرعاة) بموقع جبارين

المصدر: Lhote, 1957, P : 80

- أسلوب مرحلة العرايات: مشاهدته منجزة عن طريق التوتيد الغير منتظم، يتسم بالرداءة وتتداخل مشاهدته مع المرحلة الليبية البربرية، حيث تظهر النقوش الأبجدية إلى جانب مشاهد الإنسان والحيوانات.
- الأسلوب العربي-البربري: تغلب عليه مشاهد الأحصنة والجمال المنجزة بمقاسات صغيرة المرفوقة بكتابات متنوعة ذات زنجار فاتح اللون<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P: 17.

<sup>2</sup>- Ibid., P: 17.



شكل 31: مشاهد من المرحلة المتأخرة بواد إركين منجزة بنقر غير منتظم ذات زنجرة فاتحة المصدر: عباسي، 2005/2004، ص: 158.

## 6- مظاهر التدهور والتلف

تضافرت العديد من الأسباب والعوامل التي أدت إلى تدهور حالة المشاهد الجدارية بمنطقة التاسيلي نازجر وكذلك الحال بالنسبة للعديد من المواقع بالصحراء، كما تعرض عدد منها إلى الزوال والانقراض، يعد التعرض المستمر للتقلبات المناخية أحد أبرز العوامل المؤدية لتلف الواجهات الصخرية، حيث تسببت العوامل المناخية مع مرور الزمن في تدهور حالة عدد كبير من الجداريات وزوال الكثير منها، كما ساهم العبث والإهمال في تسريع وتيرة التلف، ونذكر فيما يلي أبرز المسببات:

### 1.6 التآكل والتعرية

عبارة عن ظاهرة فيزيائية طبيعية تسببها الرياح التي تعد العامل الأساسي في تغير مظهر السطح مع مرور الزمن خاصة عندما تكون قوية ومحملة بالرمال وتنعدم الحواجز التي تخفف من سرعتها<sup>1</sup>، يزداد تأثيرها خاصة في المناطق الصحراوية القاحلة فغياب الغطاء النباتي يجعل الرمال والحصى التي تحملها

<sup>1</sup>- F. Soleihavoup. (1978), « les œuvres rupestres sahariennes sont-elle menacées ? », O.P.N.T, Algérie, PP : 49-50.

الرياح ترتطم مباشرة بالواجهات الصخرية<sup>1</sup>، ما يتسبب في عملية التفتت الحبيبي لسطح الواجهات عن طريق الفصل الميكانيكي للمعادن الموجودة في الصخور، مما يؤدي إلى طمس الحزوز التي تحدد أشكال النقوش وتلف الألوان التي تزينها واختفائها تدريجيا وهي الظاهرة التي تعاني منها أغلب المشاهد الصخرية بالصحراء<sup>2</sup>.



شكل 32: رسم صخري تعرض للتلف بسبب تآكل السطح بالتاسيلي نازجر  
المصدر: O.P.N.T, 2009, P : 37

## 2.6 التقشير وخشونة السطح

يتسبب التفاوت في درجات الحرارة بين الفصول وبين الليل والنهار بتشكيل عدة طبقات رقيقة، تنفصل الطبقة الخارجية مع مرور الوقت مسببة ضررا على مستوى المشاهد<sup>3</sup>، حيث ترتفع درجات الحرارة بالصحراء حتى تفوق 50°م في النهار وفي الليل تنخفض إلى أقل من 10°م أو أزيد خاصة على القمم المرتفعة ما يتسبب في تصدع الصخور وتشققها، مع تكرار نفس العملية تتسع الشقوق فتسمح

<sup>1</sup> M. Nami. (2007), « Art rupestre : des documents archéologiques précieux en voie de disparition », Patrimoine et Musées au Maroc, P : 11.

<sup>2</sup> Aumassip, 2013, op.cit., P : 20.

<sup>3</sup> Soleihavoup, 1978, op.cit., P : 50.

بتسرب المياه والرمل وهو ما يسمى بعملية التجوية، فكلما ارتفعت درجات الحرارة والرطوبة زادت التجوية الكيميائية وكلما انخفضت درجات الحرارة والرطوبة زادت التجوية الميكانيكية<sup>1</sup>.

تتسبب ظاهرة الجليد هي الأخرى بتوسيع ظاهرة التجوية من خلال التفاوت المفاجئ لدرجات الحرارة فينتج عنها تشكل الجليد داخل الفجوات وذوبانه مع ارتفاع درجات الحرارة تاركًا بللًا ينفذ إلى داخل الصخور، مع مرور الوقت تصبح الطبقة الخارجية أقل تماسكًا وأكثر عرضة للتقشر<sup>2</sup>، كما يتعرض السطح من جهة ثانية إلى تغير ملامحه وخشونة تفاصيله بسبب عوامل التلوث والحموضة التي غالبًا ما تنتقل مع مياه الأمطار<sup>3</sup>.



شكل 33: تشوه مشهد لرسوم صخرية بسبب تصدع الواجهة بواد تماجرت.

المصدر: Camps, 1974, op.cit., P : 341

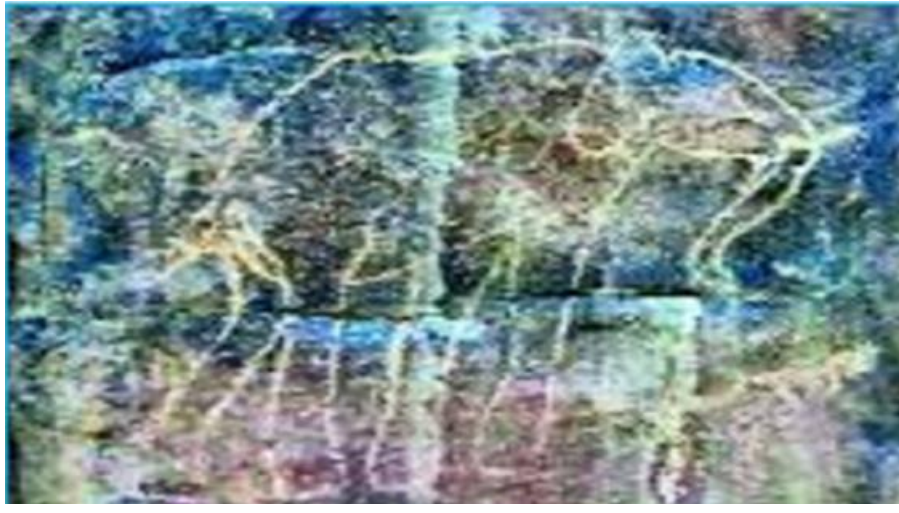
<sup>1</sup>- Nami, 2007, op.cit., P:11.

<sup>2</sup>- A. Pouya. (2008), « Altération par le gel des massifs-rocheux », Paris, P : 47.

<sup>3</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P:20.

## 3.6 الأكسدة

يقصد بالتأكسد التغير في لون السطح بسبب عدة عوامل طبيعية مثل التعرض المستمر لأشعة الشمس الذي يغير لون الواجهات التي تحمل المشاهد نحو الأسود، كما تسبب الفطريات والبكتيريا التي تعيش على الصخور اسوداد الواجهات بسبب الإفرازات الناتجة عن نشاطها، وفي بعض الأحيان تحدث الأكسدة بسبب عوامل التلوث التي تنتقل مع مياه الأمطار<sup>1</sup>.



شكل 34: مشهد لفيل نعرض للتلف بفعل عوامل الأكسدة بالتاسيلي نازجر

المصدر: O.N.T, 2009, op.cit., P : 38

## 4.6 آثار السيول وتبلور الأملاح

تتسبب مياه الأمطار في كثير من الأحيان في تشكل سيول وسواقي تجرف في طريقها حبيبات الرمل التي تتسبب بدورها في تآكل السطح ونحته، كما أن للأملاح المذابة في مياه الأمطار دور بارز في إتلاف الواجهات حيث تصعد إلى السطح عن طريق الخاصية الشعرية وخلال فترات الجفاف تتبخر كمية

<sup>1</sup>- Soleihavoup, 1978, op.cit., P : 50.

المياه الموجودة بفعل ارتفاع درجات الحرارة مخلقة ترسبات للأملاح المعدنية التي تظهر بشكل طبقات بيضاء تتسبب في طمس جزء من معالم المشهد<sup>1</sup>.



شكل 35: صورة توضح تلف نقوش بفعل الترسيبات معدنية وسيول الأمطار

المصدر: J. L. Le Quellec. (2011), « Arts rupestres écritures et protoécritures en Afrique : L'exemple du libyque », <http://afrique.revue.org/716>

## 5.6 نمو النباتات والطحالب

يؤدي نمو النباتات على سطح الصخور الحاملة لمشاهد الفن الصخري إلى تضررها بسبب الضغط الميكانيكي الناتج عن تغلغل جذورها وما يرافقه من تصدع السطح، بالإضافة إلى الإفرازات الحمضية للجذور التي تشكل وسطا ملائما لنشاط الفطريات الذي ينجم عنه تكون طبقة من الخزاز، ومن جهة ثانية تحفز هذه المكونات الحشرات والحيوانات على العيش بالقرب من هذه الملاجئ

<sup>1</sup>-UNESCO. (1982), *Etudes et Document sur la patrimoine culturel (conservation de l'art rupestre)*, Ed 2, Courier UNESCO, P : 89.

الصخرية التي تؤثر فضلاتها على المشاهد، كما تتعرض الأسطح للثقوب الناتجة عن أعشاش الطيور

وزنابير الحشرات<sup>1</sup>.



شكل 36 : مشهد لواجهة تعرضت للتصدع والخزاز بفعل نمو النباتات، نواحي جانت.

المصدر: O.N.T, 2009, op.cit., P : 38

## 6.6 الإلتلاف البشري

تعد اليد البشرية أخطر العوامل تهديداً للمشاهد الفن الصخري، من خلال عمليات التخريب التي تعرضت لها العديد من المحطات بسبب تدخل الإنسان نفسه<sup>2</sup>، حيث تشوهت العديد من اللوحات الصخرية جراء الكتابة والرسم عليها خلال الفترات الحديثة والمعاصرة<sup>3</sup>، كما لا نغفل الكتابة والخربشة والحزوز التي تسبب بها الزوار على عدد من المشاهد التي شوهدت شكلها الأصلي والتقاط الصور الفوتوغرافية التي تتلف اشعاعاتها لون الزنجرة وتسرع من وتيرة التأكسد، إضافة إلى رمي النفايات والبقايا بالقرب من هذه المواقع وينطبق الأمر ذاته على رعاة المواشي من البدو، كما تضيف الباحثة جينات أوماسيب زوال العديد من النقوش والرسوم بسبب عمليات القطع التي قام بها أصحاب البناء،

<sup>1</sup>-UNESCO, 1982, op.cit., P : 89.

<sup>2</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P: 20.

<sup>3</sup>- Flamand, 1921, op.cit., P : 128.

حيث استخدمت المرتفعات الصخرية التي تحتوي على مشاهد الرسوم والنقوش كمقالع للحجارة خاصة في الأطلس الصحراوي الذي اقتربت منه الحركة العمرانية<sup>1</sup>.

تعرضت اللوحات الجدارية مع الأسف للضرر جراء أعمال الرفع الأثري التي قام بها عدد من الباحثين من خلال تبليلها وتمييزها بخطوط الطباشير أو الفحم أو الطلاء، بحجة جعلها تبدو واضحة من أجل تصويرها خاصة تلك التي قام بها هنري لوت وفريقه بمواقع التاسيلي نازجر وواد جرات، حيث تعرضت الرسوم بشكل خاص للتدهور بسبب التلوث الذي لحق بها جراء فركها بالإسفننج والفُرْش التي كان يتم تبليلها بمياه القلتات الملوثة، إضافة إلى دخان السجائر الذي كان يستعمله فريق البحث<sup>2</sup>، وهو ما تسبب بإبعادها عن المعنى الحقيقي الذي ترمي إليه<sup>3</sup>، وتعد القولية باستخدام المطاط الاصطناعي أسوء عملية مسببة لتدهور حالة اللوحات الجدارية.



شكل 37: عملية تبليل وفرك الرسوم من طرف فريق لوت بموقع صفار

المصدر: Hachid, 2012, op.cit., P : 78

<sup>1</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P : 20.

<sup>2</sup>- Hachid, 2012, op.cit., P : 76-79.

<sup>3</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P: 20.



شكل 38: تلوث المشاهد الناتج عن دخان السجائر الذي استعمله فريق لوت للبحث بواد جرات

المصدر: Hachid, 2012, op.cit., P : 79



شكل 39: مشهد لفيل بواد جرات تعرض للتلف بسبب رفعه عن طريق المطاط الاصطناعي.

المصدر: L. Allard-Huard. (1993), NIL-SAHARA DIALOGUES RUPESTRES 1-LES CHASSEURES, T2, Moulin de Lambres, France, P : 295.

## 7- طرق الصيانة والحماية

تعد مقاومة العوامل الطبيعية المسببة لتلف الواجهات الصخرية أمراً مستحيلاً، لكن على الأقل يمكن تأخيرها عن طريق خطوات بسيطة مثل منع المياه من التسرب والجريان على الجدران الحاملة للنقوش والرسوم، عن طريق وضع طنابير تمنع وصول الأمطار وأشعة الشمس إليها، كما تمنع تراكم فضلات الطيور وتطور الأشنات وتعشيش الحشرات التي تتسبب في التحلل الكيميائي، مع ضرورة السعي للحد من التخريب البشري لهذا الموروث<sup>1</sup>.

اجتهد الباحثون والمختصون في ترميم وصيانة الآثار في وضع جملة من الاقتراحات التي من شأنها حماية الفن الصخري والحد من عملية التدهور والإتلاف، التي أصابت عددًا كبيرًا من المحطات الصخرية<sup>2</sup>، حيث تتطلب عملية الحفاظ على هذا الموروث الالتزام بجملة من الخطوات العلمية والعملية نذكر من بينها:

- المعاينة والتشخيص: عن طريق فحص وتشخيص المواد المكونة للواجهات الصخرية، لغرض الوقوف على حالة التآكل والتلف التي لحقت بالصخور ومحاولة إيجاد حلول لحماية المشاهد المنجزة عليها.
- التسجيل والتوثيق: عن طريق رفع صور فوتوغرافية للمشاهد الفنية بغية تأسيس أرشيف خاص بها يتضمن كافة المعلومات المتعلقة بالموقع، المواضيع وأساليب إنجازها، مع تحديد درجة التلف التي لحقت بها<sup>3</sup>.
- الصيانة الوقائية: يتطلب الأمر ضرورة القيام بجدد سريع لجل ما يمكن الوصول إليه من النقوش والرسوم الصخرية، وتتضمن هذه العملية الجرد المجالي العام الذي يهتم بإحصاء

<sup>1</sup>-Aumassip, 2013, op.cit., P: 20.

<sup>2</sup>- بلحشر، المرجع السابق، ص: 64.

<sup>3</sup>- أحمد أوموس. (2006)، «الفن الصخري بالمغرب: تراث ثقافي عريق، بين تحديات المحافظة ورهانات التنمية»، المركز الوطني للتراث الصخري، الرباط، ص: 13.

المحطات، والجرد التفصيلي الذي يهتم بإحصاء مواضع النقوش في كل محطة على حدى وتسجيلها من أجل حمايتها والمحافظة عليها من التخريب والنهب، مع ضرورة الالتزام بالموضوعية والصدق في توثيقها، إضافة إلى مراقبتها بشكل دوري من أجل التدخل السريع إذا لزم الأمر، وضرورة نشر التوعية بعدم إتلاف المشاهد والمحافظة عليها عن طريق وضع لافتات مثلا لتنويه الزوار وسكان المنطقة<sup>1</sup>.

- الحماية القانونية: عن طريق اصدار أحكام وقوانين من شأنها ضمان سلامة هذا الموروث الثقافي، وإنشاء محميات طبيعية تسمح بصونه والحفاظ عليه واستغلاله لتعزيز السياحة والتعريف بأصالة المنطقة<sup>2</sup>.

عقدت العديد من الاجتماعات منذ سنة 1960م تحت رعاية اليونسكو حول الحفاظ على الفن

الصخري الجزائري أسفرت على نشر خمسة تقارير:

- تقرير اليونسكو 1968م، رقم BMS/RD/CLT.1108
- تقرير اليونسكو 1975م، رقم RMO/RD/CLT.3191
- الاتفاقية الدولية حول حماية الرسوم الصخرية بالتاسيلي، الحضيرة الوطنية للتاسيلي (OPNT) سنة 1978م
- تقرير اليونسكو 1985م، CLT-85/38
- تقرير اليونسكو 1986م، دراسات ووثائق حول التراث الثقافي رقم 13

بدأ تنفيذ التوصيات التي جاءت في التقارير على أرض الواقع منذ سنة 1982م، حيث تم تصنيف الجزء الجنوبي من هضبة تاسيلي نازجر على قائمة التراث العالمي، شمل التصنيف لوحات استثنائية

<sup>1</sup> - UNESCO, 1982, op.cit., PP: 89-95.

<sup>2</sup> - أوموس، 2006، المرجع السابق، ص: 14.

تحمل مشاهد لمناظر طبيعية جميلة، حيوانات ونباتات انقرضت من الصحراء، كما تم وضع الموقع تحت إدارة مكتب المتنزه الوطني تاسيلي نازجر (OPNT) ومقره في الجزائر العاصمة<sup>1</sup>.

صنفت لاحقا بقية محطات التاسيلي نازجر ضمن قائمة التراث العالمي، كما تتميز هذه المنطقة بوعورة مسالكها حيث لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق المشي والتسلق بعد اجتياز ممرات وعرة تسمى "العقبة"، التي تبعد عن الحضيرة الوطنية بمسافة يوم أو نصف يوم وهذا ما يجعلها محمية طبيعيا من كثرة السياح، كل زيارة للموقع يجب أن تكون رفقة دليل سياحي معين من طرف ديوان الحضيرة الوطنية للتاسيلي، الذي يحترم شروط حماية الآثار المقررة من طرف الديوان منذ سنة 1970م<sup>2</sup>.

تخضع الزيارات للتاسيلي إلى رخصة تحدد المواقع المسموح ارتيادها، حيث يوقع كل سائح محلي أو أجنبي وثيقة لاحترام شروط الزيارة، كما أنشئت صفوف من الحجارة يتوسطها الرمل أمام الواجهات الحاملة للنقوش، يمنع الوقوف عليها كما يمنع منعاً باتاً التصوير بالأشعة من أجل الحفاظ على هذه المواقع من التلف، أجدت هذه الشروط القليلة وغير المكلفة نفعا كبيرا، لكن بالمقابل تتراكم القمامة ومخلفات الزائرين بكثرة في مناطق التخميم ولحسن الحظ أن هذه المناطق بعيدة عن المواقع الأثرية، كما وضع مكتب حضيرة التاسيلي نازجر جميع محطات الفن الصخري تحت إشراف دليل رسمي خارج المنطقة من مواقع التراث العالمي<sup>3</sup>.

عمل صندوق التراث العالمي على دعم المتاحف والاتحادات الإقليمية من أجل حماية التراث الحضاري، حيث تقرّر توسيع متحف جانيت بتوفير مرافق جديدة بناءً على تقرير عام 1986م الذي نصّ على تحديد واستكشاف جميع الثروات الطبيعية والثقافية لحديقة التاسيلي الوطنية، كما اقترح

<sup>1</sup>- Dupuy, 2007, op.cit., PP:36-37.

<sup>2</sup>- Ibid., P : 37.

<sup>3</sup>- S. A. Kerzabi. (1986), « Conservation et gestion du parc national du Tassili », dans : L'art rupestre Saharien : conservation, méthodologie et gestion, (Études et documents sur le patrimoine culturel), N° 13, UNESCO, PP : 1-5.

الباحث (Fouilleux. B) سنة 2006م الاعتماد على صور ودراسات بعثات لوت الاستكشافية خلال سنوات البحث (1950-1960م)، التي تم جمعها وتخزينها في مؤلف من جزئين: يوجد جزء منه بالحضيرة الوطنية وجزء آخر موجود بمتحف باريس<sup>1</sup>، كما تمّ نسخ جميع الصور والوثائق التي أنجزها الباحث جان دومنيك لاجو (Jean Dominique Lajoux) خلال سنة 1960م، على قرص مضغوط قُدم لمكتب حضيرة التاسيلي OPNT ونسخة لمتحف جانيت<sup>2</sup>.

صُنّف وادي جرات في ديسمبر 1979م من طرف مديرية حماية الآثار والمواقع التاريخية، كمتحف طبيعي لأجمل النقوش الصخرية بالجزائر، يحتوي على 75 محطة تتضمن حوالي 4000 مشهد موزعة على طول 30 كلم، ناهيك عن المخابئ المزينة بالرسوم، كما طرحت اقتراحات لإنشاء متاحف مماثلة في كل من إيليزي، تمنراست، عين الصفراء، الجلفة، كونها جميعا عبارة عن محافظات غنية بالفن الصخري<sup>3</sup>.

## 8- أهمية الفن الصخري في الكتابة التاريخية

تحظى مشاهد الفن الصخري بأهمية كبيرة في التأريخ للأقوام البشرية التي عمرت مرحلة الهولوسين، لا تقل عن أهمية بقية اللقى الأثرية من صناعات حجرية وعظمية وفخارية، حيث يعد هذا الموروث بمثابة صحيفة يستعان بها من أجل كتابة تاريخ الشعوب القديمة في شمال إفريقيا<sup>4</sup>.

يعتبر الفن الصخري أفضل شاهد على تطور الإنسان العاقل-العاقل، كما أنه يعتبر بمثابة شهادة حية للجماعات البشرية التي عمرت مرحلة العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ، كونه علّل العديد من الجوانب البيئية والحضارية وعلى رأسها الجانب الاجتماعي والثقافي، كما تسمح دراسة الفن

<sup>1</sup>- B. Fouilleux. (2006), « Suite aux (Faux du Tassili) et intérêt des relevés des missions Lhote », dans : *Sahara*, N°17, PP : 173-176.

<sup>2</sup>- J. D. Lajoux. (1966), « Les Merveilles du Tassili n'Ajjer », Édition du Chêne, Paris, P : 197.

<sup>3</sup>- Dupuy, 2007, op.cit., P : 38.

<sup>4</sup>- N. Orloff. (1997), *l'art rupestre préhistorique de l'Afrique du Nord, l'Afrique Méditerranéen*, Bruxelles, PP : 15-17.

الصخري بحل العديد من الإشكاليات المطروحة حول تاريخ المنطقة، وفتح المجال لتنوع الأبحاث وخروجها من دائرة الأبحاث الجنائزية<sup>1</sup>.

تعد المشاهد الصخرية بمثابة مكتبة حقيقية لما تحمله من معلومات حول تقنيات وأسلوب الحياة، وتطورها لدى الشعوب البشرية القديمة عبر الحقب التاريخية، غير أن استقرار هذا الموروث ليس متاحًا دائمًا بسبب تلف معظم اللوحات الفنية في عدة مواقع بفعل عوامل الطبيعة واليد البشرية<sup>2</sup>.

تعتبر النقوش والرسوم الصخرية شاهدا هاما وأساسيا بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ، وتزخر الصحراء الوسطى بكم هائل من هذا الموروث الثقافي الذي يعد فريدا من نوعه بالنسبة للمنطقة، حيث تترجم المشاهد الأوجه الثقافية والفكرية للإنسان العاقل منجزها، وبالنسبة لعلماء ما قبل التاريخ يعتبر هذا الموروث بمثابة نافذة مفتوحة للاطلاع على المظاهر الحضارية للجماعات البشرية القديمة وبيئتها المحيطة<sup>3</sup>.

يشير الباحث غوتيه (Gauthier. E. F) إلى أن المشاهد الصخرية تشكل مكتبة تاريخية أثرية محفوظة على الحجارة، كما أنها تعد بمثابة وثائق مادية تؤكد نتائج الأبحاث المتعلقة بصناعات ما قبل التاريخ والبقايا الباليونتولوجية<sup>4</sup>، حيث يجسد هذا الموروث تفاصيل الحياة الواقعية لمنجزها على الرغم من عدم خلو بعض المشاهد من الخيال<sup>5</sup>، فضلا عن سرد تفاصيل ومواصفات البيئة القديمة ومدى انعكاسها على النشاط البشري<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- Le Quellec, 1999, op.cit., P : 192.

<sup>2</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 261.

<sup>3</sup>- Hachid, 1986, op.cit., P : 7.

<sup>4</sup>- E. F. Gauthier. (1952), Le passé de l'Afrique du Nord, Payot, P : 42.

<sup>5</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P : 14.

<sup>6</sup>- Lhote, 1962, op.cit., P : 205.

يعد الفن الصخري بمثابة أحد المحركات الأساسية لعملية البناء الحضاري لدى الإنسان القديم، كونه يجسد علاقة الكائن البشري بالبيئة المحيطة به وما تتضمنه من حيوان ونبات وتضاريس<sup>1</sup>، حيث يدل التدرج في تجسيد الحيوانات من البرية الضخمة إلى قطعان الأبقار والماشية المدجنة، على الانتقال من حياة الصيد والترحال إلى حياة الرعي والاستقرار، كما تشير مشاهد تقسيم الأرض إضافة إلى ما عثر عليه من فؤوس ومحاريث على أن الإنسان عرف الاستقرار على الزراعة بالمنطقة، تدل كثرة مشاهد البقرات المستأنسة على المكانة المميزة لهذا النوع ودورها الاقتصادي في إنتاج الحليب واللحوم، كما تظهر اللوحات الصخرية دورا آخر للثور حيث يظهر أحيانا ممتطى وأحيانا تقترن مشاهد بهمشاهد الحرث<sup>2</sup>.

تعد المشاهد الجدارية من بين أفضل الشواهد على التحولات المناخية من الرطوبة إلى الجافة، بناءً على تراجع مشاهد قطعان الأبقار والحيوانات الضخمة التي تحتاج إلى المياه والكلأ الوفير، مقابل تزايد مشاهد الأغنام والماعز وأخيرا الجمل، حيث تتأقلم هذه الأنواع مع البيئة الجافة، وهو ما يفسر التباين في ترسبات الطبقات الجيولوجية بالصحراء<sup>3</sup>.

يسمح تتبع مواقع الفن الصخري برسم خارطة جغرافية لطرق وأماكن الهجرات والتحركات البشرية، ومواقع الاتصال القديمة بين مختلف الفئات، لأغراض متعددة يمكن أن تتمثل في التبادل التجاري أو بغرض الحروب<sup>4</sup>، يمكن الاستدلال على الصراع من خلال المشاهد التي تبرز أنواعا من الأسلحة (خناجر، رماح، فؤوس، وغيرها)، إضافة إلى مشاهد العربات التي تجرها الخيول، التي تفضي في مجملها إلى حياة الصراع والحروب التي كانت تخوضها الجماعات البشرية من أجل الاستمرار والبقاء أو من أجل السيطرة على المواقع الاستراتيجية ونقاط توفر المياه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- إسمهر، 2007، المرجع السابق، ص: 171.

<sup>2</sup>- Lhote, 1962, op.cit., P : 208.

<sup>3</sup>- Ibid., P: 206.

<sup>4</sup>- Ibid., PP : 204-209.

<sup>5</sup>- إسمهر، 2007، المرجع السابق، ص: 172.

حفزت الحاجة الفكر البشري لابتكار وسائل تساعد على اختصار المسافات، هذا ما تؤكدته مشاهد العربات المختلفة كدليل قاطع على امتلاك هذه الأقسام لهذه الوسيلة قبل قدوم الفينيقيين والإغريق بمدة طويلة، ما ينفي الدراسات الأجنبية القائلة بفضل الأجانب في إدخال هذه الوسيلة إلى شمال إفريقيا، كما تدل نقوش الأسلحة المعدنية (خناجر، رماح، سهام، دروع) والبقايا المعدنية التي عثر عليها بالقرب من مواقع النقوش على عدم اقتصار الصناعات البشرية على الحجارة، بل تخطتها إلى امتلاك تقنيات التعدين، وتعد هذه النقوش بمثابة حجة واضحة على أن استعمال المعدن بالصحراء الوسطى وكافة مناطق شمال إفريقيا لم ترتبط أصوله بالاحتكاك بالفينيقيين أو الرومان وغيرهم<sup>1</sup>.

نخلص من خلال ما سبق إلى أن أهمية المشاهد الصخرية تتركز فيما تحويه من معلومات تاريخية تعود إلى آلاف السنين، تساهم بشكل قاطع في تعزيز الكتابة التاريخية بخصوص فترة ما قبل التاريخ وفجره في ظل غياب الشواهد المكتوبة حول تاريخ منطقة التاسيلي نازجر وشمال إفريقيا على وجه العموم.

## 9- مناقشة

أُصطلح على مشاهد الرسوم والنقوش الصخرية تسمية الفن الصخري لأول مرة من قبل الإسباني ماركيز دي سوتولا (Marquis de Sautuola) سنة 1863م بعد اكتشاف رسومات كهف التراميرا بإسبانيا، توالى بعدها العديد من الاكتشافات لهذا الموروث بفرنسا وشمال إفريقيا ومناطق أخرى من العالم وأصبحت تسمية الفن الصخري (Rock Art) أو (Art Rupestre) باللغة الفرنسية شائعة لدى الباحثين<sup>2</sup>، بالمقابل يطلق على المشاهد الصخرية محلياً تسمية إزران كلانين (Izran Klanin) بمعنى الحجارة المزخرفة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- إسمهر، 2007، المرجع السابق، ص: 170-173.

<sup>2</sup>- محمد علي عيسى، (1991)، «الرسوم الصخرية الليبية في عصر ما قبل التاريخ»، مجلة تراث الشعب، العدد 1، وزارة الثقافة، طرابلس، ص: 3.

<sup>3</sup>- إسمهر، المرجع السابق، ص: 102.

أفرزت الأبحاث في مجال الرسوم والنقوش الصخرية عدة اقتراحات بخصوص التسمية من بينها: تسمية الفن الجداري (**Art parietal**)، التصوير الجداري أو الجداريات: (**The Frescoes**) باللغة الإنجليزية أو (**Les Fresques**) باللغة الفرنسية، حيث أخذت هذه التسمية كعنوان لأحد الكتب التي ألفها الباحث الفرنسي هنري لوت (**H. Lhote**) حول مشاهد منطقة التاسيلي نازجر بالجزائر تحت عنوان: <sup>1</sup>(**A la découverte des Fresques du Tassili**)، كما سي من طرف الباحث جيورج ميدريك فلانمن (**G.B.M. Flamand**) بالحجارة المكتوبة (**Pierres écrite**) في كتابه الذي يحمل عنوان <sup>2</sup>:

"**Les pierres écrites gravures et inscriptions on rupestre du Nord-Africain**"، غير أن تسمية الفن الصخري ظلت الأكثر شيوعاً واعتماداً لدى معظم الباحثين والمختصين، ويلاحظ أن معظم التسميات التي أطلقت على هذا الموروث ما عدا تسمية "الحجارة المكتوبة" تحصره ضمن خانة الفن.

تجدر الإشارة من ناحية ثانية إلى أن مفهوم الفن في نظر عدد من المفكرين الإبتيمولوجيين يحمل أبعاداً محددة، حيث يرى فيتاغورس أن الحياة ماهي إلا نماذج تحاكيها الموجودات التي تعمل على تحفيز الحس الجمالي والتذوق الفني لدى الفرد، وتحوله إلى الإنتاج الفكري على مستوى العقل، ويضيف أفلاطون بأن الفن سلبي في جوهره كونه عبارة عن محاكاة للطبيعة التي تعتبر في حد ذاتها محاكاة للأصل أي الموجودات، وبذلك يكون الفن مجرد محاكاة للمحاكاة بمعنى تقليد للتقليد، بمعنى آخر تقترب القيم الجمالية التي يقدمها الفن من المثالية التي تخلقها المشاعر ويتصورها العقل، وتبتعد شيئاً فشيئاً عن حقيقة ما هو موجود، وبذلك يكون الفن في هذه الحالة عبارة عن تمويه للحقيقة، وهو

<sup>1</sup> - **H. Lhote. (1958), A la découverte des Fresques du Tassili, Vol 1, Artaud, France, P : 2.**

<sup>2</sup>- **Flamand, 1921, op.cit., P : 121.**

ما ينطبق حسب أفلاطون على فن التزيين الذي يسعى إلى تلبية اللذات الحسية المتغيرة بدلاً من تجسيد الحقيقة السرمدية<sup>1</sup>.

يشير هيغل هو الآخر إلى أن الفن هو أعلى من الطبيعة بمعنى أن الفن عبارة عن جمال مبدع مولود من العقل، لذلك يبدو جمال الفن أعلى من جمال الطبيعة، كونه يتحرى الإيجابي دون السلبي، فهو يطلق العنان لحرية الروح ومطاوعة الخيال فيعيد عن الحقيقة المطلقة للموجودات<sup>2</sup>.

انطلاقاً من المفهوم الإستمولوجي للفن يُطرح الانشغال حول ما إذا كانت تسمية الفن الصخري أو الفن الجداري أو الفن التصويري وغيرها تُعبر فعلاً عن هذا الموروث، أو أنها تختزل جوانبه وتحصرها ضمن سياق الفن؟ خصوصاً وأن الفن يغوص في الخيال وابتعد عن الحقيقة حسب المفكرين اللذين سبق ذكرهم، في حين يشار إلى أن المشاهد الصخرية تروي تفاصيل الواقع الحي للجماعات البشرية المسؤولة عن إنجازها، حيث تشير الباحثة أوماسيب إلى أن الفن الصخري يمتاز بالواقعية في أغلب مشاهد، كونه يتحلى بتجسيد الهياكل بحجمها الطبيعي<sup>3</sup>، وهو ما أجمع عليه كل من الباحث لوكلاك والباحث هنري لوت الذي يرى أن الفن الصخري أفضل شاهد على المميزات البيئية والمناخية ومختلف تفاصيل الحياة اليومية لمنجزه<sup>4</sup>.

نعتقد أن تسمية الفن الصخري لا تشمل معظم جوانب هذا الموروث الحضاري، كون الهدف من إنجازها لم يكن على الأغلب لغرض إبراز الفن أو التسلية، وإلا كانت مشاهدته اقتصر على المظاهر الكونية ومشاهد الرقص والألوان وغيرها من الميولات الفنية، غير أن المشاهد الصخرية تبرز تفاصيل مختلفة من محطات الحياة البشرية: الروحية والنفعية والاجتماعية وكأنها تصور الواقع المعيش آنذاك وما كان يشعر أو يفكر به منجزها، حيث أعتبرت بمثابة سجل تاريخي تصويري لمختلف الأحداث

<sup>1</sup> - نوكس. إ. (1985). النظريات الجمالية (كانط-هيغل-شوبنهاور)، ترجمة محمد شفيق شيا، ط1، منشورات بحسون الثقافية، بيروت، ص: 17-20.

<sup>2</sup> - نوكس، المرجع السابق، ص: 103-107.

<sup>3</sup> - Aumassip, 2013, op.cit., P : 14.

<sup>4</sup> - Lhote, 1962, op.cit., PP : 206-208.

الماضية<sup>1</sup>، لعله من الأفضل تسميتها بالكتابة التصويرية كونها تعتبر إحدى طرق التعبير المدونة، ودليل قاطع على أن الجماعات التي خلّفت هذه المشاهد إنما اتخذتها كنوع من التواصل سواء فيما بينها أو مع العالم الغيبي، كما أن اتساع الفترة الزمنية التي تنتمي إليها المشاهد الصخرية حسب التواريخ التي سبقت الإشارة إليها في هذا الفصل، ربما تشير إلى وجود رسالة تركتها الأقوام السابقة وتوارثتها الأجيال اللاحقة التي عمرت ذات المناطق، وبذلك يحمل هذا الموروث مدلولات أبعد من الفن، وتكون تسمية الحجارة المكتوبة أو الكتابة التصويرية أقرب التسميات تعبيراً عن هذا الموروث، ولعل هذه التسمية ترسخ وتُعتمد إذا تم إثبات أن الكتابة الليبية البربرية إنما هي امتداد للمشاهد الصخرية.

### حوصلة

يعد الفن الصخري موضوعاً شائكاً ومتشعباً من حيث الدراسة، نظراً لصعوبة تأريخه واستقراء نتائجه، ولعل ما زاد من صعوبة الأبحاث عوامل التلف التي ألحقت ضرراً بالغاً بمعظم المشاهد كما تسببت بزوال عدد كبير منها، يضاف إليها التناقضات التي أدلت بها الدراسات الأجنبية للمدرسة الفرنسية في بدايات اكتشافه، وكان جلُّ همها نسب الأفضلية والأصول الأولى لأوروبا من أجل منح الاستعمار صبغة الشرعية، الأمر الذي زاد من تعقيد مهمة فك شفرة هذا الموروث.

يلعب الفن الصخري على الرغم من الصعوبات التي سبق ذكرها دوراً بالغ الأهمية في الكتابة التاريخية، كونه يعد بمثابة شاهد مادي لفترة انعدمت فيها الوثائق المكتوبة أو الشفوية، كما أنه يلعب دور أفضل شاهد على هوية الأجناس التي عمرت منطقة التاسيلي نازجر وشمال إفريقيا، مع ذلك يحتاج إلى مزيد من الدراسات من أجل كشف الغموض حول ظروف نشأته وظروف اختفائه.

أشارت الدراسات الباليونتولوجية والإثنية إلى أن منطقة التاسيلي نازجر والصحراء بصفة عامة عرفت تنوعاً عرقياً مع اعتدال المناخ خلال مرحلة الهولوسين، حيث عُثر على العديد من اللقى

<sup>1</sup> - Gauthier, 1952, op.cit., P : 42.

المنسوبة للجنس المشتاوي، القفصي، والجنس الزنجي، ما يدل على وجود تنوع ثقافي ربما يفسر التنوع في مواضيع المشاهد الجدارية وأساليب وتقنيات إنجازها، أما بالنسبة لنقاط التشابه الكثيرة بين مشاهد الرسوم والنقوش فعلى الأرجح أنها ناتجة عن تطور الخبرات الناتجة عن التبادل الثقافي، الذي قد تعود جذوره إلى الحضارة العاترية المنتمية لمرحلة البلايستوسين، نظرًا لتحكم العاتريين في تقنيات الصناعة الحجرية والتلوين، أما بالنسبة لامتداد مواقع الجداريات على مساحة شاسعة من شمال إفريقيا، ربما تفسر على أنها انتقلت مع تيار الهجرات البشرية المستمر الذي سبق التطرق إليه خلال الفصل السابق.

يسمح تتبع سلسلة المشاهد الصخرية بتكوين فكرة عامة عن ملامح الحياة الاجتماعية التي تطرح تفاصيلها ضمن الفصل الموالي، كما تثير فرضيات ضبط تسمية ملائمة لهذا الموروث الحضاري العديد من الانشغالات حول العلاقة التي تربط مشاهد الفن الصخري بالكتابة الليبية البربرية، وهو ما نتناول الحديث عنه خلال الفصل الأخير.

# الفصل الرابع

دراسة الحياة الاجتماعية من خلال المشاهد  
الصخرية

## تمهيد

تعتبر دراسة الحياة الاجتماعية من بين النقاط الحساسة فيما يخص مجتمعات ما قبل التاريخ بمنطقة التاسيلي نازجر وشمال إفريقيا بصفة عامة، بسبب غياب الشهادات المكتوبة أو حتى الشفوية، لذلك يتطلب الاعتماد على مشاهد الفن الصخري تحليلاً عميقاً مع ضرورة الاستشهاد بنتائج المعطيات الباليونتولوجية والأثرية، وما ذكر في الكتابات اللاتينية والمصرية التي تصف الشعوب القديمة للمنطقة من أجل الوقوف على الحقيقة الأقرب للواقع.

اقتصرت معظم الأبحاث بالمنطقة المدروسة على المعالم الجنائزية الكثيرة خلال مرحلة ما قبل التاريخ وفجره، في حين أهملت دراسة المساكن وأماكن التجمعات البشرية، التي من شأنها كشف الغموض عن الجوانب الاجتماعية والفكرية للشعوب التي عمرت المنطقة وما يرافقها من نشاطات يومية ونظم ومميزات.

تلعب في الحقيقة اللوحات الجدارية دوراً بالغ الأهمية في استقرار مظاهر الحياة الاجتماعية لمجتمعات ما قبل التاريخ وفجره، من خلال الإرهاصات الصريحة التي تمنحها مواضيع المشاهد الصخرية خاصة تلك المنجزة بأسلوب واقعي، حيث تعد بمثابة أفضل دليل أركيولوجي على مواطن التعمير البشري خلال الفترات الغابرة، كما تتركز الرسوم والنقوش الصخرية بصورة أساسية في الكتل الصخرية من الجبال والكهوف ما يرجح فرضية أن إنسان ما قبل التاريخ اختار الملاجئ الصخرية والمغارات مأوى له، أو اتخذها كأماكن يتردد عليها ليمارس فيها مختلف نشاطاته اليومية.

شهدت منطقة التاسيلي نازجر تواجداً بشرياً خلال مرحلة الهولوسين حيث تدل اللقى الأثرية على تعاقب كثافة سكانية هامة على المنطقة، كما تغطي المشاهد الصخرية مختلف المراحل النيوليتية ومرحلة فجر التاريخ، كونها تعد بمثابة نافذة مفتوحة على البحث والاستنباط فيما يخص الجوانب الاجتماعية والأنثروبولوجية المتعلقة بمنجزى هذا الموروث ومختلف تفاصيل الحياة اليومية.

## 1. الملابس

تختلف المشاهد التي تبرز نوعية الملابس المستعملة من مرحلة إلى أخرى، وبالنسبة للتاسيلي نازجر يميز أربعة أنواع من الثياب ويرجح أن يكون لتغير المناخ الصحراوي الدور البارز في اختلاف وتنوع هذه الأخيرة.

توضح نقوش واد جرات التي تعود إلى المرحلة القديمة أو مرحلة الصيادين شكل الملابس المستخدمة، ويبدو الذكور عراة الجسم في أحيان كثيرة<sup>1</sup>، وفي مشاهد أخرى لا يتعدى لباسهم قطعة واحدة صغيرة تمتد من الخصر إلى أعلى الفخذين على شكل ضفائر أو على شكل قطعة جلدية عريضة تثبت على الخصر وتنزل إلى الأسفل حتى تغطي العورة، تربط في بعض الحالات من الخلف بذيل حيوان قد يكون ذيل شاة أو ذيل فهد، كما تظهر الرسومات المصرية في ذات الصدد أشخاصا من فئة الليبيين الشرقيين يرتدون قطعاً من الجلد على شكل جيوب تستر العورة، يعود تاريخ هذه الرسومات إلى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد وهي مشابهة لحد بعيد لنوع اللباس الذي تجسده مشاهد الجداريات بالجنوب الوهراني، في حين يختفي هذا النوع خلال المرحلة التاريخية ربما بسبب التخلي عنه<sup>2</sup> (شكل 40).

تظهر الإناث في عدد من المشاهد الصخرية بالتاسيلي مرتديات أثواب واسعة تصل إلى نصف الساق من جلود الجاهنم، كما تظهر النساء في بعض المشاهد القديمة مرتديات فساتين طويلة مشدودة بأحزمة عند الخصر<sup>3</sup>، وتبرز النقوش الصخرية بنواحي بسكرة عددًا من الأشخاص يرتدون ملابس تبدو جلدية وتبدو القطعة الجلدية مربوطة على الكتف الأيسر وتنزل قليلا إلى أعلى الصدر ثم تستمر نحو الكتف الأيمن لتنزل إلى أسفل الظهر، وتعتبر عادة لبس الجلود شائعة خلال الفترات التاريخية القديمة، كما أنها كانت متداولة لدى الرجال والنساء ويشير غزال بناءً على ما ذكره سترابون وعدد من الكتاب

<sup>1</sup>- H. Lhote. (1953), *Le vêtement dans les gravures et les peintures rupestres au Sahara*, Dumont AMIOP, Paris, P : 17.

<sup>2</sup>- S. Gsell. (1928), *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T6, Librairie-Hachette, Paris, P : 26.

<sup>3</sup>- Muzzolini, 1981, op.cit, P : 124.

اللاتين أن الأهالي كانوا يستعملون إما جلود الحيوانات المتوحشة مثل: الأسود، النمر، الدببة، أو جلود الحيوانات المدجنة على غرار: الضأن والماعز والجمال وغيرها<sup>1</sup>.

تميزت مرحلة الرعاة حسب المشاهد الصخرية بتنوع الملابس النسائية بين فساتين طويلة وأخرى قصيرة أغلبها مستوحاة من جلود الحيوانات وأخرى منسوجة من الصوف، تعد هذه النقوش والرسوم بمثابة شاهد على حضارة الرعاة<sup>2</sup>، أما الرجال فأصبحوا يرتدون قطعاً أكثر اتساعاً وطولاً من سابقتها حيث أصبحت هذه القطع تغطي الفخذين، وفي بعض المشاهد يظهر الذكور والإناث مرتدين معاطف قصيرة وطويلة تمتد من الرقبة إلى وسط الجسم، ولا تظهر هذه الميزة في مشاهد الأجناس الزنجية، وتمتد إلى غاية مرحلة الحصان<sup>3</sup> (شكل 40، شكل 42).

تظهر في مشاهد مرحلة الحصان ملابس الرجال على شكل تنانير تمتد إلى الركبة مربوطة بحزام على الحوض، وفي حالات أخرى يرتدون سراويل قصيرة تمتد إلى نصف الساق، وفي نفس الفترة تبدوا النساء مرتديات فساتين طويلة على شكل جرس بمعنى أنها ضيقة من الأعلى وواسعة نحو الأسفل، كما تظهر الإناث في مشاهد أخرى مرتديات تنانير قصيرة توحى بأنها تقوم بنشاط الرعي (شكل 41، شكل 44)، وظهرت في نهاية هذه المرحلة حُلة على شكل مربع تشبه القندورة بالنسبة للرجال والنساء معاً، استمرت مشاهدتها إلى غاية مرحلة الجمل<sup>4</sup>، كما توضح بعض الرسومات رجالاً ونساءً يرتدون ملابس تبدو خفيفة تشد بحزام وسط الجسم، لكن لا يوجد بالمقابل أية أدلة تثبت زراعة الكتان بالمنطقة الصحراوية سواء خلال ما قبل التاريخ أو خلال المرحلة التاريخية<sup>5</sup>.

تغطي ثياب الفترة المتأخرة معظم أجزاء الجسم، كما أن فساتين الإناث تبدوا مزينة في أحيان كثيرة بقطع مصفوفة على شكل سلاسل، وتظهرهن بعض المشاهد واضعات شالات على الرأس أو على

<sup>1</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P: 23.

<sup>2</sup>- H. Lhote. (1966), « données récentes sur les gravures et les peintures du Sahara », dans : *Journal des Africanistes*, Vol 36, N°1, France, P : 275.

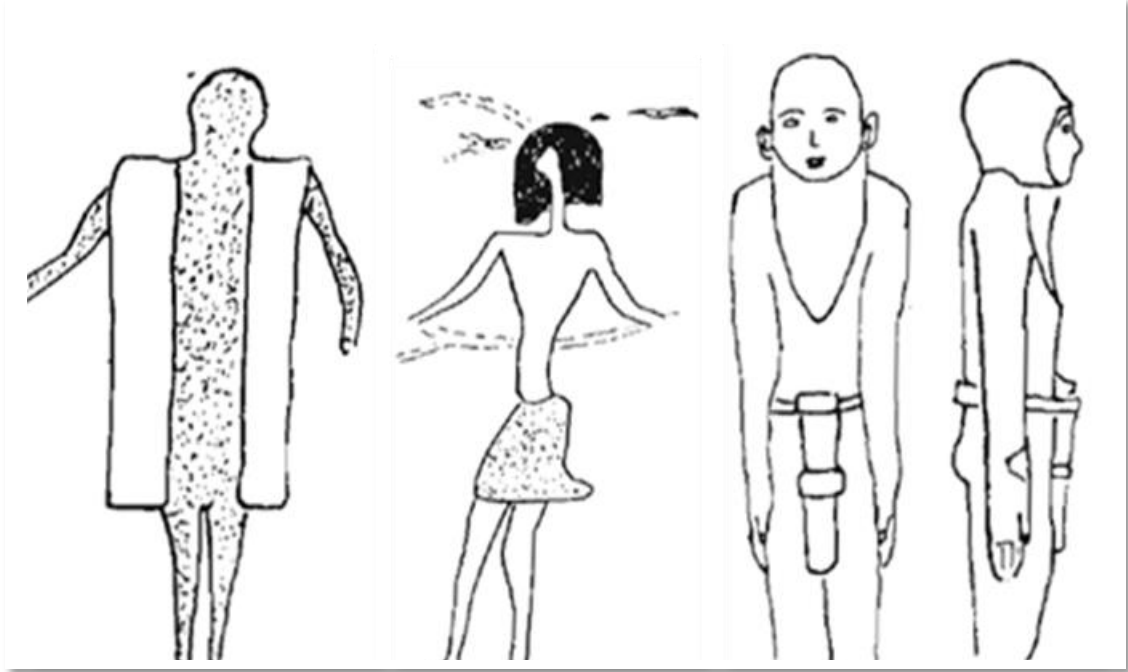
<sup>3</sup>- Muzzolini, 1981, op.cit., P : 124.

<sup>4</sup>- Lhote, 1953, op.cit., PP : 20-23.

<sup>5</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 27.

الأكتاف<sup>1</sup>، ويضيف غزال في ذات الصدد نقلا عن كوريبوس (Corripos) أن عددًا من الأهالي اعتادوا على وضع غطاء للرأس وهو عبارة عن قطعة من الكتان تلف على الرأس وتمسك بعقدة شديدة على شكل عمامة، حيث ينزل جزء منها تحت الذقن أو خلف الرأس، كما تظهر في الرسومات المصرية المؤرخة في حدود الألف الثانية قبل الميلاد، أنثى ليبية ترتدي على رأسها طاقية مستديرة على شكل لفافة<sup>2</sup>.

تظهر الأحذية والنعال في المشاهد الصخرية بسيطة وهي عبارة عن قطعة جلدية تحزم بخيوط متقاطعة فيما بينها إلى الكعبين، ويذكر في فترة لاحقة كوريبوس أن الليبيين انتعلوا أحذية من جلود الماعز<sup>3</sup> (شكل 43).



شكل 40: مشاهد توضح أنواع الملابس بالنسبة للذكور.

المصدر: Lhote, 1953, PP :13-18

<sup>1</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 246.

<sup>2</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 32.

<sup>3</sup>- Ibid., P : 33.



شكل 42: ملابس نسائية من مرحلة الرعاة  
المصدر: Lhote, 1953, P : 23

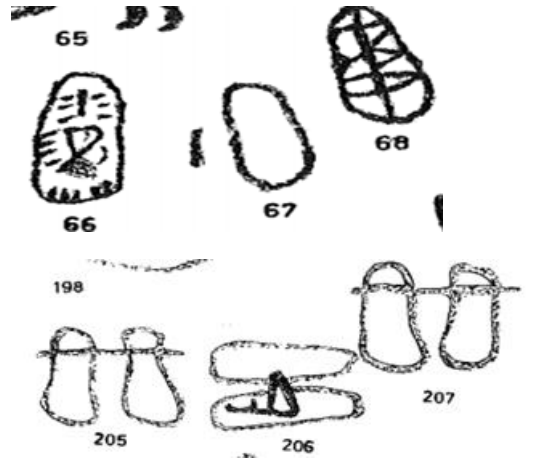


شكل 41: مشهد يوضح أحد أنواع الملابس  
النسائية.

المصدر: Lhote, 1953, P : 22



شكل 44: مشاهد لفساتين نسوية من مرحلة  
الرعاة بالتاسيلي  
المصدر: OPNT, 2009, P : 38



شكل 43: مشاهد لأحذية جلدية بواد جرات  
المصدر: Lhote, 1976, PP : 49, 73.

## 2. تسريحات الشعر

تظهر النقوش الصخرية النساء بشعر طويل وكثيف، يبدو في بعض المشاهد مرفوع إلى الأعلى على شكل ضفائر أو عقيصات، وفي مشاهد أخرى يبدو مزيناً بعقود<sup>1</sup> (شكل 48، شكل 49)، وتبين نقوش

<sup>1</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 246.

منطقة تيسوكاي بالتاسيلي عددا من النساء بتسريحات شعر على شكل عقيصات وخصلات شعر ملتوية يزين رؤوسهن بريش النعام<sup>1</sup>.

يظهر الذكور في بعض النقوش بشعر طويل أملس مربوط خلف الرأس أو إلى الجانبين، وفي مشاهد أخرى يبدو الشعر مصقفاً على شكل ضفائر طويلة مزينة بريش الطيور أو بقرون حيوانية، وفي بعض الحالات يبدو الشعر كثيفاً يشبه الشعر المستعار عند الفراعنة المصريين<sup>2</sup>، تشير الدلائل المصرية المؤرخة في حدود النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد إلى أنواع من تصفيفات الشعر التي اقتص بها الليبيون، حيث تميزوا بخصلات شعر طويلة وسميكة إلى حد ما، وفي بعض المشاهد يظهرون بصفيرة تنزل على الكتف مازةً أمام الأذن تارة على اليمين وتارة تظهر على اليسار، وفي بعض المشاهد تتدلى خصلتان على جانب واحد<sup>3</sup> (شكل 46).

كما تظهرهم بعض المشاهد بلحي قصيرة أو طويلة وهي خاصة مألوفة لدى البربر الليبيين، حيث صورت الرسوم المصرية الرجال الليبيين بلحي، وفي الحقب التاريخية تحمل الأنصاب الأثرية وبعض المسكوكات ملامح شخصيات ليبية مركزية بلحي على غرار ماسينيسا وسيفاكس وعدد من المحاربين<sup>4</sup> (شكل 47).

تشير بعض المشاهد إلى تزيين الرأس بريشة أو أكثر، وفي حالات أخرى يضعون قبعات أو قلنسوات أو شيء من هذا القبيل، وهي عادة متداولة كثيراً عند الليبيين القدماء حسب ما تذكره المصادر القديمة<sup>5</sup> (شكل 45)، حيث تحمل الرسوم الصخرية بالجنوب الوهراني مشاهد لأشخاص يزينون رؤوسهم بتيجان من الريش، في حين يبدو البعض بريشتين قائمتين وبالمقابل أثبتت النقوش المصرية هذه الميزة حينما صورت مظهر بعض من رؤساء الليبيين الذين يزينون شعرهم بريش النعام

<sup>1</sup>- Lhote, 1966, op.cit., P : 275.

<sup>2</sup>- Lhote, 1953, op.cit., P: 21.

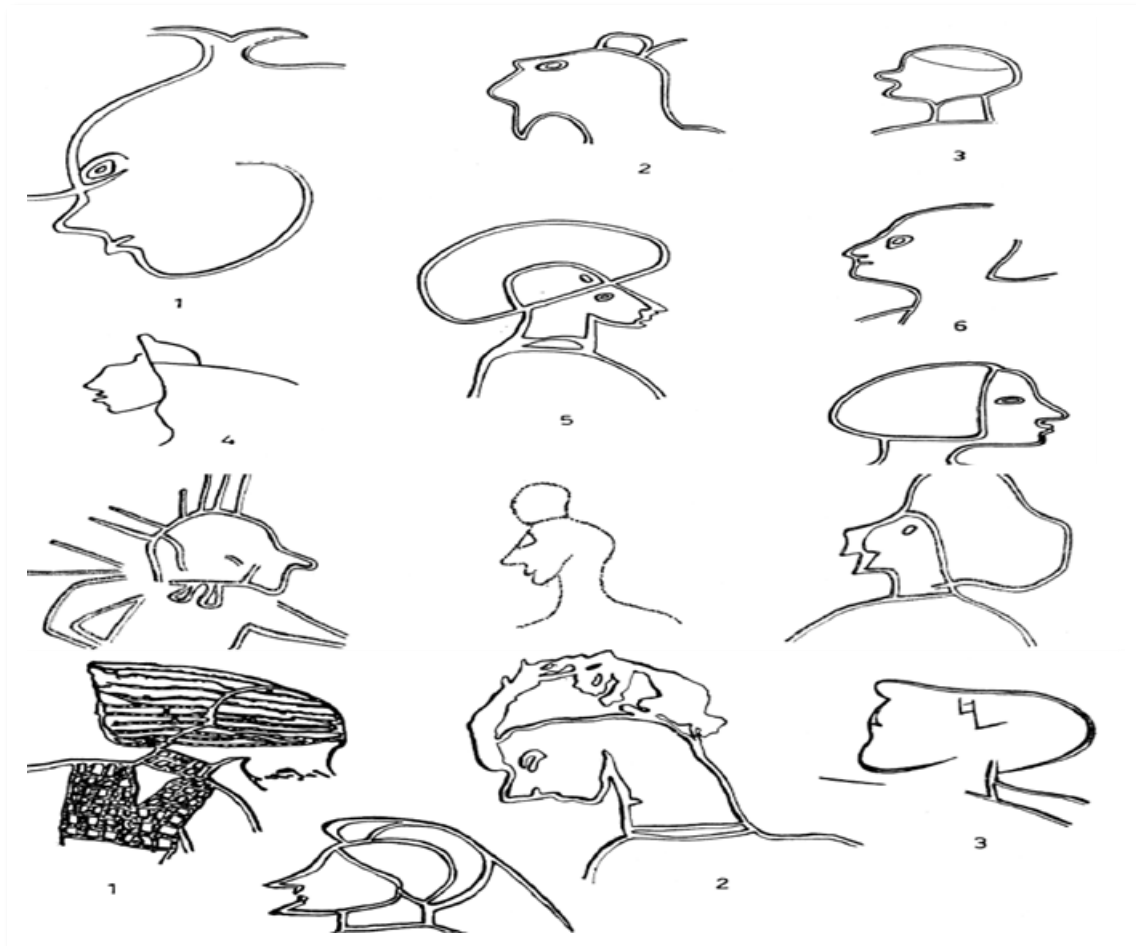
<sup>3</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 18.

<sup>4</sup>- Ibid., P : 22.

<sup>5</sup>- Muzzolini, 1981, op.cit., P : 123.

ريشة أو إثنين أو ثلاث، ويبدو أن هذه الزينة قد استمرت لفترة طويلة حيث شاع لدى القبائل خلال الفترة التاريخية القديمة تثبيت الريش على الشعر<sup>1</sup>.

أوضحت من جهة ثانية نقوش مقبرة الفرعون سيتي الأول من الأسرة التاسعة ملامح لأشخاص ليبيين من قبائل التمشو والريبو، الذين يبدوون ببشرة بيضاء وشعر أشقر وعيون زرق، يظهر بعضهم بلحي مدببة مع خصلات شعر أو ضفائر على جانب الرأس مع حلق بقية الشعر، يتميزون بذقن حاد ويزينون أجسادهم بأوشام عبارة عن رموز وأشكال هندسية<sup>2</sup>.



شكل 45: تسريحات شعر متنوعة لرجال ونساء من نقوش واد جرات

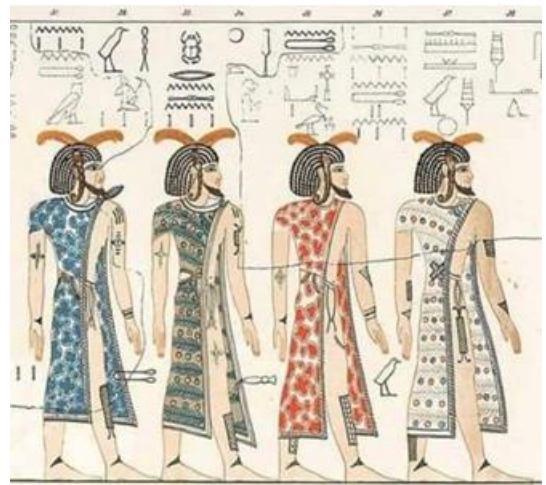
المصدر: Lhote, 1970, PP : 94-95

<sup>1</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P: 30.

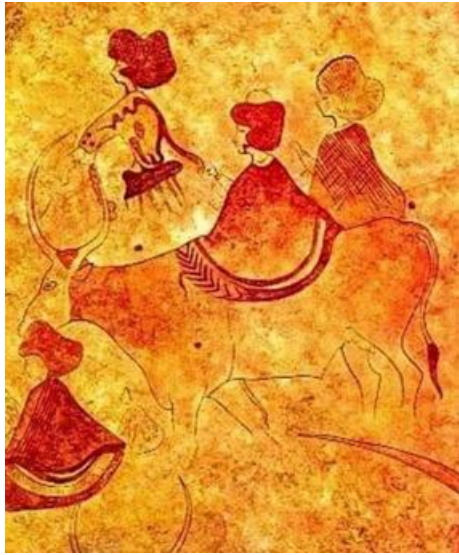
<sup>2</sup>- M. Capart. (1904), Préhistorique Egyptien, T20, Société d'Anthropologie de Bruxelles, P : 6



شكل 47: صورة لماسينيسا سنة 148 ق.م  
المصدر: عقون، 2010، ص: 33



شكل 46: صورة لزعماء ليبيين منقوشة على مقبرة الفرعون سيتي الأول.  
المصدر: حمداوي، 2016، ص: 199



شكل 49: مشهد لنساء بتسريحات شعر وملابس مزركشة احدهن تمتطي بقرة بالتاسيلي  
المصدر: [www.opvm.dz](http://www.opvm.dz)



شكل 48: مشهد لتسريحات شعر أنثوية بواد جرات  
المصدر: Lhote, 1953, P : 22

## 3. الحلي وأدوات الزينة

تتمثل الحلي وأدوات الزينة في الغالب في تماثم وأحجبة وقلائد وتيجان مصنوعة من مواد طبيعية عثر عليها بكثرة في مواقع ما قبل التاريخ، على غرار بقايا القلائد المصنوعة من قشور بيض النعام (شكل 50)، الحجارة والحصى (شكل 51)، القواقع، أسنان الخنازير، العاج، وغيرها وتثبت الرسوم الصخرية شيوع هذه الزينات من خلال المشاهد التي يظهر فيها أشخاصًا يرتدون أساور في أيديهم وقلائد في أعناقهم، وفي مشاهد تظهر أقرط تزين الأذن بالنسبة للنساء<sup>1</sup> (شكل 53).

تشير معظم المشاهد الصخرية بالتاسيلي التي تعود إلى المرحلة القديمة إلى أشخاص يزينون رؤوسهم بالقرون أو ريش الطيور ويرتدون قلائد قد تكون من قطع عظمية أو قشور بيض النعام<sup>2</sup>، كما أثبتت العديد من المواقع النيوليتية بالصحراء الوسطى عن وجود بقايا لقشور بيض النعام ضمن المواد العضوية التي استخدمها انسان هذه المرحلة للزينة، كما تبرز النقوش الصخرية في عدد من مواقع الفن الصخري بالتاسيلي نازجر مشاهد لأشخاص يحملون مواصفات المحاربين الليبيين بتسريحات شعر على شكل ضفائر مزينة بريش الطيور، يمكن أن يكون هؤلاء المحاربين من الجرامنت الذين وصفهم هيرودوت بمواصفات مشابهة<sup>3</sup>، وتبين نقوش منطقة تيسوكاي بالتاسيلي عددا من النساء بتسريحات شعر على شكل عقيصات وخصلات شعر ملتوية يزين رؤوسهن بريش النعام<sup>4</sup>.

عثر في عدد من المواقع الأثرية الإبيرومغربية، القفصية والنيوليتية على بقايا حلي منجزة من قواقع لحيوانات برية أو بحرية كانت تقطع وتصلق لصناعة القلائد، منها ما هو مثقوب طبيعيا مثل قوقعة الأسقلوب (Pectinidae) ومنها ما يتم ثقبه يدويًا، واستخدمت الألياف النباتية والأشرطة الجلدية لتعليقها، مثل حلي قواقع الحلزونيات التي عثر عليها في موقع "مولح" الإبيرومغربي بالجلفة،

<sup>1</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 33.

<sup>2</sup>- Muzzolini, 1981, op.cit., P : 124.

<sup>3</sup>- Demougeot, 1960, op.cit., P : 211.

<sup>4</sup>- Lhote, 1966, op.cit., P : 275.

وبقايا لقواقع السلحفاة في كل من موقع "تروغلوديت" ومغارة "ققدمان" بواد الصومام<sup>1</sup>، كما عثر على بعض من بقايا الحلي العاجية في موقع ققدمان عبارة عن ثلثي سوارين إضافة إلى قرن خنزير بري على شكل قلادة غير أن استعمال العاج يعد نادرًا بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ<sup>2</sup>.

كشفت نتائج الحفريات أن الحلي خلال فترة ما قبل التاريخ كانت تصنع كذلك من حصى النهر مثل: الشيسيت والكلس والرمل وانتشرت هذه الصناعة خاصة في الفترة الإيبيرومغربية والقفصية، حيث صنعت منها القلائد والمعلقات كما عثر على بقايا من الكلس الأسود بموقع المويلح مثقوب في أحد أطرافه، وفي مغارة الأوراس عثر على عقود حصوية ملونة إلى جانبها بقايا حلي مصنوعة من العقيق الأحمر<sup>3</sup>.

اعتمد انسان ما قبل التاريخ إلى جانب المواد التي سبق ذكرها على العظام لصناعة الحلي على شكل قلائد ومعلقات عثر على العديد منها في عدة مواقع، على غرار موقع كولمناطة بتيارت وموقع قمة القردة في بجاية وموقع شمبلان في المدية، أين عثر على عدد من القلائد المكونة من عقد عظمية مصقولة ومثقوبة أغلبها ذات شكل دائري<sup>4</sup>.

تعدى استخدام الحلي مجرد الزينة إلى أغراض أخرى منذ القديم، حيث تحمل رموزًا دلالية متعددة فتلعب دورا وقائيا في أحيان كثيرة ومنها ما يستعمل للتداوي وعلاج الأمراض، فقد أستخدمت بعض من قرون الحيوانات أو أشكال اليد أو الأحجبة والحروز كقلائد ومُعلقات لرد الأذى والطاقة السلبية عن مرتديها، وفي الفترات اللاحقة أصبحت القلائد في عدد من الأماكن تصنع من مواد علاجية مثل المرجان والعقيق الذي يوقف النزيف، ونبات الشيح والقرنفل والرصاص الذي يبعد التوتر والهلع، كما تعد الأوشام في حد ذاتها تمانم وقائية رمزية ظلت منتشرة لدى المجتمعات الحديثة إلى وقت غير

<sup>1</sup>- Lhote, 1966, op.cit., P : 279.

<sup>2</sup>- Camps Fabrer, 1966, op.cit., P : 159.

<sup>3</sup>- H. Camps Fabrer. (1960), « Parure des temps préhistoriques en Afrique du nord », dans : *Libyca*, TVII, P : 99.

<sup>4</sup>- Camps Fabrer, 1966, op.cit., P : 164.

بعيد، حيث شاع لدى البعض وشم رمز يشبه اليد على جباه أطفالهم من أجل ضمان سلامة حياتهم أطلق عليه تسمية العياشة، والأشكال الهندسية المستعملة في الأوشام هي دون شك علامات رمزية لها دلالات محددة<sup>1</sup> (شكل 54).

يلاحظ أن النساء الحوامل في المشاهد الصخرية قد زينت أجسادهن بزينات مختلفة، عبارة عن نقاط بيضاء وخطوط قد تكون لغرض الحماية للمرأة وجنينها والسلامة أثناء الولادة (شكل 52)، كما عرفت بعض النساء خلال الفترات التاريخية الحديثة ظاهرة الوشم المرتبط بفكرة الخصوبة الذي تشبه أشكاله إلى حد بعيد رمز آلهة الخصوبة تانيت، ولعلها بقايا لتأثير معتقدات ما قبل التاريخ في المجتمعات المعاصرة<sup>2</sup>.



شكل 51: بقايا لسوار من الحجارة بموقع تين هانكتان بالتاسيلي.

المصدر: Ministère de la Culture, 2011, P: 50



شكل 50: قلادة من قشور بيض النعام بالصحراء الوسطى

المصدر: Ministère de la Culture. (2011), « Parures et bijoux d'Algérie à travers l'histoire », Algérie, P: 44

<sup>1</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., PP : 16-17.

<sup>2</sup>- S. Gsell. (1915), « Texte relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote) », Alger, PP : 10-11.

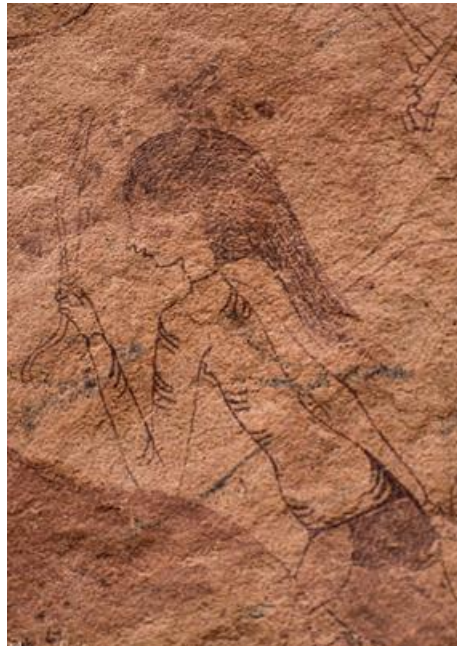


شكل 53: مشهد لأشخاص بزينات (عقود، أساور، أقراط)، بالتاسيلي نازجر.

شكل 52: نساء حوامل بزينات جسدية بموقع سيفار

المصدر: [www.opvm.dz](http://www.opvm.dz)

المصدر: S. Lancel. (2014), *L'Algérie antique de Massinissa à Saint Augustin*, Places des Victoire, Paris, P : 27



شكل 54: شخصية من مرحلة الصيادين بأوشام جسدية

المصدر: [www.opvm.dz](http://www.opvm.dz)

## 4. الطعام والمسكن

يعد الانتقال من حياة الصيد والالتقاط وما يسببه من أخطار ومتاعب نحو حياة الاستئناس والرعي الأكثر هدوء، بمثابة بداية لحياة الاستقرار التي بدأ إنسان ما قبل التاريخ يؤسس لها، كدليل على أن العقل البشري تمكن من ابتكار وسائل وأساليب تجعل حياته أسهل، حيث وفرت عملية التدجين اللحوم والألبان وبدأ الإنسان ينتج طعامه بنفسه بدلا من الحصول عليه من الطبيعة وهذا ما تثبتته المشاهد الصخرية بعدد من مواقع التاسيلي نازجر<sup>1</sup> (شكل 56، 57).

فضّل الإنسان بعدما توصل إلى اكتشاف الزراعة الاستقرار في جماعات قرب مصادر المياه التي تسهل عليه عملية إنتاج غذائه<sup>2</sup>، حيث تركزت أغلب الرسوم والنقوش الصخرية بالقرب من الأودية والأنهار ومصادر المياه كدليل على تمركز التعمير البشري في هذه المناطق، فضلا عن المشاهد التي تثبت امتلاك إنسان هذه الفترة لحرفة الزراعة<sup>3</sup>، ويعد مشهد جبارين واحداً من بين أبرز مشاهد خدمة الأرض، حيث توضح رسوماته ثلاثة أشخاص يعملون في الأرض وشخص آخر يشير بيديه كأنه يوضح لهم كيفية العمل<sup>4</sup> (شكل 55).

نجح إنسان العصر الحجري الحديث في تطوير الآلات والتقنيات المرتبطة بزراعة الأرض والحصاد وشق الترع وما يتعلق بالري والسقاية وكل ما يتناسب مع طبيعة المجتمع الزراعي، حيث شهدت هذه الفترة تكتل الجماعات البشرية في أماكن وفيرة المياه تربطها غاية تحقيق التعاون والتكافل لمواجهة مصاعب الحياة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم العيد بشي. (2009)، تاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي: قديما وحديثا، ج4، ط1، دار الحبر، الجزائر، ص ص: 40-42.

<sup>2</sup> مهران، المرجع السابق، ص: 33.

<sup>3</sup> موري، المرجع السابق، ص: 26.

<sup>4</sup> Hg. Hugot. (1974), *Le Sahara Avant le Désert*, Des Hespérides, France, P : 173.

<sup>5</sup> هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 9.

لعبت منطقة الأكاكوس والهقار والتاسيلي دورا هاما في استقرار الجماعات البشرية، نظرا لكونها صالحة للإقامة والمرعى وتتوفر على مصادر دائمة للمياه كونها تتربع على أكبر تجمع للمياه الجوفية في الصحراء الوسطى،<sup>1</sup> كما أنها محصنة طبيعيا حيث تتوفر على العديد من الكهوف والمخابئ الصخرية الضيقة والواسعة التي يرجح أنها اتخذت كمساكن بدليل تركيز المشاهد الجدارية واللقى الأثرية بها<sup>2</sup>، وتشير نتائج الحفريات في هذه المناطق إلى بعض الأنواع من المزروعات على غرار: الشعير والذرى والقمح الذي كان أكثر المزروعات انتشارًا<sup>3</sup>.

بدأ الإنسان في محاولة تأمين غذائه خلال العصر الحجري الحديث حين تمكن من تخزين منتوجه ليستخدمه وقت الحاجة، ومن ثم لجأ إلى صناعة السلال والأواني الفخارية لتخزين الغذاء والماء وصنع القراب التي تبرزها مشاهد الفن الصخري، كما أشار الباحث فابريتشيو موري إلى اكتشاف أخدود دائري ذي قاعدة نصف كروية بموقع وان موهيجاج بالأكاكوس يبلغ قطره حوالي 40 سم وعمقه 45 سم مغطى بمواد رسوبية (شكل 58)، كما عثر على العديد من النماذج المشابهة بالقرب من محطات الفن الصخري، ويرجح أن يعود استخدامها لتخزين المياه وبذلك تكون أول بداية لفكرة انشاء السدود خلال فترة ما قبل التاريخ<sup>4</sup>.

أصبح غذاء إنسان المرحلة النيوليتية متنوعا بعدما تحكّم في الزراعة التي تنوعت منتجاتها، واستأنس الحيوانات التي استغل لحومها وألبانها<sup>5</sup>، حيث تُظهر بعض المشاهد الصخرية عددا من الأبقار المربوطة إلى بعضها في وضعية متقابلة ليؤخذ منها الحليب<sup>6</sup> (شكل 57).

<sup>1</sup>- موري، المرجع السابق، ص: 32-34.

<sup>2</sup>- Aumassip, Kerzabi, 2018, op.cit., P : 132.

<sup>3</sup>- هاوكس، وولي، ص: 107-108.

<sup>4</sup>- موري، المرجع السابق، ص: 229.

<sup>5</sup>- هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 11-13.

<sup>6</sup>- بشي، ج1، المرجع السابق، ص: 135.

اتسمت المرحلة النيوليتية بنشأة المجتمعات المستقرة المرتبطة بالأرض والزراعة واستئناس الحيوان، وبداية تشكل القرى<sup>1</sup> التي تعد بمثابة اللبنة الأولى لنشأة المدن خلال مرحلة فجر التاريخ<sup>2</sup> التي تتداخل إلى حد بعيد مع المرحلة التاريخية<sup>3</sup>، ومن بين أبرز الدلائل على وجود تجمعات سكنية بمنطقة التاسيلي نازجر وضواحيها، وجود مدافن على شكل معالم جنازية مهيأة، أرخت في حدود 5000 ق.م مثل موقع لوني بالهقار المؤرخ في حدود 3105 ق.م، حيث تدل اللقى التي عثر عليها ضمن المقابر من فخار وأواني وحلي على نمط الحياة اليومية لمنجزها<sup>4</sup>، كما تبرز مشاهد منطقة تيسوكاي وإيهران نساءً يقمن بنصب خيام ربما كدلالة على تحول المناخ إلى جاف وحر (شكل 59)، ويلاحظ بالمقابل لدى المجتمع الطارقي المعاصر أن المرأة هي المسؤولة عن صنع الخيمة ابتداءً من نسجها إلى غاية نصبها وتثبيتها<sup>5</sup>.



شكل 55: مشهد يوضح خدمة الأرض بموقع جبارين

المصدر: Hugot, 1974, op.cit., P : 173.

<sup>1</sup> - هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 7.

<sup>2</sup> - تعد فترة فجر التاريخ بمثابة مرحلة منحصرة بين نهاية المرحلة النيوليتية وبداية المرحلة البونية، وهي من أصعب الفترات من حيث الدراسة والتنقيب الأثري نظرًا لضيق مدتها كما أن نهايتها تعد مجهولة، ينظر: طارق عزيز ساحد. (2014)، «الدلالات الرمزية للدفن في المجتمع الجزائري خلال فترة فجر التاريخ»، *مجلة الدراسات والبحوث التاريخية*، عدد 6، جامعة الوادي، ص: 61.

<sup>3</sup> - G. Camps. (1998), *Néolithique méditerranéen techniques et genres de vie*, Edisud, France, PP : 10-11.

<sup>4</sup> - ساحد، المرجع السابق، ص، ص: 65، 67.

<sup>5</sup> - Nagette Aïn Seba. (2002), « Architectures premiers, Algérie d'histoire », Un année d'Algérie en France, P: 4.



شكل 57: مشهد لعملية جمع الحليب من القطعان بالأكاكوس  
المصدر: موري، ص: 197



شكل 56: مشهد يوضح استعمال القرب واستئناس الأبقار  
المصدر: [www.opvm.dz](http://www.opvm.dz)



شكل 59: مشهد يوضح عملية نصب الخيام لنساء بموقع إهران  
المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P: 214



شكل 58: أخدود دائري بموقع وان موهيجاج  
المصدر: موري، ص: 224.

## 5. مشاهد الأسرة

يشير الباحث ويل ديورانت إلى أن ركائز تأسيس الحضارة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال ضمان الاستقرار، تتمثل أولى خطوات الاستقرار في تكوين الأسرة سواءً بالنسبة للمقيمين أو الرحل، كما أن الأسرة تعد بمثابة النواة الأولى لنشأة المجتمعات البشرية، التي يمكن الاستدلال عليها من خلال تراكم اللقى الأثرية في ذات الموقع، كما أن العديد من هذه المواقع تلتقي على مسافات متقاربة ما يشير إلى أن

هذه المجتمعات عاشت جنباً إلى جنب، وتشير ترسبات المناطق التي تحتوي على آثار لوجود المياه أنها كانت أماكن جاذبة للسكان<sup>1</sup>.

تعد منطقة التاسيلي نازجر من بين أبرز الأماكن التي حظيت بتجمعات سكانية خلال المرحلة النيوليتية، وتنقسم المشاهد الجدارية السكان إلى فئتين: الحضر والبدو، يتمثل السكان الحضر في مشاهد الأشخاص الزراعين المستقرين وعدد من المشاهد لأشخاص في حالات السلم معظمهم من الجنس الأبيض، أما عن فئة البدو فهم من الصيادين والرعاة الذين تبرزهم المشاهد في شكل جماعي رفقة حيوان الكلب، وهم مزيج بين الجنس الأبيض والزنجي<sup>2</sup>.

يرجح أن المجتمعات التي عمرت هذه المنطقة فضلت التعايش والتقارب من أجل التكتل للدفاع عن أنفسهم وعن أراضيهم ضد الدخلاء والغازين، لذلك تحرص الأسرة على أداء أهم أدوارها الاجتماعية وهو الاستمرار في الوجود وتعاقب الأجيال من خلال إنجاب أكبر عدد من الأولاد، لذلك تعتبر العلاقة التي تربط أفراد الأسرة من: الرجال والنساء والأطفال علاقة مقدسة<sup>3</sup>.

تشير مضامين المشاهد الصخرية ومدى تشابهها على علاقة الأسرة بالمجتمع ومختلف الروابط الاجتماعية ومكانة كل فرد، ونعرض فيما يلي كل فئة من فئات المجتمع حسب ما تبرزه المشاهد الصخرية مع الاستدلال بالكتابات التاريخية القديمة للوقوف على استمرارية بعض المظاهر الاجتماعية في المجتمعات اللاحقة.

### 1.5 مشاهد الرجال

تبيّن المشاهد الصخرية في كل من التاسيلي، الهقار، فزان، أن عدد الرجال أقل من عدد النساء، كما أشار سترابون في الفترة التاريخية القديمة إلى أن قبائل الجرمانت تميزوا بتعدد زوجاتهم وكثرة

<sup>1</sup>- S. Gsell. (1928), *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T5, Librairie-Hachette, Paris, PP : 29-30.

<sup>2</sup>- بشي، ج4، المرجع السابق، ص: 38.

<sup>3</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P :52.

أبنائهم<sup>1</sup>، وفي هذا إشارة إلى أنهم يتكاثرون بوتيرة سريعة، ونقل غزال في هذا الصدد عن هيرودوت أنهم كانوا ذوي أبدان سليمة ورشيقة تقاوم التعب وأكثرهم يموت بالشيخوخة، إلا من تعرض للقتل أثناء الصيد أو الحروب<sup>2</sup>.

تظهر الهيئات الذكورية في المشاهد الصخرية بملامح قوية، وفي معظم الأحيان يبدو الذكور مسلحين برماح ونشاب (شكل 60)، وتسيطر فئة الرجال على مشاهد الصيد دون النساء في معظم المشاهد الصخرية (شكل 61)، كما تبرزهم بعض المشاهد بملامح جنسية مبالغ فيها كتعبير ربما عن القوة، وتبدو مشاهد فئة الرجال بهيئة القيادة في الأغلب مثل مشاهد محطة أوزنياري التي يظهر فيها مجموعة من الأشخاص رفقة قطعانهم وأسرههم، وتظهر النساء والأطفال مع المواشي في الوسط بينما يحيط بهم مجموعة من الرماة في المقدمة وعلى الجوانب وآخرون في مؤخرة المجموعة، يبدوون في حالة تنقل ربما للبحث عن أماكن إقامة جديدة أين يتوفر الماء والمرعى<sup>3</sup>.



شكل 61: رجل زنجي من مرحلة الصيادين بالتاسيلي

المصدر: [www.opvm.dz](http://www.opvm.dz)



شكل 60: رجال مسلحين من الجنس الأبيض بموقع جبارين

المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P : 211

<sup>1</sup>- سترابون، الفقرة 19، ص : 113.

<sup>2</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 7.

<sup>3</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., PP : 126-127.

## 2.5 مشاهد المرأة

حظيت المرأة بأهمية كبيرة في اللوحات الجدارية حيث اقترنت صورها بفكرة الخصوبة في أغلب المشاهد<sup>1</sup>، وترتبط المرأة في نظر العديد من الشعوب القديمة بخصوبة الأرض التي تعد مؤنثة في اعتقادهم وأهم علامات الخصوبة هي الولادة عند المرأة والإنتاج بالنسبة للأرض<sup>2</sup>.

يعد مشهد السيدة البيضاء كما سماها لوت في أونرحات أبرز المشاهد التي تبجل العنصر المؤنث، وهو عبارة عن مشهد لامرأة فارعة القامة مزينة بخطوط ونقاط وتحمل على رأسها قرنان كبيران المسافة بينهما 50 سم، رأسها مزين بنقاط بيضاء وتبدو ببطن منتفخ كدليل على أنها تمثل ربة الخصوبة على الأرجح (شكل 63)، كما يظهر على المشهد مجموعة من النساء يؤدين رقصات طقوسية، وعدد من الأشخاص الذين يعملون في الأرض<sup>3</sup>، يفهم من هذا المشهد وجود تلميح يربط خصوبة المرأة بخصوبة الأرض.

يعد مشهد السيدة السوداء بسيفار هو الآخر من بين أشهر مشاهد المرأة، تبدو فيه أنثى حاملا بقامة طويلة بلون أسود ممسكة بقرص القمر بكلتا يديها (شكل 64)، يدل هذا المشهد على شيوع ظاهرة عبادة القمر لدى مجتمعات ما قبل التاريخ وعلاقتها بمبدأ الخصوبة<sup>4</sup>، وفي إشارة لهيرودوت خلال المرحلة التاريخية القديمة عن عبادة القمر التي اعتقد بها الليبيون، حيث كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر<sup>5</sup>، ارتقى تقديس الأنثى إلى مصاف تجسيدها في شكل آلهة تظهر أحيانا برؤوس حيوانية ربما لإضفاء الهيبة والتميز عن مشاهد بقية النساء، كما جسدت في عدد من الجداريات بطول فارع ربما تعبيرا عن الآلهة الأم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- Lhote, 1958, op.cit., P : 88.

<sup>2</sup>- الماجدي، المرجع السابق، ص ص: 82-83.

<sup>3</sup>- Lhote, 1958, op.cit., P: 93

<sup>4</sup>- A. Sébe. (1991), Tikatoutine 6000 ans l'Art Rupestre Saharien, Collection Tagoulmoust, Antegrafica Silva, Italie, P : 60.

<sup>5</sup>- هيرودوت، الكتاب الرابع، الفقرة: 188.

<sup>6</sup>- C. Cohen. (2007), L'Art rupestre et les rôles de la femme au paléolithique, Valcamonica Symposium, P : 102.

حظيت مشاهد الحمل هي الأخرى بأهمية كبرى حيث تظهر النساء في بعض الجداريات ببطن بارز ومنتفخ من بينها مشهد المرأة الحامل والساحر بموقع أونرحات<sup>1</sup> (شكل 65)، يضاف إليه مشهد الإله الكبير بسيفار الذي تظهر فيه مجموعة من النساء الحوامل وعدد من الأطباء حول الإله الذي يحتل مركز اللوحة<sup>2</sup>، تبدو النساء رافعات أيديهن نحو الأعلى ربما تضرعًا، وفي مشهد آخر على نفس اللوحة تظهر امرأة في حالة ولادة وأمامها ظبية حمراء حامل تتطابق مع مشهد المرأة، ربما تشير هذه الرسومات إلى نوع من التضرع للإله الكبير من أجل سلامتهن وسلامة أبنائهن<sup>3</sup> (شكل 62).

يلاحظ من خلال المشاهد الصخرية أن النساء الحوامل تزين أجسادهم بهيئة عالية من نقاط بيضاء وخطوط متعرجة ومستقيمة، قد تكون لغرض الحماية للمرأة وجنينها أو بغية جلب السلامة أثناء الولادة<sup>4</sup>، كما تظهر المشاهد الصخرية أطوار الحمل حيث تظهر بعض النساء ببطن كروي وبعضهن ببطن بيضاوي دلالة على قرب موعد الولادة، كما تبدو بعض الحوامل بقرون وزوائد ربما للتعبير عن قدسية هذه المرحلة<sup>5</sup>.

جسدت المشاهد الصخرية مرحلة الولادة بمظهر لا يخلو من ملامح التقديس، حيث تظهر النساء في بعض المشاهد في حالة ولادة مرتديات أقنعة برؤوس حيوانية مع سيقان منفرجة أو كما سماها لوت (Les Femmes ouvertes)، تنتشر مثل هذه المشاهد في العديد من المواقع الصحراوية وأبرزها مشاهد مرتفعات الأكاكوس<sup>6</sup>، في حين تظهر نساء في مشاهد ثانية في حالة ولادة لكن دون أقنعة بملامح غير واضحة تماما عدا الذراعين والساقين في وضعية منفرجة دائما، وغالبا ما ترفق

<sup>1</sup>- H. Lhote. (1971), « Le peuplement du Sahara néolithique d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres », dans : *Journal de la Société des Africanistes*, I40, Fascicule 2, P : 134.

<sup>2</sup>- Lancel, 2014, op.cit., P : 25.

<sup>3</sup>- Hachid, 1998, op.cit., P : 165.

<sup>4</sup>- Gsell, 1915, op.cit., P : 11.

<sup>5</sup>- Lhote, 1958, op.cit., P : 134.

<sup>6</sup>- P. Huard, L. Allard. (1977), « Les chasseurs anciens du Nil et leur témoignages gravés à Veniat, au Sahara Tchadien et au Fezzan oriental », dans : *Bulletin de la Société Préhistorique Française*, Etude de Travaux, T74, N°2, France, P : 284.

مشاهد الولادة بالضأن وفي الأغلب الأبقار ربما تفسر على أنها قرابين تقدم للآلهة لضمان سلامة المرأة والمولود<sup>1</sup>، وفي إحدى مشاهد الولادة بسيفار تظهر امرأة منفرجة وحولها عدد من الأبقار<sup>2</sup>.

تحتضن منطقة تين تزاريفت على مستوى هضبة التاسيلي إحدى أبرز مشاهد الولادة وأوضحها، حيث يبدو المكان وكأنه مستشفى صغير أو عيادة إسعاف، يحتوي المشهد على ثلاثة شخصيات أنثوية في حالة مخاض وأخريات يبدو كأنهن مسعفات، تظهر في منتصف المشهد امرأة مستلقية على منصة حجرية بساقين منفرجتين وأمامها امرأة أخرى بمثابة قابلة تمد يديها استعدادًا لالتقاط الجنين، وعلى حواف المشهد تظهر نساء حوامل وكأنهن على استعداد لأخذ الدور ومن بينهن تبدو امرأة بتنورة قصيرة في حالة وقوف ورأسها كأنه معصب بقطعة من القماش قد تكون إحدى القابلات (شكل 66)<sup>3</sup>.

تُعبّر المشاهد الصخرية التي تظهر في أغلبها النساء مقترنات بالأطفال عن عاطفة الأمومة الجياشة التي تعتبر شعورًا مقدسًا حسب ما توضحه المشاهد الصخرية، كونها تعبر عن الروابط الاجتماعية المتينة بين أفراد الأسرة<sup>4</sup>.

بيّنت المشاهد الصخرية أن دور المرأة لم يقتصر على الإنجاب والجانب الديني فحسب بل تعداه إلى جوانب أخرى، حيث تبرز بعض المشاهد دورها في رعي المواشي وخدمة الأرض<sup>5</sup>، كما تشير بعض نظريات الأنثروبولوجيا الاجتماعية أن حق ملكية الأراضي ربما انتقل وتوارث عن طريق المرأة خلال المرحلة النيوليتية، حيث حظيت المرأة بمكانة هامة كونها كانت تعتبر رمزا للخصوبة والإنتاج، كما أنها إلى جانب دورها في جمع الطعام يعود إليها الفضل والأسبقية في ابتكار الزراعة وظلت المرأة لمدة هامة هي الفلاحة للأرض<sup>6</sup>، كما تظهر في مشاهد مرحلتي الحصان والجمل بحجم أكبر من الرجل ولعلها شاركت

<sup>1</sup> - A. Mostfai. (2013), « Les représentations féminines d'Ozan Ehérén (Tassili-n-Azzjer Sahara central) », dans : *Les Chaiers de L'AARS*, N°16, Paris, PP : 220,222.

<sup>2</sup> - J. L. Le Quellec. (1993), *Symbolise et art rupestre au Sahara*, Le Harmattan, Paris, PP : 199-200.

<sup>3</sup> - حسية صفريون. (2015)، « كيف كانت البربريات تلدن في الصحراء الوسطى منذ سبعة آلاف سنة»، *دراسات أثرية*، مجلد 13، عدد 1، ص: 22.

<sup>4</sup> - Cohen, 2007, op.cit., P : 102.

<sup>5</sup> - Hugot, 1974, op.cit., P : 91.

<sup>6</sup> - هاوكس، وولي، المرجع السابق، ص: 92-97.

الرجال في بعض الحروب والصراعات، حيث تظهر امرأة في احدى مشاهد الأكاكوس بمواصفات تشبه مواصفات الرجل تحمل نشابًا، ولعل جزءً من المشاهد الصخرية يكون من إنجاز المرأة نظرًا لتشابه ألوان وزخارف بعض المشاهد مع ألوان وزخارف الفخار الذي هو أساسًا من صنع النساء<sup>1</sup>.

احتلت المرأة أهمية كبيرة في المشاهد الصخرية عبر مختلف مراحل حياتها حيث يجسد مشهد بسيفار مجموعة من الرماة المحاربين يركعون أمام عجوز طاعنة في السن تبدو وكأنها تتوكلًا على عصًا، يضاف إليه مشهد في محطة وان دروبان بالتاسيلي تبدو فيه امرأة عجوز مرتكزة إلى عصى بظهر منحني تتجه نحو ثلاثة أشخاص تظهر عليهم ملامح الشجار، تبدو هذه العجوز وكأنها تتجه نحوهم لإيقاف النزاع<sup>2</sup>، يمثل هذا المشهد مبدأ الحكمة لدى المرأة الكبيرة ومبدأ الاحترام من طرف فئة الشباب، وعلى العموم يلاحظ لدى المجتمع الطارقي المعاصر المكانة الرفيعة للمرأة حيث يتوارث الأبناء المناصب والمال عن طريق الأم، لعل هذا ما ورثه المجتمع الطارقي عن المجتمعات التي عمرت الصحراء الوسطى خلال مرحلة ما قبل التاريخ وفجره<sup>3</sup>.



شكل 62: مشهد الإله الكبير والنساء الحوامل بسيفار

المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P : 60

<sup>1</sup>- Hugot, 1974, op.cit., P : 102.

<sup>2</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., PP : 120-121.

<sup>3</sup>- لخضر بن بوزيد. (2016/2015)، «حضارات الرعاة بالطاسيلي والهوقار من خلال الفن الصخري (6000 ق.م-1000 ق.م)»، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص: 270.



شكل 64: مشهد السيدة السوداء بسيفار  
المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, op.cit., P : 59



شكل 63: مشهد السيدة البيضاء بأنورحات  
المصدر: بن بوزيد، 2007، المرجع السابق، ص: 122



شكل 66: العيادة بموقع تين تزاريفت  
المصدر: صفيرون، ص: 23.



شكل 65: مشهد لساحر وسيدة حامل بأنورحات  
المصدر: Lhote, 1958, P : 134

### 3.5 مشاهد الأطفال

حرصت المجتمعات الرعوية منذ القديم على كثرة الأولاد حيث تعد قوة القبيلة وثروتها في كثرة عددها، فالنشاط الاقتصادي بكل أنواعه من رعي وتجارة وغيرها يحتاج إلى اليد العاملة، كما أن الحماية والدفاع عن الممتلكات والأرض يحتاج أكبر عدد من الأفراد، خاصة من فئة الرجال والشباب، لذلك طالما حرصت المجتمعات القديمة على كثرة الإنجاب، وفي هذا الشأن تثبت الجداريات العدد المتزايد لأفراد التجمعات البشرية، من خلال تركيز أغلب المواضيع على تمثيل الهيئات البشرية في شكل جماعي،

خاصة المشاهد الرعوية التي تجسد أعدادًا كبيرة من قطعان المواشي تحت قيادة عدة أشخاص<sup>1</sup>، وفي مشاهد أخرى تظهر الأم محاطة بعدد كبير من الأولاد، وهي مشاهد متعددة كما أنها تركز في الأغلب على تصوير النساء بدينات على الأرجح أن هذا النوع في نظر منجزى هذه المشاهد هو الأكثر خصوبة وأهمية<sup>2</sup>.

علّلت المشاهد الصخرية المكانة الاجتماعية للأطفال من خلال ربطهم بمشاهد الأمومة التي تدخل ضمن المشاهد العائلية<sup>3</sup> (شكل 69)، حيث تحتوي محطة أوزنياري على عدد من مشاهد لنساء رفقة أطفالهن، وفي سيفار توضح رسوم صخرية مشهدًا لامرأة حامل وبجانها رجل يشير كلاهما إلى عدد من الأولاد لاستدعائهم كنوع من التواصل الاجتماعي داخل الأسرة<sup>4</sup>.

يظهر في مشهد ثانٍ بسيفار رجل نائم وفوقه طفل صغير كنوع من التعبير عن الانسجام العائلي، كما يظهر في مشهد آخر بمحطة أوزنياري مجموعة من النساء رفقة أولادهن في وضعية صراع قد تُفسر أن هنالك شجار نشب بينهن لأجل الأطفال<sup>5</sup>، في حين يظهر في مشهد محطة إهران امرأة تحمل طفل صغير وحولها عدد من الرجال ينظرون إلى الطفل باهتمام ربما يعبر المشهد عن مناسبة اجتماعية معينة<sup>6</sup> (شكل 67).

توضح بعض الرسوم الصخرية مشاركة فئة الأطفال في بعض المراسيم الطقوسية حيث يبين مشهد محطة جبارين رسومات لنساء يصعدن إلى قمة الجبل رفقة عدد من الأطفال<sup>7</sup> (شكل 68)، ويلاحظ في إشارة للباحث كامبس إلى مشاركة الأطفال خلال المرحلة التاريخية في المراسيم الطقوسية المختلفة وأبرزها طقوس استدرار المطر<sup>8</sup>، ربما تفسر هذه الظاهرة التقرب الروحي من خلال نقاء

<sup>1</sup>- Lhote, 1971, op.cit., P : 107.

<sup>2</sup>- Mostfai, 2013, op.cit., P: 224.

<sup>3</sup>- الماجدي، المرجع السابق، ص ص: 82-83.

<sup>4</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., P: 112.

<sup>5</sup>- Lhote, 1958, op.cit., P: 134.

<sup>6</sup>- Ulrich W. Hallier, Brigitte C. Hallier (2009), «The People of Iheren and Tahilahi The World of Petroglyphs», *Stone Watch*, Part 39, P: 19.

<sup>7</sup>- Lhote, 1971, op.cit., P : 103.

<sup>8</sup>- G. Camps. S. Chaker. (1989), *Anzar*, Encyclopédie berbère (antilopes–Arzuges), V4, Paris, P : 796.

الأطفال وسلامة قلوبهم لغرض تحقيق رجاء الاستمرار، وفي مشهد آخر بمحطة أوان تماوت بالأكاكوس تظهر ساحرة يأتي إليها شخصان بفتاة صغيرة ربما لتتلقى منها المعارف السحرية والدينية، وقد يدل هذا المشهد على حرص الأسرة على تعليم أبنائها النظم الاجتماعية والروحية منذ الصغر<sup>1</sup>.

عثر بمنطقة تين هناكتن على هياكل عظمية لأربعة أطفال ما بين سن ستة أشهر إلى غاية ستة سنوات، مدفونة في غرف جنائزية مغلقة بالحجارة الملونة بالمغرة الحمراء والصفراء على شكل صناديق، إحدى هذه الهياكل ترتدي قلادة عظمية نسبت لطفل بعمر ستة أشهر، أرخت هذه الهياكل العظمية في حدود 5000 ق.م، كما توجي بالمكانة الهامة التي حظي بها الأطفال في مجتمعات ما قبل التاريخ في حياتهم وحتى بعد مماتهم<sup>2</sup>.

جسدت المشاهد الصخرية الأطفال بمختلف فئاتهم العمرية، منذ مرحلة الرضاعة وبداية سن المشي إلى حدود سن البلوغ، غير أن تمثيل الأعضاء الجنسية بالنسبة للأطفال غائب ولا يمكن تمييز الذكر عن الأنثى في أغلب المشاهد إلا من خلال الشعر والملابس بالنسبة للأطفال في حدود سن البلوغ<sup>3</sup>.



شكل 67: مشهد لمجموعة من الرجال حول امرأة تحمل طفلا بموقع اهران

المصدر: Hallier, 2009, P : 19

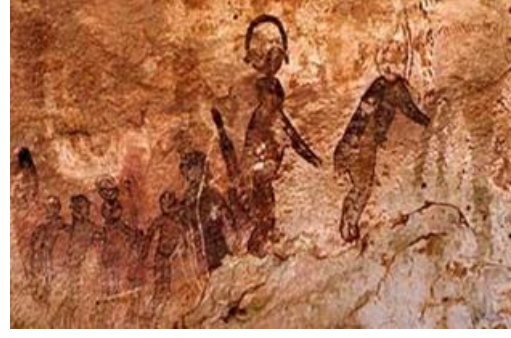
<sup>1</sup>- موري، المرجع السابق، ص: 114.

<sup>2</sup>- M. Hachid. (2001), « Le Tassili des Ajjjer : aux sources de l'Afrique 50 siècles avant les pyramides méditerranées », Édits, Paris, P : 129.

<sup>3</sup>- Mostfaï, 2013, op.cit., P : 226.



شكل 69: مشهد يوضح عاطفة الأمومة بين الأم وطفلها  
بموقع إيدانويين  
المصدر: Hallier, 2009, P : 35



شكل 68: مشهد لنساء يصعدن الجبل رفقة الأطفال  
المصدر: بن بوزيد، 2007، ص: 149

## 6. المشاهد الطقوسية

ارتبطت المظاهر الاجتماعية بالمظاهر الطقوسية ارتباطاً وثيقاً منذ القدم، حتى لا تكاد تنفصل عنها في شيء، وتظهر الملامح الطقوسية النابعة عن الشعور الروحي في عدد من الممارسات المقترنة بما تتطلبه الحياة من أساسيات الاستمرار، على غرار مظاهر تقديس المياه المرتبطة بمبدأ الخصوبة والإنتاج<sup>1</sup>، لذلك جسد الإنسان هذه العناصر في رموز دلالية تتمثل في تشبيه الأرض بالأنثى التي تخصب بمياه المطر فتنتج الثمر والزرع، حيث شبه باطن الأرض برحم المرأة لذلك اعتبرت بمثابة الأم التي أنجبت كل الكائنات الحية، وتعتبر الشعوب القديمة المطر ملقحاً للأرض، كما أن الماء يرمز إلى جانب ذلك إلى الإحياء والتجديد من خلال منحه الحياة للزرع والكائنات الحية المختلفة<sup>2</sup>.

تُرجمت مظاهر التقديس إلى جانب تقديم القرابين في شكل ممارسات تعبدية تجمع بين الخوف والرجاء، تبنتها الثقافة الشعبية وظلت رمزيها تنتقل بين الأجيال والمجتمعات إلى العصور الحديثة، من بينها طقوس استدراج المطر في المجتمعات القديمة التي تدل عليها المشاهد الصخرية التي تصور هيئات

<sup>1</sup> - فيليب سيرنج. (1992)، الرموز في الفن - الأديان - الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، ص: 351-355.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 361-362.

أدمية سابعة وحيوانات ضخمة لا تعيش إلا في وسط وفير المياه<sup>1</sup> (شكل 72، 73)، حيث كانت تُنجز مشاهدنا بأحجام كبيرة مقارنة مع نظيرتها التي تصور ذات الحيوانات بأحجام أقل، مثل مشاهد الفيلة وأفراس النهر والكركدن ويعد مشهد فيل منطقة إين إيتيان بالتاسيلي نازجر الذي يغطي مساحة 4م ارتفاعا ومشهد الفيلة الضخمة بهضبة المساك أبرزها، توحى هذه اللوحات بنوع من التقديس أو المشاعر الروحية لهؤلاء الأشخاص الذين كانوا يرون في هذه الأمور نوعا من الألوهية على الأغلب<sup>2</sup>.

تبرز مشاهد صخرية لهيئات بشرية أنثوية بمحطة جبارين يظهرن برؤوس طيور، كما تحمل نفس المحطة مشاهد لنبتات وسنابل ورمز أفعى برأسين مع رسم لهلال، اكتشفها لوت في رحلة بحثه سنة 1957م يوحى بتقديس لشخصية المرأة حيث يجعلونها بمقام الآلهة، ويضيف الباحث في مقارنته لهذه الهيئات بالآلهة المصرية ذات رؤوس الطيور على غرار الإله رع أكبر الآلهة المصرية والإله حورس إله السماء والإله جب إله الأرض، حيث يشير الباحث إلى علاقة هذه المشاهد في جبارين بالأرض والخصوبة والسماء، ويرى أن تبجيل المرأة يرفعها لمصاف الآلهة الكبرى ويربطها بالخصوبة والحياة بناءً على التشابه الذي يربطها بالآلهة المصرية وقد يكون هناك تشابه في المعتقد<sup>3</sup>.

ترتبط المشاهد الطقوسية بظاهرة السحر مثل مشاهد الهالة بين قرني الكباش وفي حالات نادرة بين قرني الثور، تحتوي بعض هذه المشاهد على نقوش لأشخاص بطول فارع ومقاسات كبيرة على الأرجح أنها تعبر عن الإله الأعظم (le grand dieu)، وتحتوي منطقة إن إيتيان بالتاسيلي نازجر على مثل هذا النوع من النقوش<sup>4</sup>، كما تُظهر بعض النقوش مشاهد لأقنعة رمزية في محطة تاشكالوات، وان سلامين، إن إيتيان، وان باندر، بالتاسيلي نازجر التي تعود إلى ما يسبق مرحلة الرعاة أو البقرات، ربما تنصب هي الأخرى ضمن موضوع التقديس<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - Perret, 1936, op.cit., P : 48.

<sup>2</sup> - Ibid-P-47.

<sup>3</sup> - Lhote, 1958, op.cit., P : 12.

<sup>4</sup> - Perret, 1936, op.cit., P : 47.

<sup>5</sup> - Lhote, 1966, op.cit., P : 276.

تحتوي مشاهد منطقة توكريمين بواد جرات في الجهة اليمنى من الواد، على مشهد لشخص عارٍ ينظر إلى الجهة اليسرى يبدو شكله مائلاً نحو الأمام، وتمتاز أطرافه بالطول، يثني ركبته ويرفعها حتى تكاد تلامس مرفقه على الأرجح أنه يؤدي رقصة معينة، يرفع ساعده إلى الأعلى وكأنه يطلب شيئاً ما، يضع على رأسه قرنين تشبهان قرني الضباء، على الأرجح أن هذا المشهد يدل على نشاط الصيد، كما تنتشر العديد من مشاهد الرقصات الطقوسية التي تعبر عن الجانب التعبدي في عدد من المواقع بمنطقة التاسيلي وما جاورها<sup>1</sup> (شكل 70، شكل 71).

تتمثل الطقوس المتعلقة بالخصوبة على الأرجح في المشاهد الجنسية التي تتضمن في معظمها هياكل بشرية تعتبر الأقدم من نوعها من حيث الطريقة التي أنجزت بها، وتظهر المواصفات الدكورية في معظم المشاهد بطريقة مبالغ فيها ربما تبرز ملامح القوة أو أنها تعد بمثابة رموز تمثيلية، بينما لا تبرز النقوش الجنس الأنثوي بشكل واضح، مع ذلك تركزت أهم المواضيع الدالة على الخصوبة في مشاهد الإناث ربما بسبب تصور معاصري هذه الفترة أن الأنثى هي واهبة الحياة على غرار عدد من الحضارات القديمة<sup>2</sup>.

قسم الباحثون المشاهد الجنسية إلى نوعين: نوع منجز بأسلوب واقعي تتحلّى فيه الهيئات المنجزة بأحجام منطقية، ونوع منجز بأسلوب غير منطقي خرافي تظهر فيه الشخصيات إما برؤوس حيوانية وأجساد بشرية أو تظهر الهيئات البشرية بأعضاء جنسية مبالغ فيها، وإما تظهر الهيئات البشرية على اقتران مع الحيوانات<sup>3</sup>، يزخر واد جرات بأكثر قدر من المشاهد الجنسية يعود أغلبها إلى المرحلة القديمة والمرحلة الرعوية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- Perret, 1936, op.cit., P : 48.

<sup>2</sup>- E H. Ezzi. (2006), « Élément d'une analyse sémiologique des gravures rupestres du Haut Atlas (Vallée de l'Ourika, Maroc) », <http://France-elsevier.com/direct/ANTHRO/>, P : 559.

<sup>3</sup>- بول فريشاو. (1999)، الجنس في العالم القديم، ترجمة فائق دحدوح، ج1، ط1، دار نينوى، بغداد، ص: 47.

<sup>4</sup>- Le Quellec, 1993, op.cit., P : 342.

تحتوي مواقع سيفار، أنورحات، أوزان إهيري، تادرات أككوس، فزان وعدد من المحطات المتفرقة من الصحراء الوسطى على رسومات جنسية متعددة، اتسمت مشاهد هذه المواقع المذكورة بالتشابه فيما بينها كما أن أغلبها مرفوق برموز وأصاحي من مواشي مستأنسة وخاصة الأبقار، ربما تكون بمثابة قرابين وبذلك يمكن القول بأن هذه المشاهد تحمل بعداً دينياً عقائدياً<sup>1</sup>.

اختلف الباحثون في تفسير هذه المشاهد حيث يرى لوكلاك (Le Quellec) أنها مشاهد رمزية يقصد بها الإشارة إلى غرض معين ولا يمكن أن تكون مشاهد انحلالية بناءً على أن معظمها تصور العنصر الأنثوي في حالة عدم اكتراث أثناء الاقتران<sup>2</sup>، فيما يشير الباحث لاجو (Lajoux) إلى أن لهذه المشاهد علاقة وطيدة مع تقديس الحياة والاهتمام بتكاثر الجنس البشري، حتى المشاهد الجنسية للحيوانات تعتبر في نظر لاجو تقديساً لزيادة إنتاج القطعان المستأنسة<sup>3</sup>.

يرى القس بروي أن المشاهد الجنسية إنما تعبر عن هوس جنسي سيطر على أفكار منجزها<sup>4</sup>، ولا يتفق معه في هذا الرأي أغلب الباحثين، أما عن مليكة حشيد فتعتقد أن هذه المشاهد قد تدل على قوى غيبية شريرة تلبست منجزها هذه الرسومات وحرفت أفكارهم ليقدموا مثل هذه الأمور الغير منطقية في رأيها<sup>5</sup>، بالمقابل اتفق أغلب الباحثين في ميدان الفن الصخري على أن هذه المشاهد لا تعبر بكل تأكيد على انحلال أو شذوذ، وإنما تدل على أمور أكبر وأعمق لا بد أن تكون لها علاقة مع الجانب الروحي وتقديس الخصوبة لضمان الاستمرار، لذلك ركز منجزها هذه المشاهد على تضخيم حجم الأنثى وتشبيهها بالأرض الخصبة.

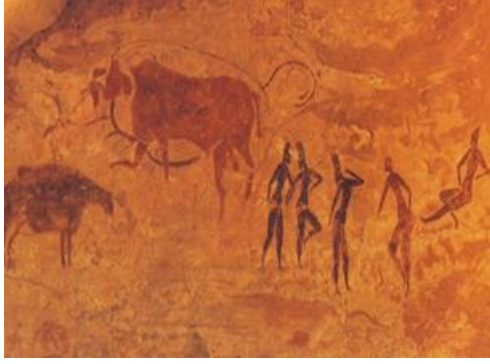
<sup>1</sup>- موري، المرجع السابق، ص ص: 77-97.

<sup>2</sup>- Le Quellec, 1993, op.cit., P : 373.

<sup>3</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., P : 103.

<sup>4</sup>- Le Quellec, 1993, op.cit., P : 373.

<sup>5</sup>- Hachid, 1998, op.cit., P : 261.



شكل 71: رقص طقوسي لنساء مع وجود أبقار ورموز أفغوانية

المصدر: Hachid, 1998, P 350



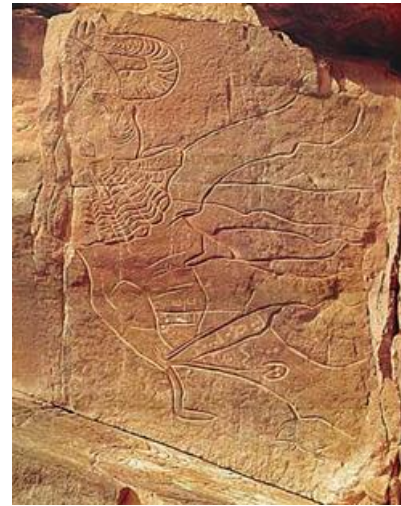
شكل 70: مشهد لرقصات طقوسية من مشاهد واد عكي بالأكاكوس

المصدر: باول جراتسيوسي . ( 2015)، «دليل الفن الصخري، لوحات وتاريخ»، ترجمة أنس أبو ميس، في: تاريخ ليبيا-الصحراء المنسية، ص: 25، [www.History.ly](http://www.History.ly)



شكل 73: مشهد لهيئات سابحة وأخرى في حالة تعبد وصيد

المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, op.cit., PP :142-143



شكل 72: مشهد لفيلة ضخمة

بموقع المساك

المصدر: [www.opvm.dz](http://www.opvm.dz)

## 7. مشاهد الحياة اليومية

تتضمن العديد من المشاهد الصخرية مواضيع توضح نوعية النشاط اليومي للسكان من رعي وصيد وفي بعض الأحيان مشاهد الحروب والصراعات، كما يبدو في بعض المواضيع الأشخاص وكأنهم يمارسون حياتهم على ضفاف بحيرات كبيرة أو أنهار في شكل مجموعات منظمة، ما يدل على أن مجتمعات ما قبل التاريخ كانت تخضع لضوابط وربما لقوانين<sup>1</sup>، وتجدر الإشارة إلى أن مواضيع المشاهد اليومية تختلف حسب اختلاف مراحل الفن الصخري التي أشرنا إليها ضمن الفصل الثالث ونحاول فيما يلي تسليط الضوء على أبرزها:

## 1.7 مشاهد مرحلة القنص والحياة البرية القديمة:

تغلب عليها مشاهد الحيوانات المتوحشة مثل الجواميس، الفيلة، أفراس النهر والكركدن، إضافة إلى الضباء من النوع الأسمر الجبلي وضباء السافانا البيضاء، الغزلان والحيوانات السنورية، وتعد نقوش الزراف والنعام من بين أكثر المشاهد تمثيلاً حتى في المراحل اللاحقة (شكل 76، شكل 77)، يضاف إليها بعض الأشكال الحلزونية التي تدل ربما على أنواع من الثعابين الكبرى، وفي هذا الصدد يشير هيوارد (Huard) إلى بعض النقوش في منطقة تين تولولت الموجودة في أعالي واد جرات نحو الشمال، التي تتضمن أشكالاً حلزونية تزين أجسام الحيوانات بعضها يصل قطره إلى حوالي 30 سم منجزة بواسطة الحز الغائر، ويضيف الباحث مجموعة من النقوش الحلزونية المنجزة بواسطة النقر في أشكال توجي على أنها مشاهد لأنواع من الطيور<sup>2</sup>.

تظهر مشاهد معظم الحيوانات البرية الضخمة في الفترة التي تقابل المرحلة الرطبة بالمقابل تختفي مشاهد عدة أصناف منها في فترة الجفاف<sup>3</sup>، وتعد نقوش الجواميس في هذه المرحلة الأقدم من نوعها وتشكل مشاهدتها نسبة 50% من مجموع النقوش الصخرية بواد جرات لوحده، تتضمن هذه

<sup>1</sup>- بشي، ج4، المرجع السابق، ص: 58.

<sup>2</sup>- Allard-Huard, 1993, op.cit., P : 251.

<sup>3</sup>- Muzzolini, 1981, op.cit., P : 126.

النسبة حوالي 120 نسخة من الجاموس العتيق، 119 نسخة من الكركدن، 96 نسخة من الفيلة، 22 نسخة من أفراس النهر، 53 نسخة من الزراف<sup>1</sup>.

تحتوي المرحلة القديمة إضافة إلى مشاهد الحيوانات الضخمة، على عدة مشاهد للنعام والأحمر البرية، وعدد من الثيران بشكل قطعان أو فرادى، أنجزت معظم نقوش الحيوانات في هذه المرحلة بمقاسات كبيرة وبملاحق قريبة جداً من الواقعية في عدد من محطات النقوش الصخرية بمنطقة التاسيلي<sup>2</sup>، سميت هذه المرحلة من طرف أغلب الباحثين بمرحلة الجاموس العتيق نسبة إلى هذا الحيوان الذي تراجع مشاهدته في المراحل الأخرى، تسمى كذلك بمرحلة الصيادين نسبة لكثرة مشاهد الصيد، وتتخذ نقوش هذه المرحلة زنجرة ذات لون داكن<sup>3</sup>.

يرى كل من هيوار (P. Huard) وألار (L. Allard) أن مرحلة الصيادين تتزامن مع فترة الاعتدال المناخي بشمال إفريقيا، حيث عرفت الصحراء الوسطى في هذه الفترة غطاءً حيوانياً متنوعاً تتجلى أنواعه في مشاهد النقوش الصخرية، وتركزت أهم مظاهر الحياة اليومية في نشاط الصيد الذي يمكن الاستدلال عليه من خلال مشاهد الأسلحة المتنوعة مثل: العصي، الرماح، الحبال (شكل 74) إضافة إلى مشاهد القنص التي تبرز ملاحق القوة والمقاومة، وتظهر في نهاية هذه المرحلة ملاحق الصيادين الرعاة التي تدل ربما على بداية استئناس بعض الفصائل الحيوانية بأعداد قليلة<sup>4</sup> (شكل 75).

توحي مشاهد الصيد بالقدرة على العمل الجماعي المنظم في إدارة عملية الصيد والقنص، حيث استطاع الإنسان الصياد أن يسخر الطبيعة لصالحه، وتعد هذه الظاهرة بمثابة خطوة أولية مهدت لإتقان عملية الاستئناس والزراعة<sup>5</sup>، كما تثبت حاجة الإنسان إلى التعاون الجماعي وتبادل الخبرات من أجل ضمان الاستمرار.

<sup>1</sup>- H. Lhote. (1960), «Mission Lhote du Tassili N'Ajjer (janvier- juillet 1959) », N°35, Hutchison, France, P : 204.

<sup>2</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 274.

<sup>3</sup>- Lhote, 1960, op.cit., PP : 204-205.

<sup>4</sup>- Huard, Allard, 1977, op.cit., PP : 643-644.

<sup>5</sup>- بشي، ج4، المرجع السابق، ص: 39.

تتركز أهم المشاهد الصخرية لمرحلة الصيادين في ثلاث مناطق أساسية في شمال إفريقيا تتمثل في: منطقة النيل، الصحراء الوسطى، الأطلس الصحراوي، ويعد واد جرات بالتاسيلي نازجر بقلب الصحراء الوسطى أهم موقع يحفل بمثل هذا النوع من المشاهد ويمكن أن يضاف إليه مواقع أخرى مجاورة على غرار فزان الجنوبية الغربية ومرتفعات أكاكوس، إضافة إلى الهقار الجنوبي الشرقي، أدبت معظم هذه النقوش بحزوز عميقة على شكل حرف U أو V بحسب الأداة المستعملة وفي أحيان قليلة أُستعملت فيها تقنيات التنقيط<sup>1</sup>.

ينفرد واد جرات بمشاهد أفراس النهر إذا ما قورن بالجنوب الوهراني، إضافة إلى نقوش الأسد التي تميز مشاهد جرات بالمقابل لا توجد منها إلا نسخ قليلة بالجنوب الوهراني، وتزين مشاهد الحيوانات في المنطقة الأولى في العادة بنقوش حلزونية، وعلى بعض هذه المشاهد أنجزت نقوش أخرى منها ما يعود إلى فترة البقریات، ومنها ما ينسب إلى مرحلة الحصان والجمل<sup>2</sup>.

قسم هيوار نقوش مرحلة الصيادين بمنطقة فزان والتاسيلي إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول تظهر فيه صور الحيوانات بأحجام كبيرة وحزوز غائرة لكن تفاصيلها ناقصة، أما الثاني فيحتوي على نقوش منجزة على واجهات مصقولة، ويعتبر الثالث أكثر حداثة من الأول والثاني ومعاصر لبداية مرحلة الرعاة نقوشه منجزة بحزوز رفيعة بواسطة تقنية التنقيط بمقاييس لا تتعدى 1 م عموماً، كما أنجزت المشاهد الأدمية بمقاسات كبيرة يصل ارتفاعها إلى 3 م تقريباً وفي بعض الحالات القليلة يتجاوز هذه النسبة حيث وجد مشهد لأحد النقوش الأدمية بطول فارغ يصل إلى 7 م في منطقة جبارين بالتاسيلي نازجر<sup>3</sup>.

يضيف كامبس مشاهد الرؤوس المستديرة التي يمكن أن تكون معاصرة لمرحلة الصيادين أو مرحلة الجواميس، يظهر في هذا النوع من المشاهد أشخاص بمقاييس معتبرة وأطراف ملتوية، ويجسد

<sup>1</sup>- Huard, Allard, 1977, op.cit., P : 645.

<sup>2</sup>- Lhote, 1960, op.cit., P : 205.

<sup>3</sup>-Lhote, 1960, op.cit., P : 205.

الوجه بخطوط وفي بعض الأحيان بأشكال هندسية غير مطابقة للواقع، ويلاحظ أن هذا النوع قليل بالنسبة للنقوش في حين يميز مشاهد الرسوم بأعداد كثيرة<sup>1</sup>.

تستمر مشاهد الرؤوس المستديرة على فترة طويلة انتقلت فيها من الرداءة إلى التجسيد الأكثر واقعية، وأصبحت تفاصيل الجسم تؤدي بطريقة أكثر إتقاناً، تصنف مشاهد هذا النوع حسب أقدميتها ووضعيتها ولون خطوطها، وتظهر في نهاية هذه المرحلة مشاهد لأشخاص بمقاسات صغيرة برؤوس قرصية مزودين في بعض الحالات بقرون وأجنحة، يؤرخها موري (F. Mori) في حدود 7000 ق.م أغلبها تشير إلى أشخاص زنوج في منطقة التاسيلي، لذلك صنفها ضمن النيوليتي الصحراوي ذي التقاليد السودانية، تفسر كل هذه المشاهد الذهنية الثقافية للمجموعات البشرية معمرية هذه الفترة<sup>2</sup>.



شكل 75: مشهد من مرحلة الصيادين يوجي ببداية استئناس قطعان بعدد قليل بسيفار

المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P : 165



شكل 74: مشهد لصيادين يحملون حبلا وأقواس وعصي بسيفار

المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P : 165

<sup>1</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 258.

<sup>2</sup>- Ibid., P: 259.



شكل 77: مشهد لزراف من المرحلة القديمة بموقع تين تزاريفت

المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P :98



شكل 76: مشهد لأروية من المرحلة القديمة بالتاسيلي

المصدر: [www.opvm.dz](http://www.opvm.dz)

## 2.7 مشاهد مرحلة الاستئناس والرعي:

يعد الاستئناس أحد أهم النشاطات البشرية المميزة للفترة النيوليتية، حيث تدل نتائج التحاليل التي أجريت على البقايا العظمية لبعض الأنواع الحيوانية المكتشفة بالقرب من مواقع الفن الصخري، على شيوع هذه الظاهرة خلال العصر الحجري الحديث، ويمكن مقابلة هذه النتائج مع مشاهد النقوش والرسوم الصخرية من أجل الحصول على دلائل أكثر دقة حول هذا النشاط<sup>1</sup>، تقابل هذه المرحلة فترة الرعاة الصحراويين القادمين من الشرق الذين عرفوا استئناس البقر، الأغنام والماعز، وظلت حرفة الرعي منذ هذه الفترة بمثابة تقليد أزلي لبدو الصحراء لمدة طويلة، لاتزال تمارس إلى غاية اليوم من طرف العديد من الإثنيات الصحراوية، من بينها قبائل الطوارق التي لازالت تعمر المناطق المحاذية لمرتفعات التاسيلي حالياً<sup>2</sup>.

تعد الأبقار أكثر الحيوانات تمثيلاً في أواخر الفترة الرطبة (شكل 78، 80)، التي تتزامن مع بداية مرحلة الاستئناس، تظهر فيها مشاهد لأبقار لا يكتمل إطار أرجلها، جسدت بخطين مفتوحين من

<sup>1</sup>- Camps Fabrer, 1966, op.cit., P : 2.

<sup>2</sup>- Lhote, 1972, op.cit., PP : 504-506.

الأسفل وفي بعض الحالات رسمت وكأنها مغروسة في الماء<sup>1</sup>، وتظهر الأبقار في الغالب في شكل قطعان أو بشكل ثنائيات مع صغارها، كما ركز منجزها على إبراز قرونها فتظهر أحيانا منحنية نحو الأمام، أو ملتوية وفي بعض الحالات تبدو مشوهة، وفي حالات كثيرة تنجز أطواق حول رقابها كدليل على أنها أنواع مستأنسة<sup>2</sup>.

تظهر الحيوانات وخاصة المستأنسة في وضعيات الحركة أو الجلوس تطوي قوائمها تحت أجسامها، إلى جانبها تظهر نقوش لأغنام وماعر امتدت مشاهدها لتعاصر مرحلة الحصان والجمال، في حين تراجعت مشاهد الأبقار في الفترة التي تقابل بداية تحول المناخ من الرطب إلى الجاف، بالنسبة للماعز لم يراعى في إنجازها وضعية الرأس والرقبة بمعنى أنها تبدو في معظم مشاهدها منحرفة وغير مستوية مع وضعية الجسم<sup>3</sup>.

يلاحظ غياب مشاهد الأغنام بين مشاهد المرحلة القديمة بمنطقة التاسيلي نازجر، بالمقابل تظهر نقوش هذا النوع خلال فترة البقریات، لتنتشر مشاهدها بشكل واسع في الفترة التي تراجعت فيها مشاهد الأبقار كدليل على احتلال الأغنام صدارة الاهتمام لدى الرعاة كونها الصنف الأكثر تأقلمًا مع بيئة قليلة الحشائش والمياه إلى جانب الماعز<sup>4</sup>، وفي هذا الصدد يشير بعض الباحثين إلى حيوان الكبش الذي عثر له على بعض المشاهد النادرة خلال فترة الجاموس على أنه حيوان بري هذا ما ذهب إليه كل من كانيلون وبروي (L. Breuil et H. Kunlun)، في حين يعتبره ميزولييني (A. Muzzolini) أليفًا ومستأنسًا، وأن مشاهده ضمن مرحلة الجاموس تدل على الممارسة المبكرة لاستئناس هذا النوع<sup>5</sup>.

سميت مرحلة الاستئناس بمرحلة البقریات وذلك لكثرة مشاهدها، كما تسمى أيضا بمرحلة الرعاة نسبة إلى النقلة النوعية التي شهدتها الجماعات البشرية من حياة القنص والالتقاط إلى حياة الاستئناس (شكل 79)، لكن لم تقتصر هذه المرحلة على نشاط الرعي لوحده وإنما حافظ سكانها على نشاط

<sup>1</sup>- Muzzolini, 1981, op.cit., P : 125.

<sup>2</sup>- Lhote, 1960, op.cit., P : 206.

<sup>3</sup>- Camps Fabrer, 1966, op.cit., P : 235.

<sup>4</sup>- Lhote, 1967, op.cit., P : 218.

<sup>5</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 14-15.

الصيد، إضافة إلى الزراعة ومن بين الدلائل التي تشير على محليتها في منطقة التاسيلي والصحراء الوسطى، بقايا النباتات المستأنسة قديماً المتمثلة في حبوب الطلع المتحجرة التي عثر عليها في عدة مواقع أثرية بالصحراء الوسطى، إضافة إلى بقايا النباتات التي عثر عليها على مستوى الأواني الفخارية المنسوبة إلى هذه الفترة<sup>1</sup>.

تغطي منطقة التاسيلي فخاريات كثيرة من الطراز الصحراوي ذي التقاليد السودانية، كدليل على حرفة الصناعة الفخارية المنتشرة خلال هذه المرحلة، ويشير عدد من الباحثين إلى أن الزراعة مرتبطة بحرفة الفخار، كما تظهر مشاهد النقوش الصخرية تقسيم الأرض إلى حقول على شكل خطوط متوازية تشبه فصوص الفاصولياء تستمر هذه المشاهد إلى غاية فترة الجمل<sup>2</sup>.

تحتوي مرحلة الرعاة إلى جانب المشاهد الحيوانية على مشاهد آدمية غير كاملة في أغلب اللوحات، تتميز فيها النساء بشعر طويل، أما الرجال فيظهرون في أغلب المشاهد بلحي تزين وجوههم، أما الرؤوس دائماً مستديرة مع نوع من العناية والإتقان<sup>3</sup>.

يظهر على مستوى نقوش التاسيلي في مرحلة الرعاة، جنسين من البشر أحدهما زنجي ربما يكونون من فئة العبيد والآخر أبيض قد يكونون من فئة الأسياد، مسلحين بالعصي والرماح إضافة إلى بعض الأقواس ثلاثية الانحناء، يزينون رؤوسهم بريش الطيور وفي بعض الأحيان يضعون قروناً (شكل 81)، كما تتضمن ذات المرحلة مشاهد لأيدي وأرجل بشرية يرجح أنها تعود إلى الرعاة منجزها، وتظهر الأيدي في بعض الحالات بستة أصابع بمعنى يضاف إصبع زائد إلى أصابع اليد الطبيعية، يرجح أنها تعد بمثابة رموز معبرة عن السياسة الاجتماعية الرعوية للإثنيات البشرية التي قامت بإنجاز هذه المشاهد<sup>4</sup>.

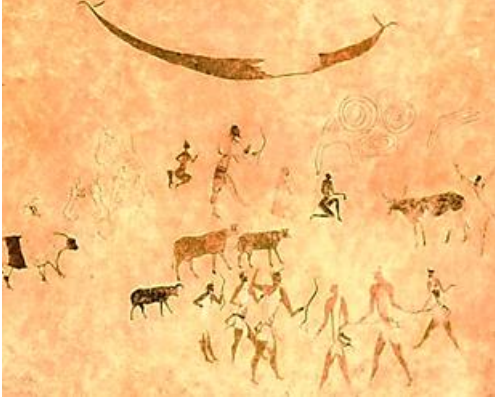
<sup>1</sup>- H. Camps Fabrer. (1972), « Perspectives et orientation des recherches sur le néolithique Saharien », dans : *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, N° 11, France, P : 26.

<sup>2</sup>- Muzzolini, 1981, op.cit., P : 125.

<sup>3</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 245.

<sup>4</sup>- Lhote, 1972, op.cit., P : 504-506.

تظهر في نهاية مرحلة الرعاة مشاهد لثيران تجر عربات ثنائية العجلات أرخت في حدود الألف الثانية قبل الميلاد، ويمكن الاستدلال على أن هذه الأقوام هي شعوب راعية من خلال ما خلفته من آثار العتاد الرعوي في عدة مواقع من التاسيلي نازجر إضافة إلى مشاهد النقوش والرسوم الصخرية<sup>1</sup>.



شكل 79: مشهد رعوي مع رموز حلزونية بموقع جبارين  
المصدر: Sébe, 1991, P : 77



شكل 78: مشهد لرعي الأبقار غرب التاسيلي  
المصدر: Hallier, 2009, P : 35



شكل 81: مشهد لرعاة من الزنوج وضعية تأدية رقصات طقوسية بسيفار  
المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P : 90



شكل 80: قطيع من الأبقار المدجنة بموقع جبارين  
المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P : 163

<sup>1</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 247.

## 3.7 مشاهد مرحلة الحصان والعربات:

ظهرت هذه المشاهد مباشرة بعد مرحلة الرعاة، واقتربت نقوش العربات بنقوش الحصان في أغلب اللوحات، لذلك سميت بفترة الحصان أو الخيليات تسمى كذلك بفترة العربات، تقابل هذه المرحلة نهاية الفترة النيوليتية وبداية فترة فجر التاريخ<sup>1</sup>، أغلب نقوشها منجزة بطريقة التنقيط المنتظم الذي غالبا ما يملأ مساحة الجسم، إضافة إلى مشاهد الحصان استمرت مشاهد الزراف والنعام والأسود والضباء، ومشاهد صيد الثيران البرية، كما تظهر مشاهد لأشخاص مسلحين بالأقواس، السهام، والدروع المشابهة لتلك التي يستخدمها الطوارق اليوم لغرض الاستعراض والزينة<sup>2</sup>. يعد ظهور الحصان متأخرا في المنطقة الصحراوية، كما تعد مشاهد مرحلي الحصان والجمل قليلة مقارنة بنقوش مرحلة الجاموس العتيق والرعاة لعل ذلك راجع لقصر الفترة التي عمرت فيها<sup>3</sup>، وتختلف مشاهد مرحلة الحصان عن سابقتها من حيث أسلوب وتقنية الإنجاز، كما تميزت مشاهد الحصان في البداية بالإتقان والواقعية في حين يغلب عليها التجريد والرداءة في نهاية المرحلة، تقترب مشاهد الحصان بالعربات في بعض الحالات وفي حالات أخرى يظهر بشكل فردي أو ممتطى أثناء صيد الجواميس بمساعدة ثلاثة كلاب في الغالب<sup>4</sup>.

صنف علماء آثار ما قبل التاريخ خيليات هذه المنطقة إلى خمسة أنواع تتمثل في: ثلاثة أنواع بالنسبة للخيليات ذات اللون الواحد وتتمثل في الأصناف التالية: Equus, Hemionus, Asinus، واثنين منها بالنسبة للخيليات ذات الجلد المخطط أو المموج: Dolichohippus, Hippotigris، وتوضح مشاهد الفن الصخري هذه الأصناف من خلال حجم الجسم طول القوائم، نوع الجلد (شكل

5(82)

<sup>1</sup> - Lhote, 1982, op.cit., P : 2.

<sup>2</sup> - Lhote, 1960, op.cit., P : 206.

<sup>3</sup> - Lhote, 1967, op.cit., P : 216.

<sup>4</sup> - Camps, 1974, op.cit., P : 260.

<sup>5</sup> - G. Camps. (1984), « Quelques réflexions sur la représentation des Equidés dans l'art rupestre Nord-Africain et Saharien », dans : *Bulletin de la Société Préhistorique Française*, T 81, N°10-12, France, P : 370.

يرجح معظم الباحثين أن الحصان المستأنس Caballus ينتمي إلى عائلة الخيليات من نوع Equus، ويعود تاريخ ظهوره بشمال إفريقيا إلى نهاية النيوليتي في حدود 2000 ق.م، وهو من بين أكثر الخيليات تمثيلاً في اللوحات الصخرية بالمنطقة، بالمقابل لا يظهر أي مشهد للحصان قبل ظهور العربات بالتاسيلي، وفي هذا الصدد فسّر لوت سبب غياب هذا النوع عن لوحات المرحلة الطبيعية كون المنطقة ليست على الأرجح الموطن الأصلي لهذا الصنف المستأنس، في حين كانت سابقاً موطناً لأنواع البرية المتوحشة<sup>1</sup>.

يشير فوفري (Vaufrey) إلى أن تاريخ دخول الحصان إلى منطقة شمال إفريقيا يعود إلى حدود 3900 ± 150 ق.م حسب تحاليل C<sub>14</sub>، أما عن تأخر مشاهدته فيرجح أن سكان المنطقة لم يعرفوا استئناس هذا النوع إلا بعد فترة من استئناس أنواع أخرى، ومن بين الخيليات الأكثر تمثيلاً يذكر كامبس الحمار الإفريقي الذي عمر المنطقة منذ بداية الهولوسين، وظهر في البداية منه صنفان: الخيليات الموريتانية وخيليات إفريقيا الاستوائية، استمرت أنواع هذا الصنف إلى غاية الحقبة التاريخية، وتعد أجمل مشاهدته وأقربها إلى الحقيقة تلك التي تظهر ضمن مشهد القنص الذي تصوره فسيفساء عناية التي يعود تاريخها إلى القرن IV أو V ق.م، إضافة إلى بعض النقوش التي تبرز مشاهد قنص هذا الحيوان بالتاسيلي نازجر<sup>2</sup>.

يعود تاريخ ظهور العربات لأول مرة إلى سنة 1200 ق.م، في دلتا النيل المصرية حسب ما توضحه نقوش المقبرة الملكية بواد الملوك<sup>3</sup>، بعدها امتدت هذه المشاهد نحو الغرب حيث تظهر نقوشها في كل من فزان، مرتفعات الأكاكوس، التاسيلي نازجر، الهقار، مرتفعات الأير والجبال الموريتانية إلى غاية المغرب الأقصى، وتؤرخ هذه الأخيرة في منطقة شمال إفريقيا في حدود الألف الأولى قبل الميلاد إلى غاية فجر التاريخ<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- Camps, 1984, op.cit., P : 371.

<sup>2</sup>- Ibid., PP : 372-375.

<sup>3</sup>- Le Quellec, 2006, op.cit., P : 124.

<sup>4</sup>- Lhote, 1982, op.cit., P : 3.

تظهر نقوش التاسيلي مدى بساطة العربات حيث تبدو على أنها تحتوي على لوح أفقي مزود بحواف من الخشب، على شكل علبة مفتوحة من الجزء العلوي مزودة بأحزمة جلدية، وتعد هذه العربات بسيطة إذا ما قورنت بنظيرتها المصرية، حيث يشير كامبس على أنها وفقاً لتركيبها لا تتجاوز مسافة 30 كلم، على الأرجح أنها لم تستخدم للتنقل وإنما استخدمت لأغراض الصيد والحروب (شكل 85)، ولا بد أن تكون هذه الحروب من أجل السيطرة على نقاط الماء بفعل نقصها في هذه الفترة المقابلة لفترة الجفاف القاسية التي اجتاحت الصحراء (شكل 83)، بدليل تراجع الزراعة وكثرة استخدام قرب الجلود لتخزين المياه، أما العربات التي تجرها الثيران ينفي تماماً أنها استخدمت في الحروب وذلك لبطء حركتها وعلى الأرجح أنها أستخدمت لنقل بعض المواد<sup>1</sup> (شكل 84).

شهدت ملامح الحياة اليومية مظاهر الصراع في عدد من المحطات على غرار سيفار، تين تزاريفت، إيدوتيسوكاي، إن إتيان، تين أبهار، أوزنياري، جرات وغيرها، حيث يظهر في بعض المشاهد صراع بين عدد من الرماة خلال مراحل مختلفة: تشير الصراعات خلال المرحلة الرعوية على الأغلب على التنافس على الماء أو الإغارة على القبائل والقطعان، بينما يرد أفراد القبائل للدفاع عن ممتلكاتهم، بالمقابل تشير الصراعات خلال مرحلة العربات والجمال على الأغلب إلى التنافس حول المجال الحيوي ومصادر المياه، خصوصاً وأن هاته المرحلة تتزامن مع فترات الجفاف التي آل إليها المناخ بالصحراء مع نهاية المرحلة النيوليتية<sup>2</sup> (شكل 86).

اتسم منتصف ونهاية مرحلة العربات برداءة الأسلوب بالنسبة لمختلف المشاهد، حيث تبدو مشاهد لأشخاص بأجسام غير كاملة، إضافة إلى تراجع مشاهد الحيوانات المختلفة كما فقدت المشاهد لحيويتها وحركيتها وبدأ يطرأ عليها طابع الجمود، وظهرت في أواخر هذه الفترة بعض الرموز

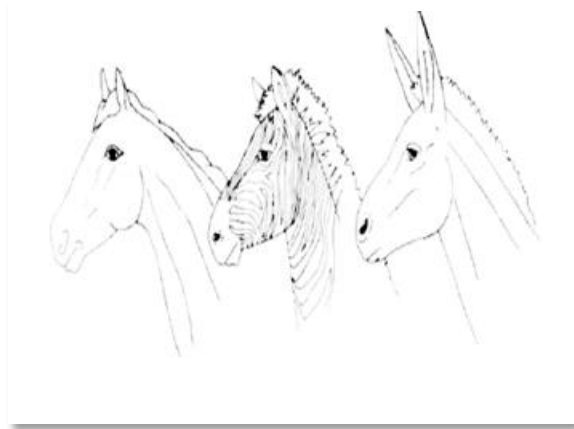
<sup>1</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 261.

<sup>2</sup>- Lajoux, 1977, op.cit., PP : 134-135.

الليبية البرية، وبدأ الجمل يأخذ محل الحصان كون طبيعة هذا الحيوان تتلاءم مع قساوة الظروف البيئية التي آلت إليها الصحراء في نهاية النيوليتي، من جفاف وارتفاع في درجات الحرارة ونقص المياه<sup>1</sup>.



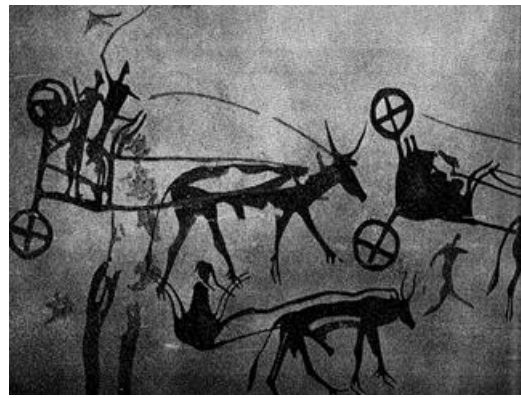
شكل 83: مشهد لمحارب ليبي يقود عربة يجرها  
حصان بواد جرات  
المصدر: Lhote, 1982, P : 108



شكل 82: أنواع الخيليات من نقوش مرحلة  
الأحصنة بمنطقة التاسيلي  
المصدر: Camps, 1984, P : 280



شكل 85: مشهد ر لعربة وأحصنة وعدد من  
المواشي بالتاسيلي  
المصدر: Lhote, 1982, P : 114



شكل 84: مشهد لعربة يجرها ثور بواد جرات  
المصدر: Lhote, 1982, P : 78

<sup>1</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 261.



شكل 86: مشهد صراع بين الرماة بسيفار

المصدر: Sébe, 1991, P : 70

## 4.7 مشاهد مرحلة الجمل:

تتداخل مشاهد مرحلة الجمل مع مشاهد مرحلة الحصان، ولا يمكن تحديد تاريخ مضبوط لبداية هذه المرحلة<sup>1</sup>، أما عن أهم الدلائل لدخول الجمل إلى الصحراء الوسطى وما جاورها فتظهر من خلال مشاهد النقوش الصخرية، ويعد دخوله إلى المنطقة على العموم متأخرا في الفترة الوجيزة التي تسبق فجر التاريخ، وتقترن مشاهدته بمشاهد الكتابة الصخرية الصحراوية التي أرخت في حوالي 1500 أو 1000 ق.م.<sup>2</sup>.

تتزامن مرحلة الجمل مع فترة دخول الفينيقيين إلى منطقة شمال إفريقيا، وتظهر مشاهد الجمل بشكل واسع على مستوى واد جرات حيث رسم الحصان والجمل على نفس الطبقات، إضافة إلى أن النقوش منجزة بنفس التقنية والأسلوب، كما استمرت مشاهد العربات والأسلحة في الوقت الذي تراجعت فيه مشاهد الحصان<sup>3</sup>، وتزايدت في هذه الفترة نقوش الأحذية المربوطة بخيوط من الجلد (شكل 90)، وتتميز مشاهد مرحلة الجمل بزنجرة فاتحة اللون، وقد ارتبط تواجد الجمل في كل من إيليزي

<sup>1</sup>- Lhote, 1960, op.cit., P : 206.

<sup>2</sup>- Demougeot, 1960, op.cit., P :

<sup>3</sup>- Lhote, 1960, op.cit., P : 207.

وفزان بقبائل الجرامنت التي أشار إليها هيرودوت، وهي ذات القبائل التي عمرت التاسيلي والهقار في حدود 1200 أو 1000 ق.م.<sup>1</sup>

ركزت أغلب النقوش على تصوير الجمل من الناحية اليسرى بمقاييس متوسطة وبأسلوب هندسي تخطيطي (شكل 87)، ولا تظهر مشاهد الجمل إلى جانب الحصان إلا في حالات قليلة (شكل 88)، في حين ترتبط مشاهد بلوحات المحارين الليبيين ذوي الرؤوس المستديرة وتسريحات شعر على شكل ضفائر مزينة بريش الطيور (شكل 89)، يمكن أن يكون هؤلاء المحارين من الجرامنت.<sup>2</sup>

طرح في الوسط العلمي إشكالية إدخال الجمل إلى الصحراء الوسطى إما عن طريق المصريين أو عن طريق العرب؟، تنسب أقدم مشاهد الجمل في شمال إفريقيا إلى مواقع الفن الصخري بالصحراء الشرقية، في فترة تسبق دخول الرومان إلى المنطقة، هذا ما جعل المختصين ينفون فرضية إدخاله عن طريق العرب الذين قدموا إلى المنطقة بعد الرومان.<sup>3</sup>

يرى دوموقو (Demougeot) أن الجمل دخل الصحراء الوسطى من الشرق أي من السودان ومصر بحكم أسبقية ظهوره بهذه المناطق، عن طريق اتصال قبائل الناسامونس والجرامنت الليبية بالقبائل المصرية والسودانية، خصوصا وأنهم سجلوا هذا الاتصال قبلا منذ فترة الأحصنة والعربات، كما أن المصريين عرفوا استئناس الجمل منذ عهد الفراعنة الأوائل (مصر القديمة) غير أن استعماله لم يتعدى أغراض النقل، ويضاف في هذا الصدد أن الجرامنت من جنس البشرية الفاتحة وبحكم اتصالهم المبكر بالشرق أي السودان أدخلوا الجنس الزنجي أو كما يسميهم هيرودوت بالإثيوبيين بمثابة عبدة، هذا ما يفسر ظهور الجنس الأبيض المتوسطي والجنس الزنجي في مشاهد الفن الصخري الصحراوي ضمن مشاهد مرحلة الرعي.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- Hachid, 2006, op.cit., PP : 102-103.

<sup>2</sup>- Demougeot, 1960, op.cit., P : 211.

<sup>3</sup>- Ibid., P : 212.

<sup>4</sup>- Demougeot, 1960, op.cit., PP : 213-214.

يرى فريق آخر من الباحثين أن الجمل دخل الصحراء مع النوميدي، كما تشير أوماسيب إلى أن تاريخ 3500 ق.م يعد بداية لدخول واستقرار النوميدي بالمنطقة، لكن يجد الباحثون استغراباً لدخول هذا الحيوان المنطقة خلال هذه الفترة التي تسبق فترة الجفاف<sup>1</sup>.

لعب الحصان والجمل على وجه العموم دوراً هاماً على مستوى الحياة الاقتصادية والسياسية لسكان المنطقة في فترة ما قبل التاريخ، حيث ساهم الاثنان في إحداث نقلة نوعية على مستوى الحياة المعيشية لهذه الشعوب قبل قدوم الرومان وحتى الفينيقيين، ويعد الحصان أداة الحروب بامتياز في حين يعتبر الجمل أفضل وسيلة للتنقل ونقل الأغراض المختلفة، لما يتميز به من صبر ومقاومة للعطش والجوع خلال المسافات الطويلة، مع ذلك يعد هذا الأخير أبطء بكثير في حالات الحروب إذا ما قورن بالحصان لهذا يصنف في الدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد الحصان لدى شعوب هذه الفترة<sup>2</sup>.



شكل 88: مشهد لجمل وحصان مع نعام بمرتفعات الأطلس الصحراوي  
المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, PP : 256-257

شكل 87: مشهد لجمل وكتابة ليبية بموقع تاكوديماتين بالتاسيلي  
المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, PP : 46-247

<sup>1</sup>- Aumassip, 2005, op.cit., P : 422.

<sup>2</sup>- Demougeot, 1960, op.cit., P : 215.



شكل 90: مشهد لأخذية من مرحلة الجمل بموقع الحسبانية أولاد نايل  
المصدر: Aumassip, Kerzabi, 2018, P : 244

شكل 89: مشهد لصراع من مرحلة الجمل مع كتابة ليبية بجانت  
المصدر: OPNT, 2009, P : 36

### 5.7 مشاهد مرحلة فجر التاريخ:

يتداخل عصر المعادن في شمال إفريقيا مع نهاية المرحلة النيوليتية، ربما يعود تاريخ ظهوره إلى مرحلة العربات والحصان ما يسمح بالتنقل إلى أماكن أعمق من الصحراء، هذا ما جعلهم يفكون شيفرة استخدام المعادن في صناعة أغراض متعددة، كما تصور النقوش الصخرية في نهاية النيوليتي مشاهد لأسلحة وأدوات معدنية في عدة مواقع<sup>1</sup>.

دلت بعض البقايا الأثرية لأسلحة معدنية مثل رؤوس السهام والحرايب والخناجر الصغيرة وبعض القطع المعدنية، التي اكتشفت في عدة مواقع من الصحراء الغربية إلى غاية موريتانيا، أرخت في حدود الألف الثانية أو الأولى قبل الميلاد، ودلت على شيوع ظاهرة استخدام المعادن بالصحراء، ويشير كامبس نقلاً عن هيرودوت أن أصحاب المنطقة من قبائل الجرامنت ذوي الأصول الليبية البربرية الذين اشتهروا بالعربات التي تجرها أربعة خيول امتلكوا أسلحة بسيطة من البرونز والنحاس<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- Camps Fabrer, 1972, op.cit., P : 30.

<sup>2</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 346.

يرى كامبس بناءً على هذه المعطيات أن الشعوب المتوسطة ذات البشرة الفاتحة يمكن أن تكون أول من أدخل الحصان إلى مشارف الصحراء الشمالية خلال النيوليتي ذي التقاليد القفصية من خليج برقة ووضفاف النيل، الذي امتزج مع النيوليتي ذي التقاليد الصحراوية هذا ما تظهره مشاهد النقوش للجنس الأبيض والزنجي على واجهة واحدة، كما ساهم الحصان والجمال في اختراق المسافات واكتشاف مواطن المعادن، لتحدث بذلك ثورة صناعية جديدة سجلت نهاية العصر الحجري وبداية عصر المعادن<sup>1</sup>.

نخلص من خلال ما تناولناه من مواضيع المشاهد الصخرية إلى أنها قدّمت رصيّدًا هامًا من المعلومات حول الحياة الاجتماعية بمختلف أوجهها وتفصيلها، ما يسمح بكتابة تاريخ الحياة اليومية لمعمري حقبة ما قبل التاريخ وفجره، وبناءً على التشابه الذي تحمله المشاهد بين مختلف المواقع المتوزعة على نطاق جغرافي واسع، يمكن تعميم نتائج الدراسة بمنطقة التاسيلي على بقية المناطق بشمال إفريقيا وخاصة الصحراوية.



شكل 91: نموذج لإحدى عربات الجرامنت وقطع معدنية من فترة فجر التاريخ  
بمتحف طرابلس

المصدر: جراتسيوسي، 2015، ص: 24

<sup>1</sup>- Camps, 1974, op.cit., P : 347.

## حوصلة

تعد المشاهد الجدارية أفضل شاهد أركيولوجي على حياة وبيئة الشعوب القديمة التي عمرت مرحلة ما قبل التاريخ، حيث تبرز مواضيعه مختلف النشاطات الممارسة بشكل يومي كالصيد والرعي والزراعة ومختلف مظاهر التواصل الاجتماعي بين الأفراد، كما أنها تعكس أوجه الثقافة الفكرية لدى المجتمعات القديمة من خلال مشاهد الملابس وتسريحات الشعر وغيرها، ولا يخفى أن الذهنية القديمة لدى مجتمعات ما قبل التاريخ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالجانب الروحي ولا تكاد تنفصل عنها في شتى المواضيع، حيث تمتد ثقافة المجتمع لتشمل مختلف المعتقدات الروحية التي تعكسها المشاهد الطقوسية المختلفة.

تبيّن من خلال مقارنة بعض المظاهر السائدة في مجتمعات ما قبل التاريخ التي توضحها المشاهد الصخرية بمنطقة التاسيلي نازجر والصحراء، وجود تشابه في بعض النقاط مع المجتمعات الحديثة على غرار طقوس الاستمطار وارتداء التمامم الوقائية وغيرها ما يدل على وجود نوع من الاستمرارية لبعض النقاط العقائدية التي ترسخت في ذهنية المجتمع مع مرور الزمن.

يثبت التشابه بين الرسوم والنقوش الصخرية في عدد من المواقع بالتاسيلي نازجر مع نظيرتها على ضفاف نهر النيل، من حيث أسلوب وتقنيات الإنجاز، نوعية الألوان ومحتوى المواضيع على غرار الهيئات الأدمية برؤوس حيوانية، على وجود تقارب من حيث المعتقد الروحي للمجتمع المحلي مع المجتمع المصري القديم، لعل هذا ما يبرهن على وجود تواصل فكري وتأثير حضاري مشترك منذ العصور الحجرية الباكورة، ربما نتج عن طريق تواصل الجماعات البشرية عبر الهجرات المستمرة بين مناطق شرق وغرب إفريقيا الشمالية.

يدفعنا كل هذا الكم الذي تقدمه الجداريات من معلومات حول منجزها إلى إعادة التساؤل من جديد حول ما إذا كان هذا الموروث ينحصر فعلاً في سياق الفن، أم أن المصطلح يختزل جوانبه الحقيقية ويمكن اعتباره بمثابة كتابة تصويرية؟

# الفصل الخامس

دراسة الجانب الثقافي من خلال المشاهد  
الصخرية

## تمهيد

احتاج الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض إلى وسيلة يعبر بها عن نفسه وما يختلجها من مشاعر وأفكار، لذلك سعى منذ القديم إلى إيجاد طريقة للتواصل كالإيماءات والإشارات والأصوات ثم الكلام، حيث نشأت لغة تخاطب اتفقت الجماعة البشرية على معاني مفرداتها، بعد ذلك برزت الحاجة إلى تدوين هذه الأفكار على ما كان متاحًا من الطبيعة من ورق الشجر، الطين، الخشب، الحجارة وغيرها، وتعد النقوش الصخرية إحدى أهم وسائل التعبير من خلال ما تعرضه من مشاهد تعد بمثابة خطوة أولى لتدوين تاريخ إنسان هذه المرحلة.

انتقلت المشاهد الجدارية بعد فترة من الزمن من الأسلوب الطبيعي إلى الأسلوب التخطيطي ذي القاعدة هندسية الأشكال، التي يمكن أن تكون قد انبثقت عنها الكتابة وتعد الرموز المرافقة للمشاهد الصخرية خير دليل على ذلك، حيث شهدت منطقة شمال إفريقيا أبجدية خاصة أطلق عليها تسمية الكتابة الليبية البربرية.

تمتاز حروف الكتابة الليبية البربرية بأشكال هندسية قريبة التشابه مع الأشكال التي تحملها زخارف الفخار والنسيج والأوشام التي اعتاد السكان المحليون على التزيين بها، والتي عرفت نوعا من الاستمرارية إلى غاية المراحل التاريخية المعاصرة، إضافة إلى ذلك تتشابه أشكالها مع الرموز التي تظهر ضمن المشاهد الصخرية خاصة، كما أن نصوصها رافقت المشاهد خلال مرحلتها الحصان والجمل، وتختلف بالمقابل الحروف بين الكتابة الليبية في الشمال الشرقي والغربي والكتابة الليبية في الصحراء، من حيث الاتجاه والنطق، قد يكون لهذا الاختلاف علاقة بتمايز وتنوع المفردات بين المناطق.

طرح جدل كبير لدى الباحثين حول إمكانية اعتبار النقوش الصخرية في حد ذاتها كتابة تصويرية كونها تعد بمثابة وسيلة للتعبير، إضافة إلى صعوبة تحديد طبيعة العلاقة التي تربط مشاهد النقوش برموز الكتابة الصخرية، هذا ما نحاول التطرق إليه من خلال هذا الفصل.

## 1- دراسة الرمزية في مشاهد الفن الصخري

يتوازي ظهور الرموز مع بداية مرحلة تحول الإنسان إلى الوعي الذاتي وبداية تمييزه عن الطبيعة، وتبدو الفكرة في الرموز في البداية غامضة وغير محددة كون الفن الرمزي عبارة عن تجسيد للروح القائم خلف الطبيعة<sup>1</sup>، وتعتبر الرموز المرافقة للمشاهد الصخرية بمثابة علامة تدل على معنى أو مفهوم معين، يمكن أن تحمل تفسيرات عديدة ترتبط بذهنية إنسان ما قبل التاريخ ونمط تفكيره وطريقته في التعبير، لذلك ارتأى عدد من الباحثين مقارنة هذه الرموز والأشكال مع ما هو شائع لدى الشعوب القديمة المعروف تاريخها والشعوب الحديثة<sup>2</sup>، حيث تلعب دراسة المعتقدات والعادات الأولى للشعوب القديمة دورًا رئيسيًا في دراسة المعاني الرمزية لمعمري فترة ما قبل التاريخ<sup>3</sup>.

تتجلى الرموز وتتلور عندما تنضح الأفكار وتختمر حيث تمنحها الفكرة المعنى والأهمية، كما تمنحها التعبير والتفسير أيضا كما لو أن الفكرة تجري فيها، خصوصًا إذا شاع استخدام نفس الرموز لدى جماعة بشرية متزايدة العدد فيصبح انتقالها سهلاً ومقبولاً بل ومفهوماً أيضا<sup>4</sup>.

تعد الرمزية بمثابة مهارة اكتسبها منجز الفن الصخري بعد تجربة أولية أكسبته الخبرة، لاختزال أفكاره في شكل رموز معينة ذات دلالات محددة في مفهوم الجماعات البشرية المسؤولة عن ابتكار هذا الموروث، وظهرت الرمزية منذ المرحلة القديمة حيث رافقت الرموز مشاهد الجاموس العتيق منذ أسبق من 5000 ق.م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- نوكس، المرجع السابق، ص: 110.

<sup>2</sup>- A. L. Gourhan. (1964), *les Religions de la Préhistoire (Paléolithique)*, Press universitaires de France, Paris, P : 148.

<sup>3</sup>- E. Anati. (1999), *La Religion Des Origines*, Traduction de Patrick Michel, 2<sup>ème</sup> Ed, Bayard, Paris, PP : 16-17.

<sup>4</sup>- نوكس، المرجع السابق، ص: 110.

<sup>5</sup>- A. Muzzolini. (1996), «Les deux époques dans la trame symbolique des figurations rupestres saharien », In: *l'Anthropologie*, V33, N°3, PP : 221-230.

تشكل الرمزية جوهر وأساس الفن الصخري فلا يخلو منها مشهد تقريبا، حيث تجسد بعض اللوحات حيوانات دون تمييز الأرضية فتبدو كأنها سابحة أو مرتفعة في الهواء، كما تظهر في بعض المشاهد هيئات آدمية في جماعات أو بشكل فردي رفقة حيوان معين، إما تمتد ذراعها نحو الحيوان أو ترفعها إلى الأعلى على هيئة التضرع، تفسر الباحثة أوماسيب هذه الظاهرة بمثابة إشارة لتقديس وأهمية هذه الحيوانات<sup>1</sup>.

يعد عدم تمثيل جميع الحيوانات التي عاشت خلال ذات الفترة بنفس الحجم دليل على إحياءات معينة، قد تشير إلى أهمية وتميز هذا الحيوان عن غيره بالنسبة للإنسان، يرمز بعضها إلى القوة مثل مشاهد الأسد، أما البعض الآخر فربما وقع عليها الاختيار كطوطم معين على غرار الفيلة والبقرات ذات الأحجام الضخمة، وفي مشاهد كثيرة تظهر نقوش الأيدي والأقدام مثل مشاهد موقع حجرة سيدي بوبكر بالأطلس الصحراوي التي تحمل نقوشا لمجموعة من الأيدي المنجزة جنبا إلى جنب حيث بلغ عددها حوالي 50 يداً، إلى جانبها تظهر عدة حروف ليبية قديمة لازالت غامضة ولم تفك شفرتها إلى اليوم<sup>2</sup>.

تعد مشاهد الأيدي والأرجل من بين أهم المشاهد الرمزية التي تكثر خاصة في منطقة سيفار وجبارين، حيث يلاحظ ملازمة بصمات الأيدي للمشاهد التي تحتوي على صور متراكبة أنجزت خلال فترات مختلفة زمنياً على ذات الواجهة، يمكن أن ترمز إلى أمور روحية أو طقوسية<sup>3</sup>، وتحتل مشاهد الأيدي مكانة هامة حيث توجد بأعداد هائلة في أغلب مواقع النقوش، ونميز منها نوعين: طبعات أيدي إيجابية وأخرى سلبية، يتم رسم الأولى بواسطة غطس اليد في اللون ثم تطبيقها على الجدار مباشرة، أما الثانية فيتم وضع اليد على الجدار ثم ترش عليها الألوان بالفم فتبقى فارغة من الداخل ويظهر فقط

<sup>1</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., P : 9.

<sup>2</sup>- Ibid., PP : 9-11.

<sup>3</sup>- Lhote, 1958, op.cit., P : 134.

الإطار الخارجي المحدد لها ، عثر على كثير من هذه اللوحات في عدد من المواقع أهمها: تافريست وسيفار بالتاسيلي (شكل 93) ، فُسرت على أنها ذات دلالات سحرية هدفها وقف القوى الشريرة ودفعها بعيداً<sup>1</sup>.  
نقشت إلى جانب مشاهد الأيدي والأرجل عدة رموز أخرى منها الأشكال الحلزونية، البيضاوية، الدوائر، وتتميز الرموز المصاحبة للمشاهد الحيوانية بتمثيلها في أشكال هندسية متنوعة ذات خطوط منكسرة، مستطيلة، مربعة، مثلثة أو حلزونية، إلا أن مفهومها ورمزيتها ظلت مجهولة اختلفت حولها آراء الباحثين، وتتقارب هذه الإيماءات بشكل كبير مع حروف الكتابات الصخرية وخاصة التيفيناغ بالنسبة للصحراء الوسطى<sup>2</sup>.

يشير الباحث رايمون فوفري (R. Vaufrey) إلى اكتشاف أنية فخارية بالجنوب الوهراني المؤرخة في حدود 4000 ق.م مشابهة إلى حد بعيد لنظيرتها التي عثر عليها في صعيد مصر وبالتحديد في نقادة التي تعود إلى فترة ما قبل الأسرات، يتمثل وجه الشبه بين هاتين الآنيتين في نوع الزخرفة الحلزونية، وتتشابه هذه الزخارف من جهة ثانية مع تلك الحلزونية التي تظهر على مستوى المشاهد الصخرية المرافقة لهيئات آدمية وحيوانية في عدد من المواقع وأبرزها واد جرات بالتاسيلي نازجر (شكل 92)، إلى جانب ذلك عثر على عدد من القطع الفخارية القفصية المزينة بأشكال حلزونية بمصر أرخت في حدود 4000-6000 ق.م<sup>3</sup>.

توجد إلى جانب الحلزونية العديد من الرموز المشتركة بين مناطق شمال إفريقيا والصحراء مع مواقع مصرية، على غرار مشاهد الثور والكبش ذي الهالة في النقوش الصخرية بالأطلس الصحراوي والهقار، التي تشبه مشاهد المعبود المصري أمون الذي يظهر بشكل كبش يحمل قرصاً على رأسه، ربما

<sup>1</sup>- بن بوزيد، 2016/2015، المرجع السابق، ص : 304.

<sup>2</sup>- طارق عزيز ساحد. (2011)، آثار فجر التاريخ في الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، ص: 61.

<sup>3</sup>- Vaufrey, 1936, op.cit., PP : 634-635.

يدل هذا الأمر على وجود ارتباط فكري بين الثقافتين، يضاف إليها رمز قرص الشمس، وفي هذا الصدد يشير فوفري إلى استمرار النقوش الحلزونية ضمن هذه المشاهد إلى غاية مرحلة العربات<sup>1</sup>.

تعد التمايم والحروز والتعاويد والأوشام نوعاً من الرموز ذات الجانب الروحي، حيث تبرز المشاهد الصخرية أفراداً يرتدون أقنعة وجلود حيوانية وتمايم في وضعيات توحى بتأدية رقصات معينة رافقتها جملة من الرموز والإشارات قد تكون عبارة عن تعاويد، يزينون أجسادهم بنقاط وخطوط ودوائر وغيرها<sup>2</sup>، تدل هذه المشاهد على الأغلب أن انسان هذه الفترة اعتمد هذه التفاصيل كوسيلة دفاعية للتمويه، من أجل إبعاد الأرواح الشريرة أو من أجل التشبه بالآلهة، خصوصاً تلك المشاهد التي تبالغ في تضخيم العضو الجنسي الذكري كرمز للقوة والقيادة على الأرجح<sup>3</sup>.

ترمز المبالغة في تمثيل المشاهد الجنسية سواء بالنسبة للحيوانات أو الأشخاص إلى الشعور الروحي، قد يدل ذلك حسب الباحثة جينات أوماسيب على اتجاه أو تعبير عقائدي وبذلك يرجح أن إنجاز هذه المشاهد لم يكن لغرض فني كما ينظر إليها اليوم على أنها لوحات جمالية، وإنما يحمل أهدافاً فكرية معينة خاصة بسكان الفترة التي أنجزت فيها هذه المشاهد<sup>4</sup>.

يبدو أن إنسان المرحلة النيوليتية بشمال إفريقيا كان يؤمن بالتمايم والحروز، حيث تُظهر المشاهد أنها كانت ترافقه في أعمال الصيد والحروب ومختلف تنقلاته ربما كانت تشعره بالأمان، ويرجح أن المجتمع المحلي قد احتفظ بهذه الأفكار إلى زمننا المعاصر حيث وفي فترة غير بعيدة تعود الأشخاص على تزيين أجسادهم ببعض الأوشام وخاصة النساء<sup>5</sup>.

ظلت ظاهرة التزيين بالأوشام موجودة لدى بعض القرى البدوية إلى غاية الفترة المعاصرة، يضاف إليها وضع التمايم والأحجبة المنتشرة بكثرة خاصة بالمغرب الأقصى، حيث تراهم يعلقون الودائع

<sup>1</sup>- Vaufrey, 1936, op.cit., PP : 636-638.

<sup>2</sup>- Le Quellec, 1993, op.cit., P: 293.

<sup>3</sup>- Ibid., P : 554.

<sup>4</sup>- Aumassip, 2013, op.cit., PP : 12-13.

<sup>5</sup>- Gsell, 1928, T5, op.cit., PP : 16-17.

والأحجية والتمايم على صدور الأطفال والحوامل وكل من لديه مرض الخوف والوسوسة كنوع من الحماية، وهناك من يضع قرون الأبقار على أسطح المنازل أو شكل اليد المسماة بالخمسة أو العياشة على أبوابها، أو تعلقها النساء على صدورهن خاصة في المناسبات والأفراح من أجل دفع الحسد، وهناك من يعلق السبجات داخل السيارات اعتقاداً أن هذه التفاصيل توفر وقاية دينية أو حماية سحرية<sup>1</sup>، وهي عموماً بقايا الموروث العقائدي الذي تمتد أصوله إلى فترة ما قبل التاريخ.

يرمز تراكب المشاهد فوق بعضها الناتج عن إعادة تلويها إلى الجانب العقائدي المرتبط ربما بالقيام بطقوس معينة في وقت محدد<sup>2</sup>، حيث استمرت فكرة إعادة تلوين الرسوم الصخرية لدى بعض الشعوب الإفريقية، فقد اعتاد السنغاليون على إعادة التلوين وأثناء إعداد الألوان يمزجونها بدمائهم لإيمانهم بقداستها وبذلك فهم يصلون الحاضر بالماضي، معتقدين أنهم يستمدون بذلك قوة أجدادهم، وفي الغالب ترتبط هذه الطقوس بجلب المطر<sup>3</sup>، وهي عادة مقدسة لدى سكان القبائل الكينية المعاصرة المنتشرة حول بحيرة فكتوريا حيث ترتبط باستدراة المطر<sup>4</sup>، وفي هذا الصدد يشير الباحث لوت إلى منطقة جبارين التي تحمل أكثر من 5000 موضوع في مساحة لا تزيد عن 600 م<sup>2</sup>، تزخر بمشاهد منجزة على أخرى أقدم منها، ربما هي عبارة عن تلوين جديد للرسومات القديمة لأغراض روحية طقوسية<sup>5</sup>.

يعتبر الطلاء بالمغرة أحد أشهر الطقوس الشائعة في شمال إفريقيا حيث كانت تطلى بها جدران القبور وأجساد الموتى، كما عثر على بقاياها في عدد من الكهوف التي تعود إلى العصر الحجري الحديث، إضافة إلى ذلك زينت بها رسومات الفن الصخري المنتشرة بكثرة على جدران هذه الكهوف<sup>6</sup>، وذكر

<sup>1</sup> - بول باسكون. (1986)، «الأساطير والمعتقدات بالمغرب»، ترجمة مصطفى المنساوي، *المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع*، عدد 165-166، الرباط، ص: 75.

<sup>2</sup> - Michel Lorblanchet. (1980)، « Art rupestre Australien », *Archéologia*, N°147, France, PP : 38-39.

<sup>3</sup> - جون كي زربو. (1980)، «الفن الإفريقي، في ما قبل التاريخ»، تاريخ إفريقيا العام، فصل 26، مجلد 1، اليونيسكو، ص: 666-670.

<sup>4</sup> - J. Clottes. (2007)، « L'Art rupestre du Sahara du Nord de l'Afrique : conclusion », ICOMOS, P : 24.

<sup>5</sup> - Lhote, 1958, op.cit., P : 81.

<sup>6</sup> - G. Camps. (1961)، *Aux origines de la Berbérie Monuments et rites Funéraires Protohistoriques Arts et Métiers Graphiques*, Paris, P: 522.

هيرودوت لاحقا أن قبائل الماكسيس (Maxyes) والجيزانت (Gyzantes) كانوا يستعملون المغرة لأغراض طقوسية<sup>1</sup>.

يشير كامبس (Camps. G) إلى أن اللون الأحمر الذي تطلى به الجثث يرمز إلى استمرار جريان الدم فيها لإعادة قوة الميت حيث كانوا يعتقدون أن السبب الحقيقي للموت هو فقدان الدماء لذلك استعملوا الأحجار والأزهار والرمال الحمراء وطلوا أجسادهم باللون الأحمر<sup>2</sup>، نخلص من خلال هذا المنطلق إلى أن هذه الظاهرة أي الطلاء باللون الأحمر ربما تدل إلى الاعتقاد بفكرة الحياة بعد الموت، وقد يرمز استخدام اللون الأحمر في تلوين الرسوم الصخرية إلى معاني محددة.

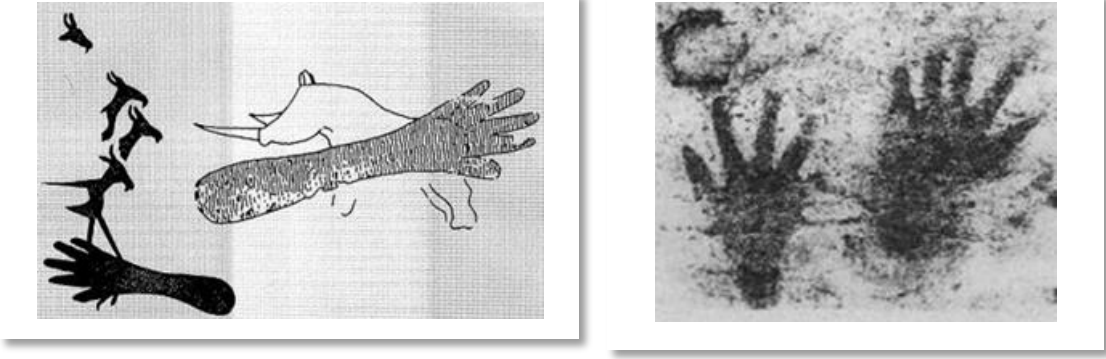


شكل 92: نقوش حلزونية إلى جانب نقوش حيوانية بالجنوب الوهراني

المصدر: Vaufrey, 1936, P : 633

<sup>1</sup> -هيرودوت، الكتاب الرابع، الفقرة: 191، 194.

<sup>2</sup> -Camps, Op.cit., P: 522.



شكل 93: مشاهد لأيدي وأذرع إلى جانب مشاهد لحيوانات بمنطقة سيفار  
المصدر: بن بوزيد، 2007، ص ص: 202-203

## 2- دلائل استمرارية الرموز في مشاهد الكتابة الليبية البربرية

تعد الرمزية حاضرة بين المشاهد الصخرية منذ المرحلة الطبيعية القديمة، حيث أن جملة الخطوط الطويلة والدائرية، الحلزونية، المثلثات، لم تجسد بشكل عشوائي وإنما حملت في مضمونها إشارات ومعاني، وغالبا ما ترتبط هذه الرموز بمعتقدات سحرية خاصة في مرحلة الصيادين، ويعتقد عدد من الباحثين أن تكون هذه الرموز الجذور الأولى لظهور الكتابة الليبية البربرية<sup>1</sup>.

انتقل الفن الصخري بشمال إفريقيا في اتجاه تخطيطي، حيث تحولت المشاهد الصخرية ابتداء من نهاية فترة الرعاة إلى بداية فترة الأحصنة من التجسيد الواقعي إلى التمثيل الهندسي وأصبحت تجريدية أكثر على طول مرحلة العربات، وبدأت تظهر في هذه المرحلة الملامح الليبية البربرية من خلال الألبسة، الأسلحة، تسريحات الشعر، وأدوات الزينة حيث تظهر هذه الأشكال على مستوى الفن البربري الريفى على وجه الخصوص<sup>2</sup> (شكل 94).

<sup>1</sup>- Tomas Joël. (2003), « La symbolique des gravures rupestres du Mont Begeo », *L'anthropologie*, N°107, ELSEVIER, France, P : 281.

<sup>2</sup> - S. Chaker, S. Hachi. (2000), « A propos de l'origine et de l'Age de l'écriture libyco-berbères », Peeters, Louvain, Paris, PP : 99-100.

امتدت المشاهد الصخرية التي تبرز الملامح الليبية البربرية لتغطي كامل المناطق التي تضم الكتابة واللغة الليبية لتشمل كافة مناطق شمال إفريقيا والصحراء، وأعتبرت الرموز الليبية في بداية تحليل النقوش الصخرية من قبل المختصين بمثابة رموز لتزيين المشاهد، وبعد مدة من دراسة هذه الأخيرة اتضح أنها رموز يراد بها الإشارة إلى معاني محددة، ويرمز حرف **Z** المشهور في حروف التيفيناغ إلى الإنسان<sup>1</sup>.

كان الإنسان في مرحلة الحصان يجسد على شكل مثلثين متقابلين من ناحية الزاوية الحادة كما يمثل الرأس بشكل مخروطي، أما الأسلحة فرسمت على شكل مجموعة من الخطوط العمودية والأفقية<sup>2</sup>، في حين أصبحت العربات التي تجرها الخيول تجسد على شكل مثلث يمثل المنصة ودائرة مخططة تمثل العجلة وخط للمحور وقضيب الجر<sup>3</sup> (شكل 95، شكل 96).

يستمر هذا التخطيط نحو تطوير الأشكال الهندسية البسيطة بوتيرة متزايدة طوال هذه المرحلة ويمتد إلى المرحلة الموالية لتبدو المشاهد أكثر اختزالاً من ذي قبل<sup>4</sup>، بالمقابل لم تظهر كل حروف التيفيناغ خلال مرحلة الحصان حيث يعود بعض منها إلى مرحلة الجمل، وتتخذ حروفها أشكالاً هندسية قريبة من تلك التي انجزت في معظم مشاهد النقوش من أشكال مثلثية، دائرية، وخطوط طويلة مستقيمة ومتعرجة<sup>5</sup>.

يدل كل من أسلوب، تقنية، طريقة الإنجاز، هندسية الأشكال على تأثير الفن الصخري الصحراوي على الكتابة الليبية من حيث النشأة والتطور، وترتبط بعض الأشكال بمشاهد الفن الصخري ما يدل على العلاقة الوطيدة بينهما<sup>6</sup>، وقد تبلور اتجاه لدى المختصين في الفن الصخري يساند محلية هذه الكتابة، ويعتبر حروفها الأبجدية القديمة المنقوشة على الواجهات الصخرية تطوراً طبيعياً

<sup>1</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., PP : 99-100.

<sup>2</sup>-Aumassip, 1993, op.cit., P : 23.

<sup>3</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P: 5.

<sup>4</sup>- Ibid., P : 5.

<sup>5</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 23.

<sup>6</sup>- Le Quellec, 2011, op.cit., P : 12.

للفن الصخري، الذي بدأ أسلوبه بمحاكاة الطبيعة لينتهي بأشكال هندسية<sup>1</sup>، قد تفسر على أن المشاهد الصخرية لعبت دور كتابة تمهيدية ما قبل أبجدية.

يرى الباحث لوكلاك من الناحية العقائدية أنه من الممكن قد تم اختزال صور الحيوانات في شكل رموز طوطمية لكل جماعة بشرية، مهدت لظهور أبجدية تحمل عدة مدلولات حول الأحداث التاريخية الكبرى مثل المعارك، التحالفات، وهذا ما يعرف بالاختزال الرمزي<sup>2</sup>.

استمرت مشاهد الرسوم والنقوش الصخرية حتى بعد اكتشاف الكتابة، ربما يعود السبب لذلك في كون الكتابة لازالت فتية في بدايتها خلال هذه الفترة ولم تكن كافية لأداء الغرض الأساسي في التعبير عن المعنى المقصود، لذلك اقتضت الحاجة مواصلة تجسيد المشاهد على الصخور لتغطي ما عجزت الكتابة في التعبير عنه<sup>3</sup>.

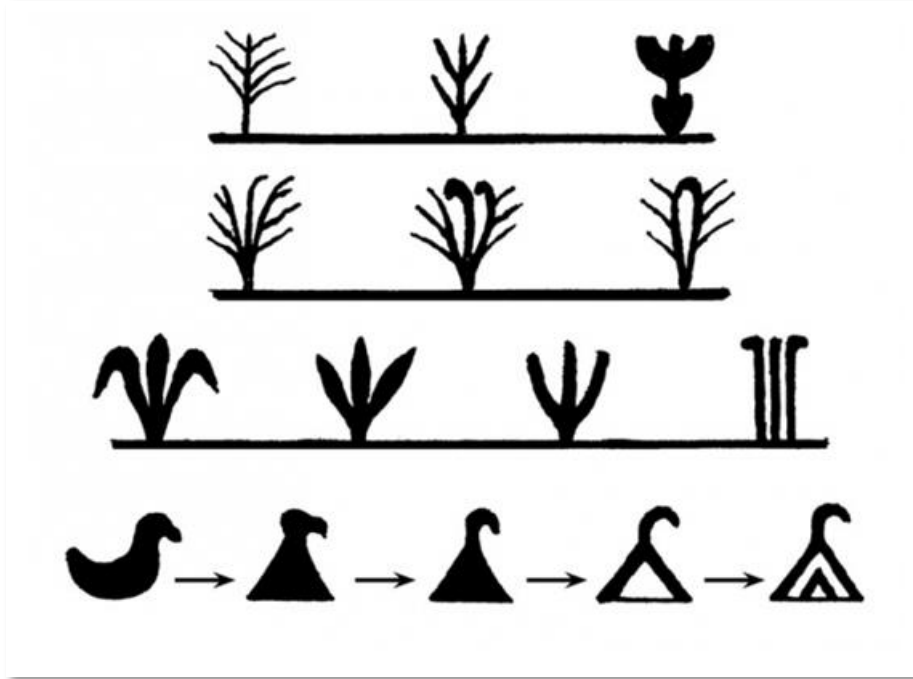
تعتبر المشاهد الصخرية بشمال إفريقيا والصحراء على وجه الخصوص بمثابة وثائق تاريخية قادرة على تزويدنا بكم كبير من المعلومات، حول مختلف التفاصيل التي رافقت التعمير البشري للمنطقة، يمكن اعتبارها من هذا المنطلق حسب الباحث لوكلاك مرحلة ممهدة لظهور الكتابة، لكن لا يمكن الجزم بذلك إلا بعد الوقوف على تاريخ دقيق واستقراء صحيح لمحتوى المشاهد التي لازالت إلى غاية اليوم مشوبة بكثير من الغموض من الناحية الكرونولوجية والموضوعية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- إسمهر، 2007، المرجع السابق، ص: 177.

<sup>2</sup>- Le Quellec, 2011, op.cit., P : 2.

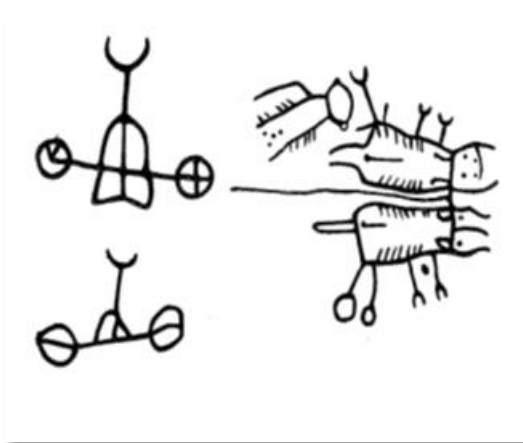
<sup>3</sup>- Joël, 2003, op.cit., P : 282.

<sup>4</sup>- Le Quellec, 2002, op.cit., P : 2.



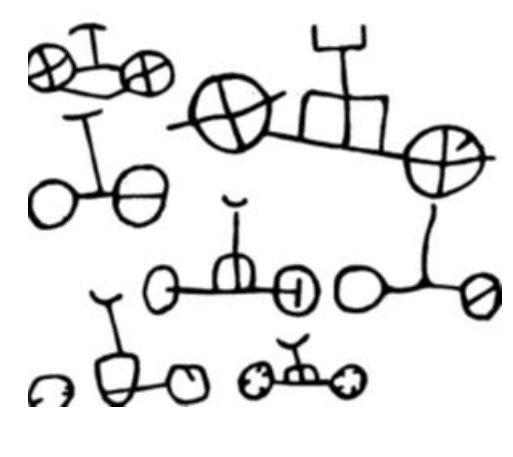
شكل 94: مشهد يوضح تدرج هندسية الأشكال التي زينت الفخار البربري عبر الزمن

المصدر: Le Quellec, 2011, P : 14



شكل 96: مشهد لعربات تجرها ثيران  
بالتاسيلي

المصدر: Lhote, 1982, P : 83



شكل 95: مشهد تخطيطي لعربات بواد  
تماجرت

المصدر: Lhote, 1953, P : 55

## 3- الكتابة الليبية البربرية

تعتبر الكتابة طريقة لتجسيد الأفكار عن طريق خطها في رموز مختلفة الأشكال، وبالنسبة لفترة ما قبل التاريخ وفجره يمكن اعتبارها بمثابة وسيلة للتواصل وتخليد المعطيات والأحاسيس التي تختلج إنسان تلك الفترة، وقد اعتبر علماء ما قبل التاريخ هذه العلامات المجردة رموزاً أساسية لبداية الكتابة، أو كمرحلة تمهيدية للكتابة التي تطورت فيما بعد لتظهر في شكل نصوص وفقرات وتعليمات وغيرها في مختلف الحضارات البشرية المتعاقبة<sup>1</sup>.

اعتمد سكان شمال إفريقيا الأوائل على الخط الليبي للكتابة، وتتسم حروف هذه الكتابة باتخاذها أشكال خطوط مستقيمة قد تكون منفردة أو متجمعة في تركيبات بسيطة تشبه الأشكال الهندسية وهي كتابة ذات اتجاهات متغيرة، يتنوع الخط الليبي بين مناطق انتشاره من حيث نطق بعض الأحرف واتجاهها غير أن فروعه تشترك في العديد من التفاصيل<sup>2</sup>.

يعد خط التيفيناغ لدى الطوارق أحد فروع الخط الليبي بدليل العثور على عدد من النقوش الليبية ونقوش التيفيناغ القديمة منجزة على نفس الحوامل الجدارية في عدد من المواقع بشمال الصحراء الوسطى وطنجة والشمال الشرقي والغربي للجزائر وتونس<sup>3</sup>.

تطلق تسمية ليبي بربري على كل ما يخص شمال إفريقيا من لغة وكتابة<sup>4</sup>، كما تشمل هذه التسمية كافة المناطق الممتدة من واحة سيوة المصرية شرقاً إلى جزر الكناري غرباً، ومن السواحل الشمالية

<sup>1</sup>- Auzou, 2001, op.cit., P : 393.

<sup>2</sup>- Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 84.

<sup>3</sup>- العربي عقون. (2006)، «القاعدة المشتركة للكتابات واللغات: مقارنة في أصول الكتابة الليبية»، مجلة الحوار الفكري، مختبر الدراسات التاريخية والفلسفية، ع 2، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، ص ص: 170-168.

<sup>4</sup>- A. Judas. (1863), Sur l'écriture et la langue berbère dans l'antiquité et de nos jours, Paris, P : 47.

لإفريقيا المطلة على البحر المتوسط إلى الصحراء الكبرى جنوباً<sup>1</sup>، حيث عثر على عدد من النقوش الليبية في جزر الكناري وجبل سيناء غير أنها لازالت مجهولة التأريخ إلى اليوم<sup>2</sup>.

تعرضت هذه الكتابة إلى منافسة قوية من قبل كتابات الأجانب الوافدين البونية ثم اللاتينية وأخيراً العربية<sup>3</sup>، أدى ذلك إلى طمسها خاصة في المناطق الشمالية بينما بقيت محافظة على أصولها في الصحراء والمناطق الداخلية المنعزلة، وعلى الأرجح أنها انتقلت مع الهجرة البشرية نحو جزر الكناري التي عمرها شعب القونش (Gaanches) أين عثر على العديد من النقوش الليبية البربرية القريبة من خط التيفيناغ<sup>4</sup>، ونعرض فيما يلي الدراسات السابقة، أنواع الكتابة الليبية البربرية، وجدورها التاريخية.

### 1.3 الدراسات السابقة

ركزت أغلب الأبحاث والدراسات خلال بداية الفترة المعاصرة على دراسة النقوش الفينيقيّة والبونوية واللاتينية، بينما لم تؤخذ الكتابة الليبية بعين الاعتبار وذلك لأنها لم تشكل في نظر الباحثين إلا رموزاً مجهولة المعنى ولم تحظى باهتمام كبير، وفي سنة 1631م اكتشفت أول نقيشة بضريح دوقية على يد القنصل الفرنسي توماس داركوس (Thomas Darcos)، وفي سنة 1822 أشار الباحث أودني (Oudeney) لأول مرة إلى حروف التيفيناغ المستعملة من قبل الطوارق بالصحراء، انطلقت بعدها الأبحاث حول العلاقة بينها وبين بقية الحروف الليبية<sup>5</sup>.

قام الباحث الإنجليزي توماس ريد (Tomas Read) سنة 1842م بنقل الحجر الذي كتبت عليه النقيشة إلى المتحف البريطاني، تمكن بعدها الباحث الفرنسي سولسي (G. M De Saulcy) سنة 1843م من فك شفرة النقيشة، الذي قام بمقارنة حروفها مع حروف التيفيناغ المستعملة لدى

<sup>1</sup>- L. Galand. (1999), « L'écriture libyque et berbère », *Sahara*, N°11, France, P : 143.

<sup>2</sup> -Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 85.

<sup>3</sup>- نادية يفصح. (2018/2017)، «المظاهر الحضارية في نوميديا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى بداية الاحتلال الروماني "الحياة الاجتماعية والثقافية"»، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، قسم التاريخ، الجزائر، 2، الجزائر، ص: 115.

<sup>4</sup>- عقون، 2006، المرجع السابق، ص: 170.

<sup>5</sup>- Henri Besset. (1920), *Essai sur la littérature des berbères*, Jules Carbonel, Alger, PP : 19-20.

الطوارق، حيث اكتشف أن نصها مزدوج ليبي-بوني، وأعطى له تاريخ 138 أو 139 ق.م بناءً على المعلومات التي يتضمنها، كما تمكن من تحديد المعنى الحقيقي لأغلب الحروف الليبية<sup>1</sup>.

فتحت هذه الدراسات الأولى أبواب البحث حول الكتابة واللغة الليبيتين، ومن بين أشهر الباحثين في هذا الميدان نذكر: هاليفي (J. Halévy)، جوداس (A. Judas)، ريبود (V. Reboud)، فيدارب (Faidherbe)، شابو (J. B. Chabot)، حيث نشر الباحث جوداس سنة 1863م دراسة مفصلة حول الكتابة واللغة الليبيتين واقترح تسمية الليبية البربرية على اللغة والكتابة معاً<sup>2</sup>، بعدها نشر الباحث فيدارب مجموعة كاملة للنقوش الليبية سنة 1870م تضمنت بعض النقوش الصحراوية والتيفيناغ الحديثة، كما نشر في السنة نفسها الباحث ريبود المدونة الأولى للنقوش الليبية<sup>3</sup>، وفي سنة 1874م حاول هاليفي فك شفرة النصوص الليبية من خلال مقارنتها بالحروف الفينيقية غير أنه واجه عدة صعوبات خاصة فيما يخص أسماء الأعلام الموجودة في النقوش الليبية المزدوجة<sup>4</sup>.

تولى الباحثان غزال وشابو منذ مطلع القرن التاسع عشر ميلادي مهمة جمع النقوش الليبية بمختلف مناطق شمال إفريقيا وإعادة تصنيفها ومقارنتها ببعضها، تمكن بعدها شابو سنة 1940م من نشر مدونة النقوش الليبية التي تتضمن حوالي 1125 نقيشة من مختلف المواقع، ويعود أكبر عدد منها إلى تونس والشرق الجزائري<sup>5</sup>، وبناءً على هذا الإنجاز المهم واصل البحث في ذات الميدان الباحث جيمس فيرفرييه الذي نشر مقالاً له سنة 1956م ناقش فيه مدونة شابو لسنة 1940م<sup>6</sup>، وأشار إلى بعض النقائص وبعض الأخطاء التي تضمنتها، وفي سنة 1959م نشر أبحاثه حول الكتابة الليبية<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>- J. B. Chabot. (1940), *Recueil des inscriptions libyques*, Ed Imprimerie Nationale, Paris, PP : I, III.

<sup>2</sup>- لمزيد من الاطلاع ينظر المرجع: A. JUDAS (1863), *op.cit.*, P : 47

<sup>3</sup>- ينظر: Reboud. (1870), *Recueil d'inscriptions Libyco-berbères avec 25 planches et une Carte de la Cheffia*, Extrait des Mémoires de la Société Française Numismatique et d'archéologie, Paris.

<sup>4</sup>- Chabot, 1940, *op.cit.*, P : II.

<sup>5</sup>- Ibid., P : II.

<sup>6</sup>- ينظر المرجع: L. G. Février. (1956), « Que Savons-nous du libyque » *Recueille Africain*, N°100, Alger

<sup>7</sup>- ينظر المرجع: Février, 1959, *op.cit.*, P : 47

تمثلت من جهة ثانية أبرز الدراسات في مجال اللغة الطارقية في أعمال شارل دو فوكو (Ch. De. Foucauld)، الذي نُشرت أعماله بعد وفاته سنة 1951م في شكل قاموس طارقي فرنسي يتكون من أربعة أجزاء، يتضمن جميع قواعد لغة التمهاق ومختلف تفاصيل حياتهم الاجتماعية ويعتبر مرجعاً أساسياً لكل الدراسات المتعلقة بالكتابة واللغة الليبية البربرية<sup>1</sup>، ومع مطلع السبعينيات انظم إلى البحث في هذا الميدان مجموعة من المتخصصين في اللغة واللسانيات على غرار ليونال غالون<sup>2</sup> (L. Galand)، سالم شاكر<sup>3</sup> (S. Chaker)، محمد أغالي زكارا<sup>4</sup> (M. Aghali Zakara) وغيرهم.

يعد مشروع جمع كل الكتابات الليبية البربرية بمختلف أنواعها عبر مختلف مناطق انتشارها، ضمن موسوعة معلوماتية واحدة تحت إشراف كل من الباحث ليونال قالون وجانين دروين بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا التابعة لجامعة الصويرة بفرنسا، ودراسة محتواها عن طريق الوسائل والتقنيات الحديثة، من بين أبرز الدراسات المعاصرة في ميدان الكتابة واللغة الليبية البربرية، ازاحت هذه الدراسات جزءاً كبيراً من الغموض الذي يعتري أصول الكتابة الليبية البربرية وتاريخ ظهورها وانتماءاتها الأولى<sup>5</sup>.

### 2.3 أنواع الكتابة الليبية البربرية

تنقسم الكتابة انطلاقاً من مناطق انتشارها إلى: ليبية شرقية، ليبية غربية، ليبية صحراوية أو التيفيناغ بشقها القديمة والحديثة<sup>6</sup>، وقد عثر بعدد من المواقع بالصحراء على نقوش ليبية بربرية منجزة بطريقة التنقيط ترافق في أغلب الأحيان مشاهد الجمل، تمت المحافظة على هذا النوع لدى بعض الطوارق وهي ذات الكتابة التي اصطلح عليها التيفيناغ الحديثة وهي معروفة أكثر لدى النساء، غير أن

<sup>1</sup> ينظر: Foucauld (1951), *Dictionnaire Touareg -Français*, imp. Nationale, Paris 1951.

<sup>2</sup> Galand. 2002, op.cit., PP : 2-27.

<sup>3</sup> S. Chaker. (1984), *Texte en linguistique berbère*, N.R.S, Paris, PP : 7-291.

<sup>4</sup> M. Aghali Zakara. (2004), « De l'origine et la survivance des écritures libyco-berbère », Actes des colloques organisés à Casablanca, 12-2004, PP : 85-90.

<sup>5</sup> عباسي، المرجع السابق، ص: 68.

<sup>6</sup> Galand, 1999, op.cit., P : 143.

استعمالها يعد محدودًا كونها عبارة عن نصوص قصيرة تشبه البطاقات المختصرة التي يتواصل من خلالها الرحالة في الصحراء فيما بينهم، وتختلف بعض حروف التيفيناغ عن الحروف الليبية الشمالية من حيث النطق بينما تحتفظ بنفس الشكل والصورة، كما أن بعض الحروف الليبية غير موجودة ضمن كتابة التيفيناغ والعكس، وهذا ما دفع الباحثين للتخمين بأن الحروف تتبع اللهجات<sup>1</sup>.

### 1.2.3 الكتابة الليبية الشرقية

تنتشر مواقعها في المناطق الشرقية من شمال إفريقيا مثل شمال طرابلس، تونس، شرق الجزائر إلى غاية الحدود الشرقية لولاية سطيف، كما عثر على عدد منها بمنطقة القبائل<sup>2</sup>، وكشفت الأبحاث الأثرية سنة 1954م عن نصب أثري بمنطقة كرفالة<sup>3</sup> (Kerfala) (شكل 97) تولى دراسته الباحث الفرنسي بيار سلامة<sup>4</sup> (P. Salama)، عبارة عن نصب يعود إلى المرحلة التاريخية القديمة اتخذ كنموذج للبحث في جذور الكتابة الليبية الشمالية الأولى، يحتوي النصب على نصين: واحد على الواجهة الأمامية منجز بحروف ليبية شرقية، والثاني على الواجهة الخلفية يحمل حروف ليبية غربية<sup>5</sup>. يرى كامبس أن السبب في الاختلاف الملموس بين الأبجدية الليبية الشرقية ونظيرتها الصحراوية يمكن أن يعود إلى بعض التغيرات التي تعرضت إليها الأولى بسبب احتكاكها بالكتابة البونية في الشمال، في حين بقيت الكتابة الصحراوية بعيدة عن هذا التأثير واستمرت في تطورها حيث تظهر في الوقت الراهن في شكل التيفيناغ الحديثة<sup>6</sup>.

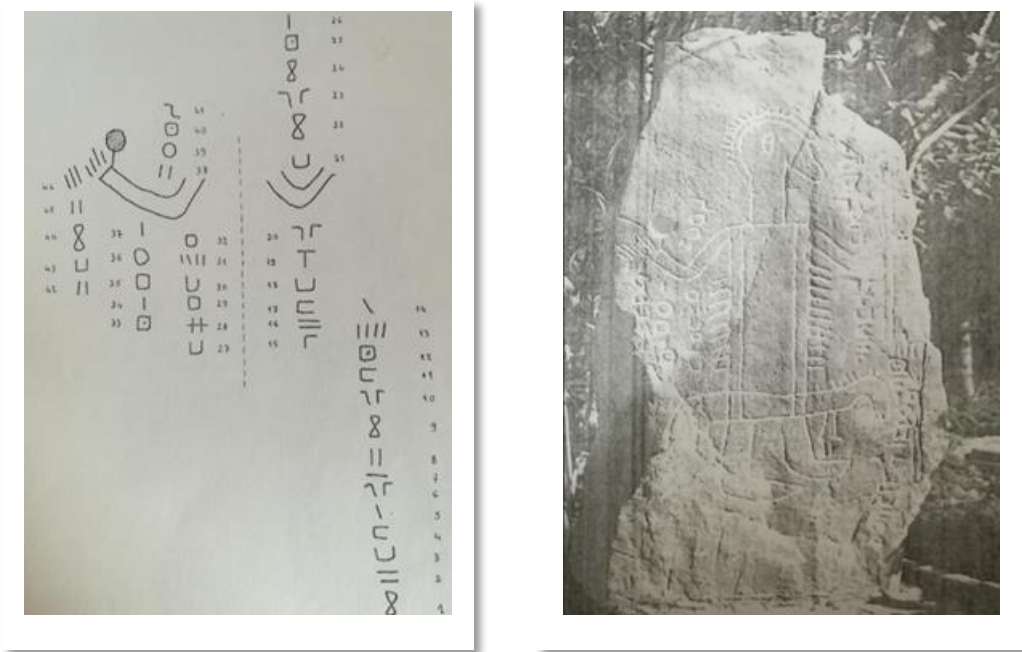
<sup>1</sup> - Gsell, 1928, T6, op.cit., PP : 87-88.

<sup>2</sup> - G. Camps. (1966), « Ecrire-écriture libyque », *Encyclopédie berbère*, XVII, éd. Edisud, Paris, P : 2565.  
<sup>3</sup> - كرفالة: عبارة عن موقع أثري يقع في بلدية القادرية ولاية البويرة (Google Earth).

<sup>4</sup> - P. Salama. (2005), « Kerfala, Stèle Libyque », *Encyclopédie Berbère*, XXVII, Paris, P : 4148.

<sup>5</sup> - S. Chaker. (1977), « Une inscription libyque du musée des antiquités d'Alger », *Libyca*, XXV, PP : 193-202.

<sup>6</sup> - G. Camps, 1966, op.cit., P : 2569.



شكل 97: مشهد يوضح الكتابة الليبية على الواجهة الأمامية لنصب كرفالة

المصدر: Salama, 2005 , PP : 131-132



شكل 98: نقوش ليبية اكتشفت خلال القرن التاسع عشر بمنطقة الشافية

المصدر: Le Quellec, 2011, P : 6

يعتقد بالمقابل عدد من الباحثين أن الكتابة الليبية تعود على الأغلب بجميع فروعها إلى أصل محلي واحد، ويعتبر نص دوقة المزدوج المؤرخ في حدود القرن الثاني قبل الميلاد، أول وثيقة عثر عليها مكتوبة بحروف ليبية بونية اتخذت كمفتاح ساعد على فك شفرة الحروف الليبية الشرقية، وقياساً على تشابه عدد من الحروف تمكن الباحثون لاحقاً من التعرف على عدد من الحروف الليبية الصحراوية<sup>1</sup>، كما عثر خلال القرن التاسع عشر ميلادي على عدد من الحروف الليبية الشرقية التي لازالت مجهولة بعدد من المواقع بالشرق الجزائري (شكل 98)<sup>2</sup>.

### 2.2.3 الكتابة الليبية الغربية

تنتشر المواقع الأثرية العتيقة الغنية بالكتابة الليبية الغربية على مساحة واسعة تمتد من وسط الجزائر وغربها<sup>3</sup> إلى غاية مشارف الصحراء، وفي المغرب الأقصى في عدد من المناطق الداخلية حيث تتركز في شمال الأطلس الأعلى وواد درعة أين تكثر مشاهد النقوش الصخرية، كما عثر على عدد من نقوشها بجزر الكناري، ويلاحظ أن أغلب مواقع نقوشها تتركز خاصة في المناطق الريفية، مع ذلك عثر على عدد من رموزها ببعض المناطق الشرقية على غرار قالمة ومنطقة الكاف في أقصى الشرق الجزائري<sup>4</sup>.

تحتوي الكتابة الليبية الغربية على عدد حروف يفوق عدد حروف الكتابة الليبية الشرقية، كما أن بعضاً من رموزها لا يزال غير معروف إلى اليوم نظراً لاختلاف الرموز بين مناطق انتشارها<sup>5</sup>، بينما تعد نصوصها قليلة جداً إذا ما قورنت بسابقتها وأشهر نقوشها نقيشة أعزيب نكيس بالأطلس الأعلى ونقيشة سهل متيجة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> محمد الصغير غانم. (1974)، «النقوش الليبية في شمال إفريقيا (المصطلح والرموز الكتابية)»، *مجلة المورد-تونس*، رقم 1369، دار الشؤون الثقافية العامة، الجزائر، ص ص 33-34.

<sup>2</sup> Le Quellec, 2011, op.cit., P : 5.

<sup>3</sup> يفصح، المرجع السابق، ص: 134.

<sup>4</sup> Camps, 1966, op.cit., PP : 2565-2567.

<sup>5</sup> Ibid., P: 2567.

<sup>6</sup> غانم، 1974، المرجع السابق، ص: 36.

تعد الدراسات فيما يخص الكتابة الليبية الغربية قليلة جدًا مقارنة مع الدراسات التي اهتمت بالكتابة الليبية الشرقية، يعود السبب في ذلك إلى امتزاج النصوص الليبية الشرقية في أغلب الأحيان مع الكتابات الأجنبية البونية والفينيقية واللاتينية، وهي كتابات معروفة سهلت من عملية استقراء الحروف الليبية الشرقية، لكن على وجه العموم تنتهي كلا الكتابتين إلى ثقافة محلية واحدة، كما تشترك الكتابة الليبية الغربية مع الكتابة الصحراوية في شكل ونطق عدد من الحروف ما يدل على أنها تعود إلى أصل مشترك، ويغلب على حروفها هي الأخرى الطابع الهندسي<sup>1</sup>.

### 3.2.3 الكتابة الصخرية الصحراوية

يشير الباحث مونود (Monod. TH) إلى أن الكتابة الصخرية في الصحراء قديمة جدًا ويمكن أن تعود إلى غاية 2000 سنة ق.م، كما أنها حظيت باستمرار عبر الزمن عكس الكتابة الليبية الشرقية والغربية، حيث لا يزال عدد من حروفها مستعمل لدى بعض القبائل المنعزلة إلى اليوم غير أنها أقل انتشارًا بكثير مما كانت عليه قديمًا<sup>2</sup>.

يرى الباحث سليمان حاشي هو الآخر أن الكتابة الصخرية الصحراوية تنتمي إلى مجموعة النقوش الجدارية التي شهدتها مناطق الصحراء الوسطى عموماً ومنطقة التاسيلي نازجر على وجه الخصوص، ذلك أنها رافقت نقوش مختلف مراحل الفن الصخري كما أنها أديت بنفس التقنية والأسلوب، إضافة إلى ذلك لا يزال الطوارق الحاليون يستعملون هذه الكتابة في الحياة اليومية، كما أنهم يتوافدون على نفس المواقع التي تتواجد بها محطات النقوش الصخرية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- L. Galand. (2002), « Etudes de linguistique berbère », dans Collections Linguistique, Ed. Peeters, Paris, PP : 7.

<sup>2</sup>- TH. Monod. (1932), Adrar Ahnet, Contribution à l'étude Archéologique d'un district, Institut d'Ethnologie, Paris, P : 131.

<sup>3</sup>- S. Hachi. (1998), « Une approche anthropologique de l'art figuratif préhistorique de L'Afrique du nord », Etudes et Documents Berbères, N° 15- 16, .P : 165.

يشير في ذات الصدد الباحث مونود إلى اكتشاف مواقع أثرية بالصحراء تتضمن حروفًا ليبية قديمة متنوعة، رجّح الباحث أنها عبارة عن تراتيل تتضمن أدعية لإنجاب الأطفال، نظرًا لكونها منجزة على مشاهد صخرية تتضمن مواضيع جنسية بمحطة أهناات بالقرب من جانت<sup>1</sup>.

وردت تسمية الكتابة الصخرية الصحراوية أيضا بمصطلح التيفيناغ وهي كلمة محلية مشتقة من الجذر آفغ في لغة الطوارق وتعني القيام بعملية الكتابة، تقابل في اللغة العربية كلمة التَّفَنُّق، مصدر للفعل تَفَنَّق بمعنى تنعم في عيشه وفي الأمر تَأَنَّق فيه<sup>2</sup>.

تختلف الحروف التيفيناغية من حيث النطق من جماعة بشرية إلى أخرى حسب اللهجة المحلية لكل واحدة، وتحتوي التيفيناغ القديمة على 34 حرفًا أما الحديثة فتحتوي على 26 حرفًا، في حين تغيب عنها حروف: العين، الحاء، التاء، الظاء والذال، كما أن الحرف الواحد يكتب بعدة أشكال مثل حرف الباء والجيم (جدول 5)، وتتكون هذه الكتابة من جمل قصيرة تتجه من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى، ومن اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، وتأخذ في بعض الحالات شكلًا تموجيًا وهي بذلك لا تتبع قاعدة ثابتة<sup>3</sup>.

تتكون التيفيناغ من الحروف الساكنة والأفعال الوصفية، ولا توجد فواصل بين الكلمات حيث تستمر الكتابة إلى غاية نهاية الفقرة<sup>4</sup>، لذلك تعتبر كتابة صامتة ذات نصوص قصيرة، هذا ما يجعل فك رموزها صعب للغاية بسبب غياب معظم المفردات القديمة إضافة إلى عدم خضوعها لقاعدة ثابتة من حيث اتجاه الخط (شكل 99)<sup>5</sup>.

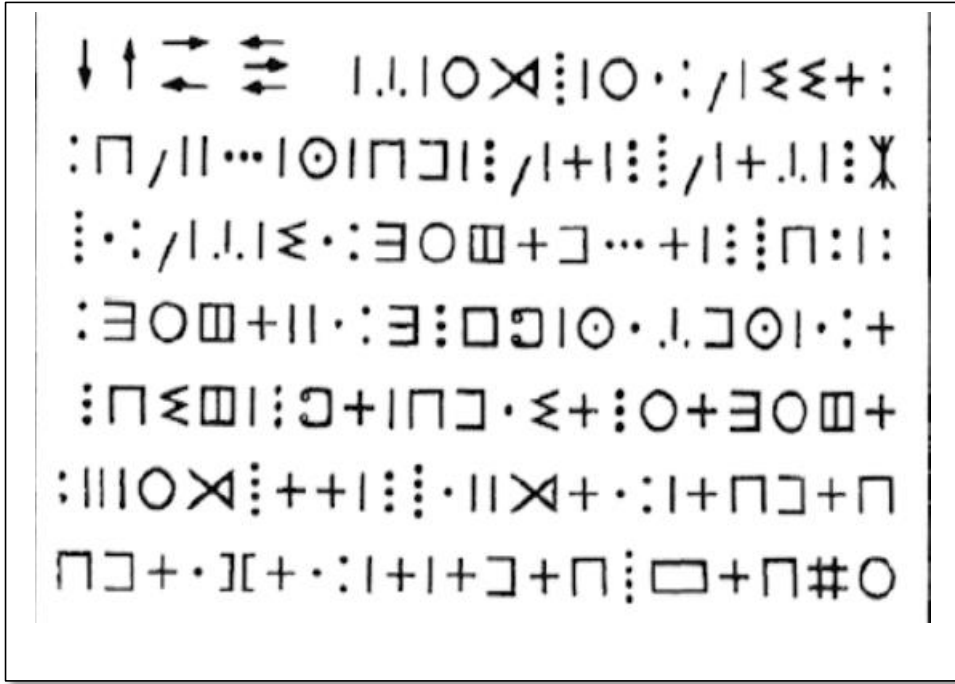
<sup>1</sup>- Monod, 1932, op.cit., P : 131.

<sup>2</sup>- م. جبران. (1981)، الرائد، معجم، ج1، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، ص: 426.

<sup>3</sup>- R. Ponot. (1973), « Six mille ans d'écriture », *Communication et langages*, N° 18, France, P : 56.

<sup>4</sup>- Le Quellec, 2011, op.cit., P : 5.

<sup>5</sup>- L. Galand. (1973), « Libyque et berbère », Ecole Pratique des Haute Etudes, France, P : 171.



شكل 99: حروف تيفيناغية تتجه من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين  
تعود إلى فترة فجر التاريخ بالتاسيلي.  
المصدر: Ponot, 1973, P : 60

تشارك الكتابات الليبية الثلاث في كونها لا تحظى بأي من الحركات النحوية ولعل هذا ما زاد من صعوبة استقرائها، كما أن عددًا من حروفها مستوحى من أشكال هندسية بسيطة متشابهة (جدول 4)، وقد عثر على عدد منها مختلطة برسوم ونقوش لحيوانات في عدد من المواقع على غرار: كاف المكتوبة بالجنوب الوهراني، خنقة الحجر نواحي قالمة، الشعبة النائمة جنوب غرب بسكرة، أنجزت هذه المشاهد بنفس الطريقة ونفس لون الزنجرة، كما أنها تشبه كثيرًا تلك العلامات المنجزة على بعض الفخاريات التي عثر عليها بمصر والتي تعود إلى زمن الأسرة الأولى وربما أقدم<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> -Gsell, 1928, T6, op.cit., PP : 90-92.

العربية	الفرنسية	الليبية الغربية	الليبية الشرقية	الليبية الصحراوية	التيغيناغ
أ	a	•	•	ا	•
ب	b	⊙ ⊙	⊙	⊙ ⊙	⊙
د	d	⌈	⌈	⌈	∧
ظني	ɸ				E
ف	f	⌈	⌈	H	⌈
ط	g	∟	∟	M N	∟
ج	g	∟	∟	∟	∟
هـ	h	≡	≡	≡	∴
خ	x	←	←		∴
ك	k			⌈	∴
ل	l			=	
م	m	⌈	⌈	⌈	⌈
ن	n	∟	∟	∟	∟
/	ñ	≠	≠		≠
ق	q	∟	∟	∟	∟
غ	ɣ	∟	∟	∟	∟
ر	r	⊙	⊙	⊙	⊙
س	s	∟	∟	∟	∟
ش	ch	∟	∟	∟	∟
ت	t	∟	∟	∟	∟
ط	t	∟	∟	∟	∟
و	w	=	=	=	=
ي	y	∟	∟	∟	∟
ز	z	∟	∟	∟	∟
j	j				
z	z	#	#	#	#

جدول 4: أشكال مختلف الحروف الليبية وما يقابلها في اللغة العربية والفرنسية

المصدر: عباسي، 2005/2004، ص: 51

التيفيناغ	الفرنسية	العربية	التيفيناغ	الفرنسية	العربية
]]	F	ف	•	A	أ
γ	G	ق	Θ	B	ب
...	Q		+	T	ت
::	K	ك	i	J	ج
	L	ل	::	X	خ
[	M	م	∧	D	د
	N	ن	O	R	ر
∴	H	هـ	Ж	Z	ز
:	W	و	⊙	S	س
ε	Y	ي	б	CH	ش
I	j		€	D	ض
#	Z		⌘	T	ط
			∴	V	غ

جدول 5: ترجمة الحروف التيفيناغية إلى اللغة الفرنسية والعربية.

B. Andre-Salvini. (2001), « L'écriture cunéiforme », *Dossier: المصدر: d'archéologie*, N°260, France, P : 17 (بتصرف)

## 3.3 أصل الكتابة الليبية البربرية

طرح إشكاليات عديدة بخصوص نسب الكتابة الليبية البربرية إلى جذورها التاريخية الأولى بين الأصل المحلي والأجنبي نتجت عنها عدة فرضيات، حيث ينسبها فريق إلى الكتابة العربية نظراً لتشابه بعض الحروف وبعض أسماء الأعلام والمناطق، غير أن قدوم العرب إلى شمال إفريقيا يعد متأخراً جداً إذا ما قورن بتاريخ ظهور الكتابة الليبية<sup>1</sup>، وهناك من يرى أن وجه التشابه إنما يعود إلى الكتابة العربية الجنوبية وبقيّة الكتابات السامية القديمة الأخرى نسبة لتشابه بعض الحروف من حيث الشكل<sup>2</sup>.

يرى فريق آخر أنها تعود إلى الكتابة الإيجية أو الإغريقية القديمة نسبة لتشابه بعض الحروف كذلك، غير أن أوجه الاختلاف كثيرة وتكمن في أن الكتابة الإيجية مقطعية وتحتوي على عدد كبير من الحروف مقارنة بالكتابة الليبية، كما أن غزال يشير إلى أن الحروف الإيجية ليست كلها ساكنة وبالتالي لماذا نقل الأفارقة أو الليبيين الحروف الساكنة فقط إذا كانوا فعلاً تبناوا هذه الكتابة<sup>3</sup>.

تنسب الفرضية الكلاسيكية الكتابة الليبية بما فيها التيفيناغ إلى الأصل الفينيقي، نسبة لتشابه ستة حروف<sup>4</sup>، كما أن الفينيقية تعتبر كتابة صامتة وكذلك الحال بالنسبة لليبية<sup>5</sup>، ويعتقد أن تسمية التيفيناغ المشتقة من الجذر أفنغ مستمدة من الأصل فينيقي الذي ينسب إلى الكتابة الفينيقية<sup>6</sup>، ويشير الباحث فيفرييه إلى أن الفينيقيين هم أول الوافدين إلى شمال إفريقيا منذ فجر التاريخ، في حين أرخت أول وثيقة مزدوجة عثر عليها بدوقة في حدود 139 ق.م وهو تاريخ متأخر مقارنة مع تاريخ دخول الفينيقيين<sup>7</sup>، لذلك يرجح أنصار هذا الفريق أن الليبيين تأثروا بالكتابات الفينيقية وتبنوا حروفها

<sup>1</sup> -Gsell, 1928, T6, op.cit., P :104.

<sup>2</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 103.

<sup>3</sup> -Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 104.

<sup>4</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit, P : 95.

<sup>5</sup>- Février, 1959, op.cit., P : 327.

<sup>6</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 95.

<sup>7</sup>- Février, 1959, op.cit., P : 323.

خصوصاً وأنه لا توجد دلائل على وجود كتابة تمهيدية تسبق ظهور الأبجدية بشمال إفريقيا، كما أن تسمية تيفيناغ قريبة ومتوافقة مع كلمة فينيقي<sup>1</sup>.

يعد نص دوقة المزدوج النص الوحيد الذي يحمل تأريخاً محدداً بالنسبة للسنة العاشرة من حكم ماسينييسا أي في حدود 139 ق.م تقريباً<sup>2</sup>، بعدها تواصلت التنقيبات اكتشف على إثرها الباحث كامبس نقيشة أعزيب نكيس (شكل 100) التي تعود إلى القرن السابع أو الخامس قبل الميلاد، في منطقة داخلية بعيدة عن التواجد الفينيقي<sup>3</sup>، وهي نقيشة تحتوي على 16 رمزاً لیبياً منجزة بنفس تقنية وأسلوب بقية النقوش الليبية المجاورة، كما تتضمن نقوشاً لأسلحة معدنية تعود إلى عصر البرونز حسب الباحث ج. مالوم<sup>4</sup> (J. Malhomme)، كما عثر كامبس إلى جانب الاكتشافات السابقة الذكر على فخار بموقع تيديس يحمل ثلاثة حروف ليبية، أُرِخ في حدود 250 ق.م، وهي تواريخ مناقضة لتاريخ نقيشة دوقة الأمر الذي استوجب إعادة النظر في نسب الكتابة إلى الأصول الفينيقية<sup>5</sup>.

عثر الباحث الفرنسي كادني (Quadney) في سنة 1822 م لأول مرة على رموز من كتابة الطوارق، وفي سنة 1849 م قدم الباحث سولسي (Saulcy) عدة ملاحظات حول التيفيناغ بعد مقارنتها مع حروف الكتابة الليبية، حاول الفرنسيون خلال هذه الفترة وضع قاموس فرنسي-ليبي لترجمة الكتابة الليبية إلى الفرنسية، من أجل نسب هذه الكتابة إلى الأصل الليبي أو الفينيقي<sup>6</sup>.

نتج عن هذه الدراسات اختلاف كبير لدى الباحثين، حيث ينسبها كل من الباحثين فيفرييه (J.G. Février) وهانيتو (A. Haniteau) إلى الأصل الفينيقي انطلاقاً من تشابه بعض الحروف، في حين يرى براس (K. Prasse) أن الكتابة الصحراوية محلية، وأن كلمة تيفيناغ هي تسمية تعود إلى لغة الطوارق التي حافظت على جذورها منذ النيوليتي ولا علاقة لها بالفينيقية<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>- عباسي، المرجع السابق، ص: 86.

<sup>2</sup>- G. Camps. (1980), *Les berbères aux marges de L'histoire*, Ed Des Hespérides, France, P : 278.

<sup>3</sup>- Camps, 1966, op.cit., P : 2571.

<sup>4</sup>- J. Malhomme. (1960), « L'inscriptions des Azib-N-Ikis », B.A.M, T4, PP : 411-417.

<sup>5</sup>- Camps, 1966, op.cit., P : 2571.

<sup>6</sup>- Galand, 1973, op.cit., P : 170.

<sup>7</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 104.



شكل 100: نقيشة أعزيب نكيس بالأطلس الأعلى

المصدر: Camps, 1966, P : 2571

وردت كلمة التيفيناغ بصيغة الجمع المؤنث في لغة التمهاق الخاصة بالطوارق، مفردتها كلمة تيفنق أو أفناي التي يقصد بها الطوارق الرموز الخاصة بكتابتهم، وتطلق على نوعين من الكتابة: التيفيناغ الحديثة (Néo-Tifinagh)، التيفيناغ القديمة الأصلية التي لازالت تستخدم إلى اليوم من قبل طوارق الصحراء بالجزائر، ليبيا، مالي، النيجر، بوركينا فاسو، نيجيريا، غانا، الكوديفوار، السودان، التشاد، بمعنى حتى لو كانت الكتابة التيفيناغية الحديثة مشتقة من الفينيقية فلا يعني أن هذا ينطبق على التيفيناغ القديمة، كما أن الجذر أفنغ يعني كتابة مثلما هو شائع لدى طوارق أدرار الإفوراس، حيث تعني الجملة ( أفنغ فال آكال = الكتابة على الأرض )<sup>1</sup>، إضافة إلى ذلك يستخدم الجذر أفنغ للدلالة على أثر تنقل القبائل الطارقية المختلفة، هذا ما يعتبر كدليل آخر يؤكد محلية هذه الكتابة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 9.

<sup>2</sup>- Galand, 1999, op.cit., P : 71.

تتميز الكتابة الليبية القديمة بأن عددًا من حروفها مستوحى من الفن الليبي الذي يظهر على مستوى زخارف الفخار والأوشام والنسيج، كما تظهر بعض أشكاله رفقة المشاهد الصخرية في عدد من اللوحات التي تعبر عن احتمالية انتقال الكتابة من الصورة إلى التخطيط، حيث تشير الباحثة مليكة حشيد في هذا الصدد إلى أشكال الكتابة الصخرية التي رافقت مرحلة الحصان المؤرخة في حدود 1500 ق.م، وبذلك تكون الكتابة الليبية البربرية سابقة لقدم الفينيقيين ما يؤكد عل محليتها<sup>1</sup>، ويتوافق امتداد الكتابة مع امتداد اللغة البربرية وتعدد اللهجات الليبية غير أنها تستخدم نفس الجذر بالنسبة للكتابة<sup>2</sup>.

تعد الكتابة التيفيناغية بمثابة الكتابة الأولى للبربر الصحراويين، كما وجدت عدة نقوش تحمل رموز تيفيناغية تعود إلى قبائل الجرامنت في كل من فزان والمنطقة الممتدة بين تادراوت أكاكوس وتاسيلي نازجر، المؤرخة في حدود القرن السادس ق.م، إضافة إلى ذلك تتركز الكتابة التيفيناغية بشكل أساسي في أماكن استقرار الطوارق في كل من: الهقار، التاسيلي، أكاكوس، أدرار الإيفوراس، وتظهر نقوشها بزنجرة فاتحة تتواجد أساسا بالقرب من نقاط توفر المياه الدائمة، لذلك يرجح أن يكون لها علاقة عقائدية متعلقة بالطقوس المرتبطة بالمياه<sup>3</sup>.

يكمن الاختلاف بين الكتابة البونيقية والكتابة الليبية البربرية في كون الأولى تعتمد على خطوط مرنة ومستديرة في حين تتميز الثانية بأشكال هندسية ذات زوايا، وهذا ما يطرح الاعتراض على أن الأبجدية الليبية مستوحاة من الأبجدية الفينيقية، كما أن اتجاه أغلب نصوص الكتابة الليبية وخاصة الصحراوية من الأسفل إلى الأعلى بدءًا من اليمين، يختلف تمامًا عن الكتابات السامية التي تتجه أفقيا من اليمين إلى اليسار<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- Hachid, 2000, op.cit., P : 187.

<sup>2</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 105.

<sup>3</sup>- Hachid, 2006, op.cit., P : 107.

<sup>4</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 103.

يعد الفينيقيون من الشعوب البحرية التي تفضل العيش في السواحل، لم تتجاوز مستوطناتهم المناطق الساحلية لشمال إفريقيا، هذا ما جعل تأثير كتابتهم بعيدا عن مناطق الصحراء الكبرى، وعليه لم تتأثر الكتابة الليبية الصحراوية بالكتابة الفينيقية، على عكس الكتابة الليبية في المناطق الشمالية: شمال ليبيا وتونس، والشمال القسنطيني، بحكم الاحتكاك بين الطرفين، كما حافظت التيفيناغ على أصولها المحلية إلى غاية اليوم، وبالرغم من قلة التعامل بواسطتها إلا أنها تعتبر الكتابة التقليدية للطوارق الذين يعتبرونها كتابة وطنية خاصة بهم تميزهم عن العرب والزنوج الأفارقة ولغاتهم<sup>1</sup>.

#### 4- التوزيع الجغرافي لمشاهد الكتابة الليبية البربرية

تمتد نقوش الكتابة الليبية البربرية على مساحة واسعة من مصر إلى المحيط الأطلسي ومن البحر المتوسط إلى جنوب الصحراء، كما عثر على عدد من آثارها بجزر الكناري<sup>2</sup>، حيث امتدت هذه النقوش عبر كافة شمال إفريقيا والصحراء من مصر السفلى وشبه جزيرة سيناء شرقا، مرورًا بإقليم طرابلس وبرقة إلى غاية جزر الكناري غربًا، ومن المتوسط شمالًا إلى غاية مالي والنيجر وتشاد جنوبًا<sup>3</sup>.

اكتشف الباحث دوفال (Lottin De Laval) سنة 1847 م نصًا منقوشًا بحروف ليبية يشبه جزيرة سيناء، كما امتدت النقوش الليبية على طول السواحل الأطلسية إلى غاية الحدود الشرقية للسينغال والرأس الأخضر، وهي نقوش مشابهة للكتابة الليبية الغربية والتيفيناغ، أرخت بعض مواقعها في حدود القرن العاشر الميلادي، ربما تشير إلى استمرارية هذا النمط من الكتابة عبر التاريخ في المناطق التي عمرت فيها سابقًا<sup>4</sup>.

تنقسم النقوش الليبية البربرية وفقًا لمناطق انتشارها إلى ليبية شرقية وغربية وصحراوية كما سبقت الإشارة إليها، غير أنها تتميز حسب الباحث شاكر بوحدة عميقة في جميع أنحاء انتشارها من حيث وحدة الشكل والقيمة، ولا تتجاوز الاختلافات فيما بينها اختلاف اللغات أو اللهجات المنطوقة،

<sup>1</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 99.

<sup>2</sup>- Ibid., P: 97.

<sup>3</sup>- Hachid, 2000, op.cit., P : 178.

<sup>4</sup>- Ibid., P: 178.

وبذلك يمكن الاعتقاد بوجود أصل مشترك للكتابات الليبية البربرية بناءً على أماكن انتشارها، أشكالها، واستمراريتها<sup>1</sup>.

تركزت أغلبية النقوش الليبية وخاصة الشرقية في المناطق التي تأثرت بالتواجد الفينيقي، على غرار بعض المواقع من الشرق الجزائري والشمال القسنطيني، تونس، وبعض المناطق من المغرب الأقصى وهذا ما جعل البعض ينسبها إلى الأصل الفينيقي<sup>2</sup>، بينما تتوزع بقية النقوش الليبية وخاصة الصحراوية ضمن مشاهد صخرية في معظم أنحاء شمال إفريقيا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الصحراء الكبرى جنوبًا ويضاف إليها جزر الكناري، لكن تتباين كرونولوجية تأريخ هذه المشاهد بين مختلف المناطق المذكورة<sup>3</sup>.

عثر فريق بحث بقيادة مليكة حشيد في السنوات الأخيرة، على مواقع صخرية بشمال شرق الجزائر تحتوي على رموز هندسية مطابقة لتلك التي اعتاد القفصيون على تزيين قشور بيض النعام بها<sup>4</sup>، وتتركز أهم المواقع التي تميزت بهذا النوع من المشاهد في كل من الأطلس الصحراوي، مرتفعات التاسيلي (جدول 6)، الهقار، مرتفعات الأيير والهضبة النيجيرية إضافة إلى تخوم السودان<sup>5</sup>، ومن بين أبرز الأمثلة نذكر موقع الريشة وكاف المكتوبة بنواحي أفلو على مستوى الأطلس الصحراوي، أين عثر على عدد من الرموز الهندسية على غرار: الصليب والمثلثات وعدد من الخطوط ورموز أخرى بسيطة على نفس اللوحات الحاملة للمشاهد الصخرية<sup>6</sup>.

1- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P: 97.

2- Ibid., PP : 98-99.

3- Solignac, 1928, op.cit., P : 96.

4- Hachid, 2001, op.cit., P : 185.

5- Solignac, 1928, op.cit., P : 96.

6- Flamand, 1921, op.cit., P : 330.

عدد الكتابات		عدد المحطات	أسماء المواقع
المرسومة	المنقوشة		
04	18	04	تيمراس
	01	01	زفاط
	03	02	تيكادن ناياران
	11	06	تيغاتيمين
	01	01	إن ديبيران
03		03	تيكوباوين
	02	01	جابارين
	10	03	تيغار غارت
02	01	02	قلعة آصار
	02	01	تين تغيرت
02		01	إصنديلان
18	01	01	إيمورودان
	04	02	إكاهامان
	03	01	تين سفقر
01		01	تين سبوك
	02	02	تيسهاتي
03		02	أمان صمدنين
	01	01	تاكيسات(الضفة اليمنى)
	01	01	إدوكال
	01	01	أقدادان
	03	03	تيدوناج
	02	02	أزاروف
	01	01	تين تيكارت
	01	01	وان أكلي
	01	01	إن جران
	01	01	إن ديبيران(بوادي أريكين)
	01	01	وان آهار
01	02	02	البريج
34	74	49	المجموع 28
108			

جدول 6: جرد لمواقع نقوش الكتابة الليبية البربرية بالتاسيلي نازجر  
المصدر: عباسي، 2005/2004، ص: 79.

كشفت التنقيبات من جهة ثانية بالصحراء الوسطى وبالتحديد في موقع فزان على عدد من الرموز المؤرخة في حدود القرن الثاني الميلادي، وفي ضريح تين هينان بالهقار عُثر على كتل صخرية تحمل نقوشاً متقطعة من كتابة التيفيناغ التي قد تعود إلى القرن الخامس الميلادي، كما اكتشفت العديد من المواقع الصخرية التي تحمل رموزاً ليبية مماثلة بمواقع متفرقة بالمغرب الأقصى وأبرزها واد درعة، غير أن الجدير بالذكر أن معظم هذه الرموز يكاد يتطابق في أحيان كثيرة مع تلك الرموز التي رافقت المشاهد الصخرية منذ المرحلة الطبيعية القديمة المستوحاة من أشكال نباتية وهندسية<sup>1</sup>، لعل هذا ما يثير الاعتقاد بوجود صلة قوية بين المشاهد الصخرية والرموز والكتابة الليبية البربرية، عرفت هذه الصلة نوعاً من الاستمرارية التي تظهر على مستوى الرموز المرافقة للكتابة خلال الفترات التاريخية.

يمكن أن يعود السبب في انتشار مواقع الكتابة الليبية البربرية على مستوى هذه المناطق الشاسعة إلى الهجرة البشرية التي لم تتوقف عبر مختلف المراحل الزمنية، كما يشير كامبس في هذا الشأن إلى تشابه حروف الكتابة الليبية البربرية مع الأبجدية التي عثر عليها في جنوب غرب اسبانيا المؤرخة في حدود 2000 ق.م، حيث يفسر هذا التشابه بوجود علاقات بشرية بين شمال إفريقيا وجنوب اسبانيا ساهمت في انتشار هذه الكتابة وانتقالها إلى جزر الكناري<sup>2</sup>، وبالتالي يطرح التساؤل في هذا الشأن: إذا كانت الكتابة الليبية البربرية شائكة من حيث الإنجاز والاستقرار حيث لا تخضع لقواعد وضوابط نحوية، كيف انتشرت عبر كافة هذه المساحة الشاسعة، كما أنها عمرت مدة هامة من الزمن؟

##### 5- الكرونولوجية التاريخية للكتابة الليبية البربرية

تضاربت الفرضيات حول تاريخ ظهور الكتابة الليبية البربرية بين من يعزوها إلى أواخر الفترة النيوليتية نسبة لظهور رموزها ضمن مشاهد مرحلي الحصان والجمل<sup>3</sup>، وبين من ينسبها إلى القرنين

<sup>1</sup> - Hachid, 2001, op.cit., P :181.

<sup>2</sup> - عباسي، المرجع السابق، ص: 70.

<sup>3</sup> - Hachid, 2000, op.cit., P : 187.

السادس أو الخامس قبل الميلاد بناءً على تأريخ نقيشة أعزيب نكيس بالمغرب الأقصى<sup>1</sup>، في حين يرى فريق ثالث أنها تعود إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد نسبة لنص دوقة المزدوج<sup>2</sup>.

أشار في ذات الصدد الباحث كارل براس (Karl Prasse) سنة 1972 م إلى أن النقيشة الوحيدة التي تحمل تاريخاً محدداً هي نقيشة معبد ماسينيسا، ولا توجد بالمقابل نقيشة أخرى تشير إلى تواريخ واضحة وبناءً على هذا المنطلق اعتبر الباحث أن التاريخ الفعلي لظهور الكتابة بشمال إفريقيا لا يمكن أن يتجاوز القرن الثاني قبل الميلاد<sup>3</sup>، حيث تحط المصادر الإغريقية القديمة من أقدمية تاريخ ظهور الكتابة الليبية إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد، يؤيد هذا الرأي الباحث الفرنسي جيمس فيفرييه (J.G. Février)، الذي يرى أنها تفرعت عن الكتابة الفينيقية منذ القرن الثاني ق.م<sup>4</sup>.

يخالف الباحث كامبس كلاً من براس وفيفرييه في نسب تاريخ ظهور الكتابة الليبية البربرية إلى القرنين الثاني أو الثالث قبل الميلاد، حيث أشار إلى نقيشة أخرى بالأطلس المغربي المكتشفة من قبل الباحث ج. مالوم (J. Malhomme) ما بين 1959-1960 م بموقع أعزيب نكيس، التي أرخت في حدود 500 ق.م تقريباً، فتح هذا الاكتشاف المجال أمام المزيد من التنقيبات واقتراح تواريخ أقدم<sup>5</sup>، حيث عثر في نفس الموقع على بقايا أثرية لأسلحة معدنية تعود إلى نفس الفترة، وقد أثارت هذه الخصوصية سيلا من النقاشات العلمية بين المختصين، اعتبرها أغلبهم بمثابة حجة لصالح أقدمية الكتابة الليبية البربرية وتجدرها في أعماق التاريخ<sup>6</sup>.

يرى مجموعة من الباحثين على غرار: كريستيان دوبي (C. Dupuy)، هنري لوت (H. Lhote)، مليكة حشيد (M. Hachid)، أن جذور الكتابة الليبية تعود إلى أبعد من الألف الأولى وأنها غاية في القدم خاصة في مناطق: الأطلس الصحراوي، الصحراء الوسطى، مرتفعات الأير وأدرار الإيفوراس،

1- Camps, 1966, op.cit., P : 2571.

2- Février, 1959, op.cit., P : 321.

3- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 98.

4- Février, 1959, op.cit., P : 321.

5- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 98.

6- إسمهر، 2007، المرجع السابق، ص : 177.

حيث رافقت نقوشها مشاهد النقوش والرسوم الصخرية منذ مرحلة الأحصنة والتي تجانسها في الأسلوب والتقنية ولون الزنجرة، هذا ما يثبت أنها تعود إلى نفس الفترة أي في حدود 1500 ق.م أو أبعد من ذلك، ويعتمد تأريخها على تأريخ النقوش الصخرية نفسها لذلك يمكن أن تثبت الأبحاث تاريخاً أقدم للكتابة المحلية مستقبلاً<sup>1</sup>.

تميز النصف الأول من مرحلة الحصان بمشاهد العربات والأحصنة مع غياب الأبجدية، في حين تظهر في النصف الثاني من نفس المرحلة رموز الكتابة الليبية البربرية، التي تمتد مشاهدتها إلى مرحلة الجمل لتزين معظم مواقع النقوش الصخرية، وتتميز بزنجرة ذات لون فاتح دليل على أنها من بين النقوش الحديثة التي تنسب إلى نهاية الفترة النيوليتية<sup>2</sup>.

يشير رواد نظرية الأصل المحلي إلى أن الجذور التاريخية للكتابة الليبية تعود إلى مرحلتها الحصان والجمل، حيث لوحظ أن تجسيد المشاهد الصخرية قد بدأ يبتعد عن أسلوب الواقعية نحو الأسلوب التجريدي ذي الأشكال الهندسية التي تحولت مع فجر التاريخ إلى كتابة جدارية مقابل تراجع الرسوم والنقوش، حيث يُلاحظ كما أسلفنا الذكر تحول أسلوب إنجاز المشاهد الصخرية نحو الرداءة وعدم الإتقان، الذي تميزت به مشاهد المراحل القديمة على غرار المرحلة الطبيعية ومرحلة الصيادين والرعاة<sup>3</sup>.

تبرز المشاهد الصخرية بالجنوب الوهراني رموز الكتابة الليبية إلى جانب مشاهد العربات والأحصنة ويبدو أنها أنجزت بنفس الأسلوب، كما تشترك مع نقوش العربات في نفس لون الزنجرة، في حين أنجزت كتابة الصحراء إلى جانب مشاهد العربات والأحصنة إضافة إلى مشاهد لأشخاص مسلحين برماح ودروع دائرية ذات سمات ليبية، تبدو زنجرتها أقدم من نظيرتها في الجنوب الوهراني<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., PP : 97-98.

<sup>2</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 22.

<sup>3</sup>- Hachid, 2001, op.cit., P : 184.

<sup>4</sup>- Aumassip, 1993, op.cit., P : 23.

تشير مليكة حشيد إلى أن الجذور الأولى للكتابة يمكن أن تعود إلى فترة القفصيين منذ ما يعادل 10000 ق.م وعند الرعاة في حدود 7000 سنة قبل الميلاد بالصحراء، في شكل كتابة تصويرية ما قبل أبجدية ساهمت في وضع كتابة ليبية تطورت تدريجياً<sup>1</sup>.

يبدو واضحاً من خلال الدراسات الأثرية الحديثة بخصوص الكتابات الجدارية بشمال إفريقيا، أن أقدم تاريخ للكتابة الليبية البربرية يتجاوز قدوم الفينيقيين إلى شمال إفريقيا بفترة طويلة من الزمن، حيث أرخت بعض النصوص التيفيناغية في حدود نهاية الألف الثانية ق.م، في حين يعود تاريخ تأسيس أقدم المستوطنات الفينيقية إلى فجر التاريخ على غرار ليكسوس 1110 ق.م وأوتيكا 1000 ق.م، هذا ما ينفي الفرضية التي تنسب إدخال الكتابة إلى شمال إفريقيا مع قدوم الفينيقيين<sup>2</sup>.

يعد ظهور التيفيناغ الحديثة أبرز دليل على تجذر الكتابة واستمراريتها في المجتمع الطارقي المحلي، فهي عبارة عن تطور أبجدي عن التيفيناغ القديمة، وقد لوحظ اتساع رقعة استخدامها من ليبيا إلى الساحل الأطلسي ومن البحر المتوسط إلى جنوب الصحراء، كما تزخر مرتفعات التاسيلي بكم هام من هذا النوع من النقوش<sup>3</sup>، ما يؤكد على أصولها المحلية الضاربة في عمق التاريخ.

## 6- مميزات الكتابة الليبية البربرية

تتميز حروف الكتابة الليبية البربرية بمختلف أنواعها: الشرقية، الغربية، الصحراوية بأشكال هندسية بسيطة<sup>4</sup>، مثل النقاط، الخطوط المتوازية والمنكسرة والمنحنية والمتقطعة، إضافة إلى الدوائر والمثلثات والمربعات والصلبان وغيرها، حيث تبدو نقوشها على شكل خطوط مستقيمة ومتوازية ذات نصوص قصيرة<sup>5</sup>، رافقت بعض هذه الرموز والأشكال مشاهد الرسوم والنقوش الصخرية

<sup>1</sup>- Hachid, 2000, op.cit., PP : 185-186.

<sup>2</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 96.

<sup>3</sup>- M. Reygasse. (1932), *Contribution à l'étude des gravures rupestres et inscriptions Tifinar du Sahara Central*, Imprimerie Jules Carbonel, Alger, P : 62.

<sup>4</sup>- Hachid, 2007, op.cit., P : 173.

<sup>5</sup>- S. Gsell. (1901), *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Ed Libraire-Hachette, Paris, P: 95.

منذ مراحلها القديمة، وتكثر خاصة خلال مرحلة العربات أين تحول أسلوب إنجاز المشاهد نحو التخطيطي الذي يعتمد على التمثيل عن طريق الأشكال الهندسية<sup>1</sup>.

تتسم دراسة الكتابة الليبية بالصعوبة نظراً للتعقيد الذي يميز شكلها، حيث تنعدم الفواصل بين الكلمات<sup>2</sup>، إضافة إلى الطابع الصامت الذي يميز حروفها مع انعدام حروف العلة، وبذلك يمكن أن يكون لجملة واحدة أكثر من معنى<sup>3</sup>، كما تعد نصوص الكتابة الليبية متغيرة الاتجاهات فلا توجد قاعدة ثابتة مثل الكتابات القديمة الأخرى على غرار المسمارية والهيروغليفية وغيرها، حيث تكتب في شكل خطوط أفقية وتكون البداية من اليمين إلى اليسار وفي بعض الأحيان من اليسار إلى اليمين، وهذا ما يظهر على مستوى النصوص المزدوجة الليبية-البونية والليبية-اللاتينية، في حين تظهر بعض النصوص التي تحمل كتابة ليبية فقط في شكل خطوط عمودية تقرأ من الأسفل إلى الأعلى<sup>4</sup>.

يرى الباحث فيفرييه (Février. J) أن النقوش التي تتجه نصوصها من الأسفل إلى الأعلى هي الأقدم، أما الكتابة الأفقية فعلى الأرجح أنها متأثرة بالكتابة البونية، كما أن انتقال الحرف من الوضعية العمودية إلى الأفقية استوجب في أغلب الحالات تغير شكل الحرف، لعل هذا ما زاد من صعوبة استقراء النصوص الليبية<sup>5</sup>.

تتميز الكتابة الليبية الصحراوية بمجموعة من المواصفات من بينها: أنها تعتمد على نفس الأدوات المستخدمة في إنجاز النقوش الصخرية، كما أن وظائفها اقتصرت على الأغلب في البداية على تزيين الواجهات الحاملة للنقوش والإيماءات الطقوسية العقائدية، ثم أصبحت تجسد مصطلحات مستمدة من لغات المجتمع المحلي (جدول 7)، كما أن الكتابة الصحراوية ظلت بعيدة عن تأثير الكتابة الفينيقية مثلما هو شائع في المناطق الشمالية، وبذلك لم تشهد هذه الكتابة النصوص المزدوجة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - عباسي، المرجع السابق، ص: 71.

<sup>2</sup> - Hachid, 2000, op.cit., P : 179.

<sup>3</sup> - J. G. Février. (1959), *Histoire de l'écriture*, Ed Payot, Paris, P : 322, Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 103.

<sup>4</sup> - Février, 1959, op.cit., P: 322.

<sup>5</sup> - Ibid., P: 322.

<sup>6</sup> - Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 106.

النطق العربي	الاتجاه العمودي القراءة من أسفل إلى أعلى	الاتجاه الأفقي القراءة من اليمين إلى اليسار	ملاحظات
ا. هـ	III	≡	ألف غير مهموز يلفظ قريبا من الهاء، فيعده البعض هاء
ب	◻ ○	◻ ○	
ت	X	X	
ث	IIII	≡	يلفظ مشمما بالطاء
ج	⌒	⌒	
د	⌑	⌑	
ذ	I	II	يلفظ مشمما بالزاي
ر	○	○	
ز (1)	II	I	
ز (2)	X	II	يلفظ مشمما بالسين
س	C X	C X	
ش	W	W	
ص	T	T	
ض. ظ	I	I	يلفظ مشمما بالزاي
ط	IIII >	>	يلفظ مشمما بالثاء
ف	X	X	
ق	· ·	· ·	
ك	↑	↑	
ل	=	=	
م	⌑	⌑	
ن	I	I	
و	II	=	
ي	∨	>	

جدول 7: اتجاه الكتابة الليبية وطريقة نطقها باللغة العربية

المصدر: محمد البشير شنيقي. (2013)، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، ص: 103.

تتكون التيفيناغ من الحروف الساكنة والأفعال الوصفية، ولا توجد فواصل بين الكلمات حيث تستمر الكتابة إلى غاية نهاية الفقرة<sup>1</sup>، لذلك تعتبر كتابة صامتة ذات نصوص قصيرة، هذا ما يجعل فك

<sup>1</sup>- Le Quellec, 2011, op.cit., P: 5.

رموزها صعب للغاية بسبب غياب معظم المفردات القديمة إضافة إلى عدم خضوعها لقاعدة ثابتة من حيث اتجاه الخط<sup>1</sup>.

تكتب التيفيناغ القديمة غالبًا في شكل خطوط أفقية من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، وفي بعض الحالات تكتب من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى، كما عثر على عدد من النقوش التيفيناغية على شكل خطوط منحنية وحلزونية استمرت إلى غاية ظهور التيفيناغ الحديثة، وبذلك فهي تشترك مع الكتابة الليبية الشرقية في الشكل، وهو ما ساعد على فك شفرة بعض كلماتها في حين ظلت أغلب النقوش الصحراوية القديمة غامضة<sup>2</sup>.

تتميز الكتابة الليبية البربرية بأنها ليست موحدة بين مناطق انتشارها وذلك لأنها تعتمد على اللغة المحلية لكل منطقة، هذا ما يجعل حروفها ومفرداتها تختلف من منطقة إلى أخرى، لكنها تشترك جميعا في كونها كتابات محلية تعود إلى السكان الأصليين<sup>3</sup>، كما أن معظم حروفها مستوحاة من أشكال نباتية وحيوانية، هذا ما نلمسه في خط التيفيناغ الذي كتب به الطوارق بربر الصحراء المنتشرون بين موريتانيا، الجزائر، ليبيا، مالي والنيجر، وهو خط لا يزال مستخدما إلى اليوم على عكس الخط الليبي الذي تلاشى استعماله في وقت مبكر<sup>4</sup>.

يرى الباحثان سالم شاكر وسليمان حاشي أن الكتابة الليبية البربرية ظلت محدودة النصوص وذلك لأن منجزها يميلون إلى الطابع الرعوي الزراعي، لذلك لم يكن لها قواعد ومنهجيات محددة على عكس الفينيقية التي تركز بشكل واضح على الملاحة والتجارة، وعليه يمكن القول أن كل نوع من أنواع الكتابة يتجانس بشكل عميق مع نمط حياة منجزها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- Galand, 1973, op.cit., P: 171.

<sup>2</sup>- Camps, 1966, op.cit., P : 2568.

<sup>3</sup>- Le Quellec, 2011, op.cit., P: 3.

<sup>4</sup>- Ponot, 1973, op.cit., P: 55.

<sup>5</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 97.

تجلت استخدامات الكتابة الليبية البربرية على وجه العموم في شكل إهداءات أو نصوص قصيرة، دُونت على الحجر الرملي أو الفخار أو على مواد قابلة للتلف مثل الجلد والخشب وغير ذلك، وتعتبر على العموم بمثابة نتاج ثقافي لشعوب مرحلة ما قبل التاريخ وفجره بشمال إفريقيا، يشير صولينيّاك (Solignac) في هذا الصدد إلى أنها من انجاز البدو الرحل كونها مؤدات على إطلاقات بارزة على الصخور، كما أن أغلب نقوشها تتركز بالقرب من نقاط توفر المياه الدائمة بالنسبة للصحراء وتتسم بطابع ديني<sup>1</sup>، أما بالنسبة للشمال فتتوزع النقوش الليبية على طول الطرق الطبيعية وعلى حواف السهول وفي الممرات الجبلية الضيقة، قرب البحيرات، الوديان القديمة<sup>2</sup>.

يعد استخدام الكتابة من قبل بربر الصحراء لتدوين نصوص التراث الثقافي الطارقي محدودًا أو منعدماً، وذلك لأن أدهم شفوي ينتقل من جيل إلى آخر شفهيًا مثل الروايات والشعر، كما تختلف الحروف التيفيناغية من حيث النطق من قبيلة إلى أخرى حسب اللهجة المحلية لكل واحدة<sup>3</sup>.

## 7- اللغة

تعد دراسة اللغة الليبية القديمة موضوعًا شائكًا للغاية لعدم وجود أدلة واضحة حولها، كما أن المؤرخين القدماء على غرار هيرودوت، سترابون، بلييني الأكبر وغيرهم لم يذكروا أية معلومة تزيل عنها الغموض<sup>4</sup> إلا ما أشار إليه أغسطين لاحقًا، بأن القبائل الليبية كانت تتحدث بلغة واحدة ربما كان يقصد بها اللغة الليبية الأم بمختلف لهجاتها<sup>5</sup>.

تعتبر اللغة مجهولة بالنسبة لسكان ما قبل التاريخ بمنطقة التاسيلي نازجر وبقية مناطق شمال إفريقيا ولا يمكن للفن الصخري تحديد نوعها ولا نمطها، لكن من المؤكد أن المنطقة كانت عامرة بالسكان من أعراق مختلفة وهذا ما تثبتته البقايا الباليونوتولوجية، إذ يستحيل أن تعيش هذه الجماعات

<sup>1</sup>- M. Solignac. (1928), *Les pierres écrites de la berbèrie orientale (Est Constantinois et Tunisie)*, Imprimerie J. Berlier, Tunis, P : 142.

<sup>2</sup>- Flamand, 1921, P : 2.

<sup>3</sup>- Ponot, 1973, op.cit., P : 56.

<sup>4</sup>- يفصح، المرجع السابق، ص: 140.

<sup>5</sup>- Saint-Augustin. (1855), *La cité de dieu*, Traduction de Moreau, Le coffre, Paris, XVI, 6, [www.remarcle.org](http://www.remarcle.org)

البشرية دون لغة تواصل يفقهها الجميع ويتفقون على مفرداتها، حيث تتعرض اللغة للزوال ولا يمكن أن تكشف عنها اللقى الأثرية إلا إذا كانت مكتوبة وفقاً لقواعد معينة، غير أن ما عثر عليه من كتابات مرافقة للمشاهد الصخرية لم يرق إلى الكتابة ذات الضوابط النحوية والصرفية، التي يمكننا من خلالها استنباط نوع لغة التحوار لسكان ما قبل التاريخ<sup>1</sup>.

تجدر الإشارة إلى أن اللغة الليبية امتدت على مساحة واسعة على غرار الكتابة من البحر المتوسط إلى سواحل النيجر ووضفاف نهر السينغال جنوبيًا، ومن واحة سيوة بمصر شرقًا إلى غاية جزر الكناري غربًا، غير أن معظم مصطلحاتها تلاشت بسبب تعاقب الشعوب الأجنبية الوافدة إلى المنطقة منذ فجر التاريخ<sup>2</sup>، كما أشارت بعض الدراسات اللغوية إلى شيوع بعض الكلمات الليبية ضمن الهيروغليفية المصرية، إضافة إلى بقاء اللغة الليبية البربرية في بعض الواحات المصرية وخاصة واحة سيوة إلى حد اليوم، حيث تشير العديد من النصوص المصرية إلى أسماء أعلام وأفعال مدونة بالهيروغليفية ذات معنى ونطق ليبي، ما يدل على أن اللغة الليبية تميزت بمفردات خاصة تكلمها سكان شمال إفريقيا قديمًا، لكنها ظلت لغة غير معروفة تمامًا<sup>3</sup>.

بناءً على تشابه بعض الحروف التيفيناغية القديمة والحالية إضافة إلى التشابه مع الحروف الليبية الشمالية، فلا بد من تشابه بعض المفردات التي توارثها الأجيال عن أسلافهم، لذلك يشير الباحث إبراهيم العيد بشي إلى إمكانية التطرق إلى اللغة الحالية ومعانيها، ومقارنتها مع مضامين المشاهد والرموز المرافقة لها قدر الإمكان، من أجل الحصول على معلومات جديدة تخدم ميدان البحث حول ماهية وأهداف إنجاز مشاهد الفن الصخري<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- بشي، ج 4، المرجع السابق، ص ص: 49-51.

<sup>2</sup>- محمد الهادي حارش. (1992)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دار الهدى، الجزائر، ص: 13.

<sup>3</sup>- **Frédéric Colin. (1996)**, « Les Libyens en Egypte (XV<sup>e</sup> siècle A-C, II siècle A-C) onomastique et histoire », Thèse de Doctorant publiée par le site web de l'université de Bruxelles, [www.tel.archives-ouvertes.fr](http://www.tel.archives-ouvertes.fr), P : 88.

<sup>4</sup>- بشي، ج 4، المرجع السابق، ص ص: 53-54.

ظلت الكتابة الليبية منتشرة إلى حقب تاريخية متأخرة في المناطق الداخلية والأرياف البعيدة عن التأثير الأجنبي، ولعل هذا ما ساهم في استمرارها واستمرار أشكال التنظيم الاجتماعي المحلية عبر التاريخ مقابل زوال لغة وعادات الأجانب<sup>1</sup>، حيث توجد حالياً العديد من المفردات المشتركة التي تؤدي نفس المعنى بين عدد من المناطق على غرار المناطق التي يشغلها الطوارق جنوباً، بني ميزاب، الأوراس، منطقة القبائل، جزر الكناري، وغيرها، حيث تعد اللهجات الحديثة: الطارقية، الميزابية، الشاوية، القبائلية، الشنوية، الشلحية، سليلة اللغة الليبية الأم، وهذا ما يثبت أن الوحدة اللغوية تقوم على أساس منظومة متقاربة من الأفكار ولو اختلف المسلك الظاهري<sup>2</sup>.

يشير من جهته الباحث توماس جويل إلى أن الكتابة الرمزية ربما تدل على وجود لغة رمزية تفرعت عنها لغات ثانية، حيث تعتبر هذه الأخيرة في الأصل محاكاة للغة المفصلية الأم التي نشأت على الأرجح هي الأخرى عن طريق محاكاة الإنسان الأول لأصوات الطبيعة<sup>3</sup>.

## 8- مناقشة عامة

يلاحظ بالنسبة لشمال إفريقيا غياب نظام الكتابة ما قبل الأبجدية التي ميزت بقية كتابات العالم القديم، وهذا ما يطرح الانشغال حول كيفية ظهور الكتابة الأبجدية دون ظهور المراحل الكلاسيكية الممهدة لتطورها، جعل هذا الإشكال عددًا من الباحثين ينسبها إلى الأصول الأجنبية وخاصة الأصل الفينيقي نظراً لتشابه عدد من الحروف<sup>4</sup>.

يرى كامبس أن التشابه بين حروف الكتابة الفينيقية والليبية لا يتعدى ستة حروف من حيث الشكل والنطق، تتشابه ثلاثة منها مع الحروف البونية<sup>5</sup>، أما بالنسبة لكلمة التيفيناغ فهناك من يرجح أنها مشتقة من كلمة فينيقي (Phoenix) وبذلك فهم يُؤوّلون أن أصل التسمية فينيقي، لكن تجدر

<sup>1</sup>- حارش، 1992، المرجع السابق، ص: 13.

<sup>2</sup>- عقون، 2010، المرجع السابق، ص: 15-16.

<sup>3</sup>- Joël, 2003, op.cit., P : 274.

<sup>4</sup>- Chaker, hachi, 2000, op.cit., P : 101.

<sup>5</sup>- Camps, 1966, op.cit., P : 2569.

الإشارة إلى أن الفينيقيين ذاتهم لم يطلقوا على أنفسهم هذه التسمية وإنما أطلقها عليهم الإغريق، وبالتالي لا يعني تشابه بعض الأسماء أو المفردات الانتماء إلى أصل واحد<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد يشير الباحثان سالم شاكر وسليمان حاشي إلى أن كلمة آفنع عند الطوارق تعني أكتب، وتعني عند الليبيين القدماء الصندوق الذي يحمل الأغراض الجنائزية<sup>2</sup>.

تعد نقيشة أعزيب نكيس إحدى أقدم النقائش المؤرخة وقد عثر عليها في منطقة نائية بعيدة جداً عن قرطاج وعن السواحل ذات التواجد الفينيقي، في منطقة جبلية نائية بالجهة الشمالية الغربية لإفريقيا بعيدة عن طرق الاتصال الرئيسية، وهذا ما ينفي انتساب الأبجدية الليبية إلى الأصل الفينيقي، بالمقابل تركزت الكتابة الليبية الجنائزية في الجهة الشمالية الشرقية عكس الغربية، لعل هذا راجع إلى التأثير البونيقي أمّا في المناطق الجنوبية فالكتابة غير مرتبطة بالجانب الجنائزي<sup>3</sup>.

اتفق أغلب الباحثين على أن التيفيناغ الحديثة قد تطورت عن الكتابة الليبية<sup>4</sup>، غير أن الكتابة التيفيناغية تحتوي على حروف لا توجد في الكتابة الليبية، كما أن بعض حروف التيفيناغ تختلف عن الحروف الليبية من حيث النطق بالرغم من التوافق في الشكل، حيث ينطق حرف "ف" قافاً في التيفيناغ وحرف "ب" في الكتابة الليبية ينطق سيناً في التيفيناغ ربما يعود ذلك إلى اختلاف اللهجات بين المناطق، كما حظيت الكتابة الليبية باستمرارية حيث نقشت إلى جانب الكتابة الفينيقية واللاتينية ضمن نصوص مزدوجة عثر عليها في عدد من المواقع، تعود إلى الحقب القديمة وتستمر إلى اليوم في شكل التيفيناغ الحديثة مقابل زوال الكتابات الأجنبية ما يدل على أصالتها<sup>5</sup>.

تزرخ منطقة شمال إفريقيا بعدد من الكتابات المحلية التي يمكن أن تكون لها علاقة مع الكتابة الليبية على غرار: الهيروغليفية والهيراطيقية، الكتابة المتصلة أو الديموطيقية بالنسبة لمصر

<sup>1</sup> -Gsell, 1928, T6, op.cit., P : 105.

<sup>2</sup> - Chaker, Hachi, 2000, op.cit., PP : 122-123.

<sup>3</sup> - Ibid., PP : 98-99.

<sup>4</sup> - Salama, 1980, op.cit., P : 561.

<sup>5</sup> - حارش، 1992، المرجع السابق، ص: 137.

والسودان، وفي القرن الإفريقي يمكن الاستشهاد بأبجدية الجيز المستعملة في الكتابة الأمهرية (L'amharique)، كتابة الأورومو (L'oromo)، التغرينية (Tigrinya)، وهي كتابات حديثة تعود إلى القرن 19م، يشير لوكلاك بأنها كتابات انطلقت ربما من أصل مشترك واحد يتمثل في المشاهد الصخرية<sup>1</sup>.

يفسر تحول انجاز المشاهد الصخرية من الأسلوب الواقعي نحو التخطيطي على الأرجح ببداية اختصار الصور والمشاهد الحية في شكل رموز وعلامات قد تكون تمهيداً لابتكار الأبجدية، بمعنى بداية اختصار التفاصيل في أشكال هندسية أولية ذات زوايا متزايدة مثل: المثلث المقلوب الذي يمثل الصدر والحوض، والعصا التي تدل على الرأس في حين تمثل الأذرع على شكل خطوط مائلة، أما الأسلحة فتمثل بخطوط عمودية، لذلك لا يمكن النظر إلى الخطوط كأنها زخارف للترزين أو زخارف جمالية وإنما لآبد من أنها إشارات تحمل معاني وتشكل في مضمونها رسائل محدّدة، بالمقابل يلاحظ أن أغلب حروف الكتابة الليبية ذات أشكال هندسية مثلثة ومربعة وخطوط متوازية ومتعامدة ومتقاطعة<sup>2</sup>.

يعتقد الباحث لوكلاك الذي انظم إلى رأي كامبس أن الكتابة الليبية البربرية هي خلاصة الرموز التي ابتكرتها الشعوب الإفريقية، وهي ذات الرموز التي زينت مشاهد الحيوانات، حيث يتميز الشكل العام للكتابة الليبية بالمظهر الهندسي المشابه لشكل الرموز التي رافقت الجداريات، كما تظهر نفس الرموز على مستوى الأشكال التي تزين الفن البربري المعاصر وهو ما يطرح فرضية وجود كتابة تمهيدية أو ما قبل أبجدية يمكن البحث عنها ضمن الأشكال التي تزين الفخار والفن المنقول، المشاهد الصخرية، الأوشام، النسيج، زخرفة جدران المنازل، يدل من جهة ثانية حضور ذات الأشكال ضمن هذه الوثائق على أصلها المحلي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- Le Quellec, 2011, op.cit., P : 4.

<sup>2</sup>- Chaker, Hachi, 2000, op.cit., P : 100.

<sup>3</sup>- Le Quellec, 2011, op.cit., PP : 8-9.

يعتبر الباحث توماس جويل (Tomas Joël) النقوش الصخرية في حد ذاتها كتابة رمزية في مختلف مناطق العالم، حيث تقتضي الموضوعية العلمية في نظره إلى ضرورة استقراء المعنى وأنظمة التمثيل الرمزي في المشاهد الصخرية، ومقارنتها من أجل الوصول إلى معانيها وربما قواعد إنجازها<sup>1</sup>، ومن هنا ظهرت فكرة البحث عن النموذج الأصلي للأشكال التي تظهر ضمن المشاهد بالنسبة لعلماء الأنثروبولوجيا، حيث يرى الباحث إيمانويل أناتي (E. Anati) مدير مركز فال كامونيكا (Val Camonica) لدراسات ما قبل التاريخ، أنه توجد احتمالية اختزال الأساطير والمعتقدات المختلفة في نماذج أولية مشتركة بين الجماعات البشرية، وهذا ما يدعو إلى التفكير بوجود معتقد أصلي نموذجي للإنسان العاقل له مبادئ ومفاهيم أساسية محفوظة في شكل رموز دلالية<sup>2</sup>.

يرى من الناحية العقائدية الباحث لوكلاك احتمالية اختزال صور الحيوانات في شكل رموز طوطمية لكل جماعة بشرية، مهدت لظهور أبجدية تحمل معاني محددة، وهذا ما يعرف بالاختزال الرمزي<sup>3</sup>.

يجزم معظم الباحثين على أن أقدم الدعامات المكتوبة التي وصلتنا على العظام، الطين، الحجارة، الخشب، لا تعني أنها الوحيدة التي كتب عليها الإنسان فيمكن أنه استخدم مواد أخرى سريعة الزوال مثل الجلد، الرمل أو غير ذلك ربما تعرضت هذه المواد للزوال والانحلال بفعل الطبيعة ما أثر سلبًا على جمع ودراسة النصوص المكتوبة، يضيف الباحث لوكلاك في هذا الشأن أن المناخ بالصحراء قد أثر بشكل كبير جدًا على الأغلب على تطور النظام الأبجدي، بسبب عدم استقرار الجماعات البشرية في مكان واحد، على عكس الجماعات التي عمرت طويلا بالقرب من النيل المصري وبلاد الرافدين أين كان المناخ أكثر ملائمة للاستقرار ومن ثمة التفرغ للابتكار والإنتاج، لعل هذا ما شكل حاجزًا أو عائقًا أمام تطور الكتابة الليبية البربرية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- Joel, 2003, op.cit., P : 272.

<sup>2</sup>- Anati, 1999, op.cit., P : 106.

<sup>3</sup>- Le Quellec, 2011, op.cit., P : 2.

<sup>4</sup>- Ibid., PP : 2-3.

نخلص من خلال كل هذه النتائج التي قدمها المختصون في ميدان البحث، أنه لا يوجد ما يمنع من الاعتقاد بأن المشاهد الصخرية من رسوم ونقوش تعتبر بمثابة كتابة تصويرية حقيقية، تعبر عن مختلف تفاصيل حياة منجزها، ولا تنحصر في التزيين أو الجانب الروحي كما يعتقد البعض، وإنما تحمل أغراضاً أعمق يمكن الوقوف عليها من خلال مراجعة الكم الكبير من المعلومات التي قدمتها حول مختلف المجالات الحضارية التي رافقت إنسان تلك الفترة: الاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية والسياسية، ومن هذا المنطلق يفضل اقتراح تسمية أكثر شمولية للمشاهد الصخرية بدلا من تسمية الفن الصخري التي تضع هذا الموروث ضمن حيز ضيق جوهره الفن.

### حوصلة

أثبت سكان شمال إفريقيا عن امتلاكهم لوسيلة تواصل تمثلت في لغة خاصة بهم ومنظومة كتابية، لعل هذا ما يؤكد أن هؤلاء ابتكروا ثقافتهم الخاصة التي استطاعوا نقلها عبر الأجيال من خلال تدوينها في شكل رسومات ونقوش وأبجدية فتحت لهم الأبواب لدخول التاريخ.

تلعب النقوش الصخرية بمختلف أنواعها من مشاهد ورموز وكتابة دورا هاما في ابراز الجانب الثقافي لمنجزها، حيث تحمل مضامينها العديد من خصوصيات فترة ما قبل التاريخ وفجره والانسان الذي عاش فيها، كما تعتبر بمثابة قيمة علمية مضافة لفهم هذه المرحلة تساوي المصادر المكتوبة التي خلفها الانسان في مراحل أخرى، كونها توضح مسار تطوره بسرد بعض التفاصيل عن حياته ومعتقداته وأنشطته.

نظراً لأن معظم الكتابات القديمة مرّت بمرحلة تمهيدية أولى تمثلت في المرحلة التصويرية، فيمكن أن تكون مشاهد النقوش والرسوم الصخرية بمثابة كتابة تصويرية ما قبل أبجدية مهدت لظهور الكتابة الليبية بشمال إفريقيا، وتعد الكتابة الصخرية شكلا من أشكال التعبير الفني عن الأفكار البشرية، عبارة عن رموز هندسية يرجح أنها تطورت عن مشاهد الفن الصخري، لتشكل هذه الرموز في

مجمّلها حروفا هجائية تركب لتدل على معاني ومفردات مختلفة، وتعتبر التيفيناغ إحدى أنواع الكتابة التي تعود إلى عصور غاية في القدم وهي كتابة خاصة بالطوارق، تنتشر في مناطق من الصحراء الوسطى. تنتمي الكتابة الصخرية الصحراوية إلى مجموعة النقوش الجدارية التي شهدتها مناطق الصحراء الوسطى عموما ومنطقة التاسيلي نازجر على وجه الخصوص، ذلك أنها رافقت نقوش مختلف المراحل كما أنها أدت بنفس التقنية والأسلوب، إضافة إلى ذلك لا يزال الطوارق الحاليون يستعملون هذه الكتابة في الحياة اليومية، كما أنهم يتوافدون على نفس المواقع التي تتواجد بها محطات النقوش الصخرية.

خاتمة

## خاتمة

نخلص في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج التي نحاول من خلالها تقديم إجابات أو تعليقات للإشكالية المطروحة في بداية الموضوع، على شكل عدد من الأفكار المتسلسلة التي تربط البيئة بمختلف تفاصيلها بالإنسان ونشاطه ومدى تفاعله مع محيطه ونمط تفكيره وسلوكياته، من خلال ما يلي:

شهدت منطقة شمال إفريقيا والصحراء الكبرى تعاقب فترات مناخية متناوبة بين الجافة الباردة والممطرة الدافئة، ارتبطت هذه الفترات ارتباطاً وثيقاً بمناخ أوروبا فكلما امتد الجليد على القارة الأوروبية اشتدت البرودة والجفاف على شمال إفريقيا، بسبب انخفاض درجات الحرارة وتراجع ظاهرة التبخر بفعل انتشار الجليد على البحار والمحيطات وبالتالي تراجع التساقط والعكس، تؤثر هذه الظواهر المناخية على مختلف مظاهر الحياة بفعل انعكاسها على توفر المياه أو ندرتها.

ارتبط منسوب المياه بمنطقة الدراسة ارتباطاً وثيقاً بحالة المناخ، حيث يرتفع مستوى منسوب المياه خلال الفترات الرطبة سواء بالنسبة للمياه السطحية أو الجوفية من خلال مياه الأمطار، كما يساعد ارتفاع درجات الحرارة في عملية التبخر التي تعد مرحلة أساسية في دورة المطر، وتعد بداية مرحلة الهولوسين في حدود 10000 ق.م أهم مرحلة شهدت فيها المنطقة رطوبة كثيفة بعد طول فترة الركود المناخي.

تسببت فترات الجفاف بتراجع مستوى منسوب المياه في مختلف مصادره، حيث تحولت المنطقة إلى صحراء قاحلة إما بالبرودة التي ترتب عنها تجمد مصادر المياه، أو بالحرارة وما ترتب عنها من تبخر كبير في كميات المياه تاركة خلفها البقايا المعدنية والرملية، ويعد المناخ والمياه من أبرز العوامل الرئيسية المتحكمة في الاستقرار البشري، وتعتبر الفترة التي أعقبت نهاية الحضارة العاترية في حدود 20000 ق.م أشد الفترات جفافاً وقحولة بفعل الانخفاض الشديد في درجات الحرارة وتراجع نسبة

التساقط، فقد شهدت الصحراء خلال هذه الفترة تراجعاً كبيراً إن لم نقل انهداماً في التعمير البشري مع تراجع الغطاء النباتي والحيواني.

شهدت الصحراء خلال مرحلة الهولوسين عودة للتعمير البشري والغطاء النباتي والحيواني مع اعتدال المناخ، وتشكل جداريات الفن الصخري أفضل شاهد على التحولات المناخية خلال المرحلة النيوليتية، حيث تحمل اللوحات مشاهد لحيوانات لا يمكن أن تعيش إلا في بيئة رطبة كثيرة التساقط والكلأ، ويلاحظ أن مشاهد هذه الحيوانات تتراجع لاحقاً لتحل محلها أصنافاً أخرى تتلاءم مع البيئة الجافة على غرار الأغنام والماعز والجمال، كدليل على تذبذب المناخ وحلول فترات جفاف جديدة، هذا ما أكدته نتائج التحاليل الباليونتولوجية والترسبات الجيولوجية.

ارتبطت أماكن الاستقرار والتحركات البشرية منذ العصور السحيقة بحالة المناخ، الذي تجاوزت قدرته إلى حد التأثير على المواصفات الفيزيولوجية وحتى الأنثروبولوجية والثقافية للفئات البشرية، ومن ثم نشأ هذا التنوع الثقافي الذي انعكس في شكل مظاهر حضارات بشرية متنوعة على غرار الآشولية والعاترية والإبيرومغربية والقفصية والنيوليتية.

تشكل دراسة تأثير التغيرات المناخية على الجانب الاجتماعي والفكري جزءاً هاماً من البحث التاريخي التحليلي، كما تثبت الصناعات الحجرية والعظمية قدرة العقل البشري على خلق نوع من التفكير والإبداع يتماشى مع طبيعة المجال البيئي، وتعد مشاهد الفن الصخري أفضل دليل على نوعية الإنتاج الفكري لإنسان ما قبل التاريخ، فضلاً عن قدرتها على تحديد أماكن التنقلات والاتصال المبكر بين الفئات البشرية، كما تثبت المشاهد الصخرية وجود مزيج من الأجناس البشرية التي عمرت المنطقة (الجنس الأبيض والزنجي)، التي يرجح أن تعود أصولها إلى داخل القارة الإفريقية نفسها.

عرفت منطقة التاسيلي نازجر تنوعاً عرقياً منذ بداية مرحلة الهولوسين، حيث تدل مشاهد الفن الصخري إضافة إلى ما عثر عليه من بقايا عظمية وصناعات حجرية على وجود تنوع بيولوجي وثقافي،

ربما يفسر التنوع في مواضيع المشاهد الجدارية وأساليب وتقنيات إنجازها، أما بالنسبة لنقاط التشابه الكثيرة بين مشاهد الرسوم والنقوش فعلى الأرجح أنها ناتجة عن تطور الخبرات المترتبة عن التبادل الثقافي، الذي تولّد عن طريق الاتصال وتبادل الأفكار بين الفئات البشرية المختلفة، أو ما يصطلح عليه "علاقة التأثير والتأثر".

يعد الفن الصخري على الرغم من الكم الهام الذي يقدمه من معلومات تاريخية حول أوجه التعمير البشري وطبيعة المناخ والبيئة، موضوعاً في غاية الصعوبة من حيث التأريخ بسبب عدم نجاعة تقنيات التأريخ المختلفة مع الحجارة، لذلك اختلف الباحثون حول ضبط تاريخ محدد لظهور هذا الموروث وظروف اختفائه، ولعل هذا ما يفتح المجال أمام اقتراح تواريخ أسبق من فترة العصر الحجري الحديث الذي أُعتبر كمجال تقريبي لتحديد الفترة التي ينتمي إليها الفن الصخري، حيث ظهرت مؤخرًا فرضيات تنسب الجذور الأولى للمشاهد الصخرية إلى الفترة العاترية كون العاتريين عرفوا التلوين بالمغرة، كما أنهم استخدموا قشور بيض النعام التي لم تكن حكرًا على القفصيين، وعرفوا تزيين القشور بحزوز واستخدموها في صنع القلائد والأساور.

استطاع الإنسان أن يطوع الحجارة لخدمته منذ بداية العصور الحجرية الأولى، كما جعل منها سجلًا تاريخيًا ضخماً يحمل أغلب تفاصيل حياته اليومية، لينشأ الإشكال القائل بما أن الإنسان تمكن من التحكم في الحجارة منذ العصور الباليوليتية، لكنه لم يحاول التعبير عن مختلف نشاطاته وتفصيل حياته اليومية إلا مع حلول العصر النيوليتي، كما أن المرحلة النيوليتية لم تستغرق إلا ما يعادل 5/1 من الزمن مقارنة ببقية الفترات المتضمنة لبقية الحضارات البشرية السابقة، فما الذي جعل إنسان هذه المنطقة يتأخر في التعبير عن نفسه بالرغم من امتلاكه للتقنية؟ لعل هذا ما يعزز من شأن الفرضيات التي تدعو إلى اقتراح تواريخ أقدم لهذا الموروث.

يلعب الفن الصخري على الرغم من صعوبة دراسته أهمية كبرى في الكتابة التاريخية لمنطقة التاسيلي نازجر وشمال إفريقيا، حيث تشكل مواقع انتشار هذا الموروث خارطة جغرافية بمفهومها القديم تسمح بتتبع مسار تيار الهجرات البشرية وأماكن استقرارهم، فضلا عن المعلومات التي يقدمها حول نمط حياتهم وبيئاتهم ومراكز الاتصال المختلفة.

يشكل الفن الصخري في مضمونه سجلا تاريخيا أثريا جد موثوق حول مظاهر الحياة الاجتماعية لمنجزيه بمختلف تفاصيلها على غرار الاستئناس، الزراعة، نوعية اللباس والزينة، ملامح الحياة اليومية وما تشمله حول الأشخاص، العلاقات الاجتماعية، الأسرة، مكانة المرأة والأطفال وغيرها، تمكن الباحثون من خلال هذا التنوع إعادة بناء جزء من الجانب الفكري لإنسان ما قبل التاريخ، الذي يسمح بتصوير نمط المعيشة التقريبي لمعمري هذه الفترة.

تتضمن العديد من المشاهد الصخرية مواضيع توضح نوعية النشاط اليومي للسكان من رعي وصيد، وفي بعض الأحيان مشاهد الحروب والصراعات التي تبين الأشخاص في شكل جماعات متزايدة العدد بحسب ما تتطلب هذه الأعمال من تعاون جماعي، كما تبرز إلى جانب ذلك علاقة الأسرة بالمجتمع ومختلف الروابط الاجتماعية ومكانة كل فرد، ما يدل على أن مجتمعات ما قبل التاريخ كانت تخضع لضوابط وأنظمة وربما لقوانين.

اتسمت فئة الرجال بالقوة وتولي القيادة، في حين حظيت المرأة بمكانة عالية في المجتمع كونها تشكل النواة الأولى للأسرة، فقد اقترنت مشاهدها بفكرة الخصوبة والإنجاب وتلعب دورا هاما في الجانب الاقتصادي، حيث تنسب إليها الزراعة والقطف وصناعة الفخار، إلى جانب دورها الاجتماعي والسياسي فقد بينت المشاهد إدارتها لشؤون الأولاد والأسرة وفك النزاعات على غرار مشهد العجوز والرماة في جبارين، ودورها في التعليم مثل مشهد الساحرة والفتاة الصغيرة في أونرحات، كما حظيت فئة الأطفال بشأن كبير مثلما تبرزهم المشاهد الطقوسية إلى جانب مشاهد الأمومة التي تبين الاهتمام الكبير بهذه

الفئة، وهذا ما تثبته القبور الجنائزية التي عثر عليها في عدد من المواقع بمنطقة التاسيلي نازجر وما جاورها.

ارتبطت المظاهر الاجتماعية بالمظاهر التعبدية ارتباطاً وثيقاً منذ القدم، حيث توضح المشاهد الصخرية اقتران الملامح الطقوسية بمختلف الممارسات اليومية، نظراً لارتباط فكرة الحياة والاستمرار بالشعور الروحي النابع عن الخوف أو العجز، على غرار مظاهر تقديس المياه المرتبطة بمبدأ الخصوبة والإنتاج.

أثبتت عملية استقراء المشاهد الصخرية بمنطقة التاسيلي نازجر والصحراء، وجود تشابه في بعض النقاط مع المجتمعات الحديثة على غرار معتقدات الاستمطار وارتداء التمام الوقائية لدفع الضرر والطاقة السلبية، ما يشير إلى وجود استمرارية تأثير معتقدات مجتمع ما قبل التاريخ في ذهنية المجتمع المحلي الحديث مع مرور الزمن.

يثبت التشابه بين الرسوم والنقوش الصخرية في عدد من المواقع بالتاسيلي نازجر مع نظيرتها على ضفاف نهر النيل والسودان وعدد من المناطق بالصحراء الكبرى، من حيث أسلوب وتقنيات الإنجاز، الألوان، المواضيع، وغير ذلك وجود تقارب من حيث المعتقد الروحي والفكري للمجتمع المحلي مع المجتمع المصري القديم وبقية المجتمعات الإفريقية، لعل هذا ما يبرهن على وجود تواصل فكري وتأثير حضاري مشترك منذ العصور الحجرية الباكورة، ربما نتج عن طريق تواصل الجماعات البشرية عبر الهجرات المستمرة، من هذا المنطلق يمكن اقتراح فكرة تعميم نتائج هذه الدراسة بمنطقة التاسيلي نازجر على بقية مجتمعات ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا، خصوصاً تلك التي تعيش في بيئات متشابهة.

اختلف المختصون في ميدان الفن الصخري حول الغرض من إنجازها، حيث رجَّح فريق من الباحثين السبب لأغراض دينية، في حين يرى فريق آخر أن الهدف من إنجازها لا يتعدى أغراض الزينة والفن، حيث يذهب البعض إلى أن الإنسان بعدما وصل إلى مرحلة الاستقرار أصبح مرتاحاً ومتفرغاً

للإبداع، لكن ربما لم يكن الإنسان مرتاحًا عندما بدأ التعبير عن نفسه عن طريق الفن الصخري كما يتردد على لسان معظم الباحثين، ربما كان يشعر بالارتياح عندما ينجز هذا النوع من الإبداع، أو لربما كان يحاول إيصال خبراته أو نصائحه للجماعات التي كان يتواصل معها مثل أبنائه وأحفاده هذا بالنسبة لأوائل المنجزين، ثم تأتي الأجيال اللاحقة التي وجدت هذا الموروث سابقا لها لتقوم بمحاكاته والمحافظة عليه، ونشير هنا إلى أن الفن الصخري عرف استمرارية على طول المرحلة النيوليتية منذ 10000 ق.م. أو ما يزيد إلى غاية فجر التاريخ، لذلك يُرجح أن هذا الجيل وجد ضالته بالعودة إلى هذا الموروث، فحاول تقليده وتطويره ليلائم تقدم احتياجاته المتسارعة.

انتقلت المشاهد الصخرية خلال نهاية المرحلة النيوليتية من التجسيد بأسلوب واقعي إلى الأسلوب التخطيطي الذي يتسم بنوع من الرداءة مقارنة بالمشاهد السابقة، وأصبحت الهيئات الأدمية والحيوانية على حد سواء تمثل بجملة من الأشكال الهندسية، حيث أصبحت الأذرع والأرجل تجسد بخطوط مستقيمة ومائلة وكذلك الحال بالنسبة للأسلحة والعربات.

أنجزت من جهة ثانية العديد من الرموز ذات الأشكال الهندسية المتنوعة على نفس اللوحات الحاملة للمشاهد على غرار الرموز الحلزونية والخطوط المتقطعة والدوائر وغيرها، وهي رموز تحمل دون أدنى شك دلالات معينة، كما أن تكرارها على عدد من اللوحات يثبت أنها ليست مجرد زخارف للترزين، وإنما تحمل في مضمونها رسائل محدّدة، ويلاحظ منذ منتصف مرحلة الحصان والجمل بداية ظهور بعض النقوش الأبجدية التي تميزت بنفس لون زنجرة المشاهد ونفس التقنية والأسلوب.

يفسر عدد من الباحثين على غرار: لوكلاك، توماس جويل، إيمانويل أناتي، جينات أوماسيب، مليكة حشيد، سالم شاكر، سليمان حاشي، الانتقال من المشاهد الواقعية التي تستغرق الجهد والمساحة، إلى مشاهد تخطيطية ترافقها جملة من الرموز اتفقت الجماعة البشرية دون شك على

مدلولاتها بظاهرة الاختزال الرمزي، حيث يرى هؤلاء الباحثين أن المشاهد التصويرية تعتبر في حد ذاتها كتابة رمزية مهدت لظهور الكتابة الأبجدية.

تحولت الرموز المرافقة للمشاهد الصخرية بشمال إفريقيا مع مرور الزمن إلى نظام أبجدي تمخضت عنه على الأغلب الكتابة الليبية بمختلف فروعها: الشرقية، الغربية، الصحراوية، غير أنها كانت فتية في بدايتها فتطلب الأمر تواصل إنجاز المشاهد التصويرية، أو أنها لم تُتقن (أي الكتابة) من طرف الجماعات البشرية المتنقلة من مكان إلى آخر، لكن بالمقابل تثبت هذه الفرضية أن الإنسان الإفريقي تمكن من ابتكار أبجدية خاصة به مثل بقية الشعوب القديمة.

نخلص من خلال ما سبق ذكره أنه لا يوجد ما يتعارض مع الاعتقاد بأن المشاهد الصخرية تشكل مرحلة تمهيدية أسست لظهور الكتابة الليبية البربرية، نظرًا للكلم الكبير الذي تقدمه من معلومات حول مختلف تفاصيل الحياة اليومية لمنجزها، وإذا سلّمنا بهذا الفرض فإن المشاهد الصخرية في حد ذاتها مرت بمرحلة تمهيدية هي الأخرى، يمكن أن تعود بوادرها إلى الفترة العاترية التي شهدت التلوين بالمغرة والتزيين بالحزوز والخطوط المتقطعة، وفي هذه الحالة يطرح الاشكال حول تسمية الفن الصخري كونها تصبح تسمية غير كافية المدلول مقارنة مع ما يتضمنه هذا الموروث من حقائق تاريخية.

أثر المناخ بشكل بارز على تطور الكتابة الليبية البربرية وخاصة الصحراوية، حيث تسببت موجة الجفاف التي اجتاحت الصحراء خلال المرحلة النيوليتية، بتنقل الجماعات البشرية نحو المناطق الرطبة، ولا شك أن عدم الاستقرار شكّل عائقًا أمام الكتابة المحلية، على عكس الجماعات التي عمرت طويلاً بالقرب من النيل المصري وبلاد الرافدين أين كان المناخ أكثر ملائمة للاستقرار والابتكار.

عرفت الكتابة الليبية البربرية نوعاً من الاختلاف في نطق عدد من الحروف بين الأبجدية الشمالية والأبجدية الصحراوية، لعل السبب في هذا يرجع إلى اختلاف اللهجات بين المناطق والتي تعتبر على وجه العموم سليلاً للغة مفصلية مشتركة تتمثل في اللغة الليبية الأم، وفي هذا الصدد يلاحظ أن اللغة الليبية

القديمة قد شهدت انتشارًا واسعًا حيث عثر على عدد من مفرداتها من واحة سيوة في مصر شرقًا إلى غاية جزر الكناري غربًا ومن المتوسط شمالًا إلى الصحراء جنوبًا، كما يلاحظ انتشار عدد من النقوش الليبية بنفس المناطق، حيث عثر على نقيشة ليبية بشبه جزيرة سيناء، وعدد من النصوص بكل من جنوب إسبانيا وجزر الكناري، وبذلك يمكن القول بأن الكتابة الليبية رافقت اللغة الليبية في مناطق انتشارها، ولعل هذه الظاهرة ناتجة عن التحركات البشرية المستمرة بشمال إفريقيا.

اصطدمت الكتابة الليبية البربرية خلال مرحلة فجر التاريخ بالوافدين من خارج القارة الإفريقية ذوي ثقافات مختلفة على غرار الفينيقيين ومن تلاهم، ربما تسبب هذا التوافد الجديد بطمس الكثير من التفاصيل حول الكتابة المحلية، كما أن التاريخ الأثري للمنطقة لا يزال بحاجة إلى الكثير من التنقيب حول موروثها الثقافي، خصوصًا وأن معظم ما كتب في المرحلة القديمة كتب بأيادٍ أجنبية ذات منظور ثقافي مختلف، وعليه تحتاج الدراسات المستقبلية تكاثف الجهود الأثرية والتاريخية من أجل تعزيز المعلومات حول تاريخنا السحيق، وتصحيح المفاهيم والأخطاء الشائعة التي لازالت تكتب إلى اليوم، وهنا يمكننا أن نضيف إشكالية تسمية الفن الصخري بهذا المصطلح، كونه لا يعبر عن كل جوانب ومميزات هذا المورث، من هنا يمكن أن تنطلق أبحاث جديدة حول تصحيح المفاهيم والمصطلحات التاريخية من منظور فلسفي بلغة إنسان ما قبل التاريخ وفجره.

نخلص أخيرًا إلى أن جملة الرسوم والنقوش الصخرية تشكل تراثًا ماديًا جد هام حول حياة الإنسان الذي عمر منطقة التاسيلي نازجر خلال مرحلة ما قبل التاريخ وفجره، حيث يشكل هذا المورث جزءًا من الذاكرة الجماعية التي تعكس هوية وثقافة منجزها، كونه يعد بمثابة أحد أبرز الشواهد المادية القاطعة في الحدث التاريخي للمنطقة مع إمكانية التعميم على كافة شمال إفريقيا نظرًا لتشابه المشاهد والظروف البيئية المصاحبة لها، حيث تجسد هذه المشاهد علاقة الكائن البشري بالبيئة المحيطة به وما تتضمنه من حيوان ونبات وتضاريس، لذلك يعد هذا الموروث بمثابة أحد المحركات الأساسية لعملية البناء الحضاري لدى الإنسان القديم.

البيليوغر افيا

قائمة الببليوغرافيا

1- المصادر:

1.1 باللغة العربية:

1- بليني الأكبر. (1967)، التاريخ الطبيعي، نصوص ليبية، ترجمة علي فهمي خشيم، دار الفكر، طرابلس، الفقرة: 5.

2- سترابون. (2003)، جغرافية سترابون، الكتاب السابع عشر، الفصل الثالث، الفقرة 19، ترجمة محمد المبروك الدويب، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي.

3- هيرودوت. (1967)، الكتاب الرابع، نصوص ليبية، ترجمة علي فهمي خشيم، دار الفكر، طرابلس، الفقرتين: 178-179.

2.1 باللغة الأجنبية:

1- **Saint-Augustin. (1855), La cité de dieu, Traduction de Moreau, Le coffre, Paris, XVI, 6, [www.remarcle.org](http://www.remarcle.org)**

2- المراجع:

1.2 الكتب:

1.1.2 باللغة العربية:

1- بشي إبراهيم العيد. (2008)، تاسيلي-ناجر الخصائص الطبيعية والبنية الجغرافية، ج1، ط1، دار الحبر، الجزائر.

2- بشي إبراهيم العيد. (2008)، تاسيلي-ناجر الأزمنة الجيولوجية والمؤشرات الحضارية والعوامل الطبيعية المكونة للمنطقة، ج2، ط1، دار الحبر، الجزائر.

- 3- بشي إبراهيم العيد. (2009)، تاسيلي-ناجر تاريخ الاستقرار الدشري في المنطقة، ج3، ط1، دار الحبر، الجزائر.
- 4- بشي إبراهيم العيد. (2009)، تاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي: قديما وحديثا، ج4، ط1، دار الحبر، الجزائر.
- 5- بن بوزيد. ل. (2007)، الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ المعتقدات والفن الصخري، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
- 6- جوليان. ش.أ. (1969)، تاريخ شمال إفريقيا، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة، دار التونسية للنشر والتوزيع، ط1، تونس.
- 7- الجوهرى. ي. (1981)، جغرافية المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- 8- حمداوي. ج. (2016)، الحضارة الأمازيغية أنثروبولوجيا الإنسان التاريخ، الكتابة، الديانات والثقافة، ط2، إفريقيا الشرق، المغرب.
- 9- حارش محمد الهادي. (1992)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضارى منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دار الهدى، الجزائر.
- 10- ساحد. ط.ع. (2011)، آثار فجر التاريخ في الجزائر، دار المعرفة، الجزائر.
- 11- سحنوني. م. (1999)، ما قبل التاريخ، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 12- سيرنج. ف. (1992)، الرموز في الفن - الأديان-الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا.
- 13- شنيقي محمد البشير. (2013)، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر.
- 14- عبد العزيز صالح. (1962)، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج1، القاهرة.

- 15- العقون أم الخير. (1988)، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، الإسكندرية.
- 16- عقون العربي. (2010)، الأمازيغ عبر التاريخ- نظرة موجزة في التاريخ والهوية، ط1، دار التنوخي للنشر والتوزيع، الرباط.
- 17- غانم محمد الصغير. (2003)، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، دار الهدى، الجزائر.
- 18- فريشاور. ب. (1999)، الجنس في العالم القديم، ترجمة فائق دحدوح، ج1، ط1، دار نينوى، بغداد.
- 19- فيرون. ر. (1963)، الصحراء الكبرى، ترجمة جمال الدين الديناصوري، وكالة الحوض الهيدروغرافي لمنطقة الصحراء، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.
- 20- الماجدي. خ. (1997)، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط1، دار الشروق، الأردن.
- 21- المشرفي م. الد. (1969)، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط4، دار الكتب العربية، مصر.
- 22- محمد إبراهيم. (2012)، مبادئ ترميم وحماية الآثار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 23- مقدم مبروك. (2016)، الفقارة في قصور توات وأحوازها النشأة والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر.
- 24- مهران م. ب. (1990)، مصر والشرق الأدنى القديم المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر.
- 25- موري. ف. (1988)، تادارات أكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة: عمر الباروني، فؤاد الكعبازي، دار الكتب، طرابلس.
- 26- الميلي م. إ. (1980)، الجزائر في ضوء التاريخ، دار البعث، الجزائر.

27- نوکس. إ. (1985). النظريات الجمالية (كانط-هيغل-شوبنهاور)، ترجمة محمد شفيق شيا، ط1، منشورات بحسون الثقافية، بيروت.

28- هاوكس. ج، وولي. ول. (1967)، ما قبل التاريخ وبيدايات المدينة أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة يسرى الجوهري، منشورات اليونسكو، دار المعارف، القاهرة.

## 2.1.2 باللغة الأجنبية:

- 1- **Alimen. H. (1955)**, Préhistoire de l'Afrique, Généralités, T 1, Boudée, France.
- 2- **Allard-Huard. L. (1993)**, NIL-SAHARA DIALOGUES RUPESTRES 1- LES CHASSEURES, T2, Moulin de Lambres, France.
- 3- **Anati. E. (1999)**, La Religion Des Origines, Traduction de Patrick Michel, Ed Pluriel, Paris.
- 4- **Aumassip. G. (1993)**, Chronologies de l'art rupestre Saharien et Nord-Africain, Jaques Gandini, France.
- 5- **Aumassip. G. (2001)**, L'Algérie des premiers hommes, Maison de Sciences de l'homme, Paris.
- 6- **Aumassip. G. (2004)**, Préhistoire Du Sahara Et De Ses Abordes, Au temps des chasseurs le Paléolithique, T1, Maisonneuve Et Larose, Paris.
- 7- **Aumassip. G. (2013)**, Trésors de L'Atlas, ANEP, Alger.
- 8- **Aumassip. G, Kerzabi. Sid Ahmed (2018)**, Mémoire des pierres ce que l'image apporte à l'Histoire, ANEP, Alger.
- 9- **Balout. L. (1955)**, Préhistoire de l'Afrique du Nord, Art et matières graphiques, paris.
- 10- **Balout. L. (1958)**, L'Algérie préhistorique, Art et Matières graphiques, Paris.
- 11- **Besset. H. (1920)**, Essai sur la littérature des berbères, Jules Carbonel, Alger.

- 12- **Burroughs. W. J. (2005)**, Climate Change in prehistory The End of the Reign of Chaos, United States of America by Cambridge University Press, New York.
- 13- **Camps. G. (1961)**, Aux origines de la Berbèrie Monuments et rites Funéraires Protohistoriques Arts et Métiers Graphiques, Paris.
- 14- **Camps. G. (1974)**, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, Centre National de la Recherche Scientifique, Editeurs, Paris.
- 15- **G. Camps. (1980)**, Les berbères aux marges de L'histoire, Ed Des Hespérides, France.
- 16- **Camps. G. (1998)**, Néolithique méditerranéen techniques et genres de vie, Ed : Sud, France.
- 17- **Camps Fabrer. H. (1966)**, Matière et Art mobilier dans la préhistoire Nord-Africain et Saharienne, Centre de Recherches Anthropologiques Préhistorique et Ethnographique, Paris.
- 18- **Capart. M. (1904)**, Préhistorique Egyptien, T20, Société d'Anthropologie de Bruxelles.
- 19- **Chabot. J. B. (1940)**, Recueil des inscriptions libyques, Ed Imprimerie Nationale, Paris.
- 20- **Chaker. S. (1984)**, Texte en linguistique berbère, N.R.S, Paris.
- 21- **Cohen. C. (2007)**, L'Art rupestre et les rôles de la femme au paléolithique, Valcamonica Symposium.
- 22- **Dubief. J. (1999)**, l'Ajjer Sahara Central, Edition Karthala, Paris.
- 23- **Fabre. J. (2005)**, Géologie du Sahara Occidentale et Central royal Museum for central africa, Tervuren, Belgique.
- 24- **Février. J. G. (1959)**, Histoire de l'écriture, Ed Payot, Paris.
- 25- **Flamand. G.B.M. (1921)**, Pierre écrites gravures et inscriptions on rupestre du Nord- Africain, Imprimerie Nationale, Paris.

- 26- **Foucauld (1951)**, Dictionnaire Touareg -Français, imp. nationale, Paris 1951.
- 27- **Gardel. G. (1961)**, Les Touareg Ajjer, Edition Braconnier, Alger.
- 28- **Gauthier. E. F. (1928)**, Mission au Sahara, Sahara algérien, T1, librairie-Armand colin, Paris.
- 29- **Gauthier. E. F. (1952)**, Le passé de l’Afrique du Nord, Payot.
- 30- **Gourhan. A. L. (1964)**, les Religions de la Préhistoire (Paléolithique), Press universitaires de France, Paris.
- 31- **Gsell. S. (1901)**, Histoire ancienne de l’Afrique du Nord, Ed Libraire-Hachette, Paris.
- 32- **Gsell. S. (1928)**, Histoire ancienne de l’Afrique du Nord, T1, Librairie-Hachette, Paris.
- 33- **Gsell. S. (1928)**, Histoire ancienne de l’Afrique du Nord, T5, Librairie-Hachette, Paris.
- 34- **Gsell. S. (1928)**, Histoire ancienne de l’Afrique du Nord, T6, Librairie-Hachette, Paris.
- 35- **Hachid. M. (1998)**, Le Tassili des Ajjer : Aux sources de l’Afrique 50 siècles avant les pyramides, Méditerranée, Paris.
- 36- **Hugot. H. J. (1974)**, Le Sahara avant le désert, Des Hespérides, France.
- 37- **Judas. A. (1863)**, Sur l’écriture et la langue berbère dans l’antiquité et de nos jours, Paris.
- 38- **Lajoux. J. D. (1977)**, Tassili-N-Ajjer. Art Rupestre Du Sahara Préhistorique, Edition Du Chêne, 2<sup>o</sup>Ed, Paris.
- 39- **Lancel. S. (2014)**, L’Algérie antique de Massinissa à Saint Augustin, Places des Victoire, Paris.
- 40- **Lefebvre Gillette et Louis. (1967)**, Corpus des gravures et des peintures de la région de Constantine, Arts et Métiers graphiques, Paris.
- 41- **Le Quellec. (1993)**, Symbolise et art rupestre au Sahara, Le Harmattan, Paris.

- 42-**Le Quellec, J. L. (1998)**, Art Rupestre et Préhistoire du Sahara. Le Messak, Payot, Paris.
- 43-**Leredde. C. (1957)**, Etude Écologique et Phytogéographies du Tassili et Nil, T2, Travaux l'IRIS, Alger.
- 44-**Lhote. H. (1953)**, Le vêtement dans les gravures et les peintures rupestres au Sahara, Dumont AMIOP, Paris.
- 45-**Lhote. H. (1958)**, A la découverte des Fresques du Tassili, Vol 1, Artaud, France.
- 46-**Lhote. H. (1970)**, Les Gravures rupestres du Sud-oranais, Arts et Métiers graphiques, Paris.
- 47-**Lhote. H. (1972)**, Déchiffrement d'une Fresque d'époque Bovidienne du Tassili-N-Ajjer, Santander Symposium, France.
- 48-**Lhote. H. (1976)**, Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), Centre de Recherches Anthropologiques Préhistoriques et Ethnographiques, T1, SENP, Paris.
- 49-**Lhote. H. (1982)**, Les Chars Rupestre Sahariens, des Syrtes au Niger, par le pays des Garamentes et des Atlantes, Edition des Hespérides, Paris.
- 50-**Lhote. H. (1984)**, Le Hoggar espace et temps, Armand colin, Paris.
- 51-**Mac Burney. G. B. M. (1967)**, The Hawa Feth (Cyeneenaica) and the stone age of southeast Mediterranean, Cambridge University, United Kingdom.
- 52-**Monod. TH. (1932)**, Adrar Ahnet, Contribution à l'étude Archéologique d'un district, Institut d'Ethnologie, Paris.
- 53-**Muzzolini. A. (1986)**, L'art Rupestre Préhistorique des Massifs Centraux Saharien, Oxford, BAR, Great Brittan.
- 54-**Muzzolini. A. (1995)**, Les images rupestres du Sahara, Edité par L'auteur, France.
- 55-**Orloff. N, (1997)**, l'art rupestre préhistorique de l'Afrique du Nord, l'Afrique Méditerranéen, Bruxelles.

- 56- **Reboud. (1870)**, Recueil d'inscriptions Libyco-berbères avec 25 planches et une Carte de la Cheffia, Extrait des Mémoires de la Société Française Numismatique et d'archéologie, Paris.
- 57- **Reygasse. M. (1921)**, Nouvelles études de palethnologie maghrébine, D. Brahma, T3, Constantine.
- 58- **Reygasse. M. (1932)**, Contribution à l'étude des gravures rupestres et inscriptions Tifinar du Sahara Central, Imprimerie Jules Carbonel, Alger.
- 59- **Sébe. A. (1991)**, Tikatoutine 6000 ans l'Art Rupestre Saharien, Collection Tagoulmoust, Antigrafica Silva, Italie.
- 60- **Soleihavoup F. (2003)**, Art préhistorique de l'Atlas Saharien, Édition pilote 24.
- 61- **Solignac. M. (1928)**, Les pierres écrites de la berberie orientale (Est Constantinois et Tunisie), Imprimerie J. Berlier, Tunis.
- 62- **UNESCO. (1982)**, Etudes et Document sur la patrimoine culturel (conservation de l'art rupestre), Ed 2, Courier UNESCO.
- 63- **Unesco Suède. (1994)**, L'ensemble est inscrit sur la liste du patrimoine mondiale de l'Unesco, Tanum, Suède.
- 64- **Vaufrey. R. (1955)**, Préhistoire de l'Afrique, T1, Paris.
- 65- **Winkler. H. A. (1938)**, Rock Drawings of southern Upper Egypt, V1, Oxford, University press, London.

2.2 المقالات:

1.2.2 باللغة العربية:

1- إسمهر المحفوظ. (2007)، «أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته»، في:

أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته، ط1، دار السلام للطباعة والنشر،

الرباط.

- 2- أولدروج. د. (1980)، «الهجرات والاختلافات السلوكية واللغوية»، تاريخ إفريقيا العام، فصل 11، مجلد 1، (المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا)، اليونيسكو.
- 3- أوموس. أ. (2006)، «الفن الصخري بالمغرب: تراث ثقافي عريق، بين تحديات المحافظة ورهانات التنمية»، المركز الوطني للتراث الصخري، الرباط.
- 4- باسكون. ب. (1986)، «الأساطير والمعتقدات بالمغرب»، ترجمة مصطفى المنساوي، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، عدد 165-166، الرباط.
- 5- بالوت. ل. (1980)، «ظهور الإنسان المشاكل العامة»، في: تاريخ إفريقيا العام، المجلد 1، (المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا)، يونيسكو.
- 6- بن بوزيد. ل. (2016)، «التغيرات المناخية في الصحراء الوسطى في عصر البلايستوسين (2,59 مليون سنة-8000 سنة قبل الميلاد)»، مجلة الواحات والدراسات، المجلد 9، العدد 2.
- 7- جراتسيوسي. ب. (2015)، «دليل الفن الصخري، لوحات وتاريخ»، ترجمة أنس أبو ميس، في: تاريخ ليبيا-الصحراء المنسية، ص: 25، [www.History.ly](http://www.History.ly)
- 8- دليل رعاية النخلة. (2013)، «المتطلبات البيئية للنخيل»، المركز الوطني للنخيل والتمور، المملكة العربية السعودية، <https://ncpd.org.sa/omissives/69371>
- 9- ساحد ط. ع. (2014)، «الدلالات الرمزية للدفن في المجتمع الجزائري خلال فترة فجر التاريخ»، مجلة الدراسات والبحوث التاريخية، عدد 6، جامعة الوادي.
- 10- صفريون. ح. (2015)، «كيف كانت البربريات تلدن في الصحراء الوسطى منذ سبعة آلاف سنة»، دراسات أثرية، مجلد 13، عدد 1.
- 11- عقون العربي. (2006)، «القاعدة المشتركة للكتابات واللغات: مقارنة في أصول الكتابة الليبية»، مجلة الحوار الفكري، مختبر الدراسات التاريخية والفلسفية، ع 2، جامعة قسنطينة 2، الجزائر.

12- غانم محمد الصغير. (1974)، «النقوش الليبية في شمال إفريقيا (المصطلح والرموز الكتابية)»،

مجلة المورد-تابستان، رقم 1369، دار الشؤون الثقافية العامة، الجزائر.

13- فضل. ع. (1995)، «مصادر المياه الخمس من خلال النقوش والمخلفات الأثرية»، في: النقائش

والرسوم الصخرية بالوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

14- كي زربو. ج. (1980)، «النظريات المتعلقة بالعروق وتاريخ إفريقيا»، تاريخ إفريقيا العام، فصل 10،

مجلد 1، (المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا)، اليونسكو.

15- كي زربو. ج. (1980)، «الفن الإفريقي، في ما قبل التاريخ»، تاريخ إفريقيا العام، فصل 26، مجلد 1،

اليونسكو.

16- محمد علي عيسى. (1991)، «الرسوم الصخرية الليبية في عصر ما قبل التاريخ»، مجلة تراث

الشعب، العدد 1، وزارة الثقافة، طرابلس.

## 2.2.2 باللغة الأجنبية

1- **Aghali Zakara. M. (2004)**, « De l'origine et la survivance des écritures libyco-berbère », Actes des colloques organisés à Casablanca, 12-2004.

2- **Aïn Seba Nagette. (2002)**, « Architectures premiers, Algérie d'histoire », Un année d'Algérie en France.

3- **Alimen. H. (1987)**, « Evolution du climat et des civilisations depuis 40000 ans, du nord du Sahara occidental (premières conceptions confortées aux données rerenes) », *Bulletin de l'Association française pour l'étude du Quaternaire*, Vol 24, N°4, France.

4- **Allard-Huard. L. (1994)**, « Les secteurs rupestres du sous-continent Saharien et du Nil », *Les Dossiers D'Archéologie*, N°197, France.

5- **Andre-Salvini. B. (2001)**, « L'écriture cunéiforme », *Dossier d'archéologie*, N°260, France.

- 6- **Aumassip. G et Roubet. C. (1966)**, « Premiers résultats d'une mission archéologique (grand erg oriental- erg d'admer) », C. R. A. P. E, <https://shs.hal.science/halshs-00701341>.
- 7- **Aumassip. G. (1997)**, « L'émergence précoce du néolithique au Sahara», dans : *pour la science*, N°234, Paris.
- 8- **Aumassip. G. (2005)**, « Intervention humaine sur les plantes et les animaux dans le Sahara central », Pale vol, France.
- 9- **Balout. L. (1972)**, « Chronologie absolue et préhistoire saharienne », *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée*, N°11, France.
- 10- **Barry, G.P. (1991)**, « Bioclimat et végétation des montagnes du Sahara central et du Sahara occidental », *Revue de géographie alpine*, T79, N°1, France.
- 11- **Bednarik. R. G. (1995)**, «Taking the style out of the Panaramite style», *AURA Newsletter*, V12, N°1.
- 12- **Bernus. E. (1991)**, « Montagnes Touarègues : Entre Magreb et Soudan : Le fuseau Touarègue », *Revue de géographie alpine*, T79, N°1, France.
- 13- **Cailleux. A. (1974)**, « Mesure simple de L'ibéro en géographie », *Annales de géographie*, N°9, France.
- 14- **G. Camps. (1966)**, « Ecriture-écriture libyque », *Encyclopédie berbère*, XVII, éd. Edisud, Paris.
- 15- **Camps. G. (1970)**, « L'Homme de Mechta-El Arbi et sa civilisation, contribution à l'étude de l'origine des Gaunches. Simposio Del Cro-Magnon », *Estud, Allant*, N°15, Madrid.
- 16- **Camps. G. (1984)**, « Quelques réflexions sur la représentation des Equidés dans l'art rupestre Nord-Africain et Saharien », *Bulletin de la Société Préhistorique Française*, T 81, N°10-12, France.
- 17- **Camps. G, Chaker. S (1989)**, « Anzar », *Encyclopédie berbère (antilopes–Arzuges)*, V4, Paris.

- 18- **Camps Fabrer. H. (1960)**, « Parure des temps préhistoriques en Afrique du nord », *Lybica*, TVII.
- 19- **Camps Fabrer. H. (1972)**, « Perspectives et orientation des recherches sur le néolithique Saharien », *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, N°11, France, P : 26.
- 20- **Chaker. S. (1977)**, « Une inscription libyque du musée des antiquités d'Alger », *Libyca*, XXV.
- 21- **Chamla. M. C. (1968)**, « Les Population Anciennes Du Sahara et des Région Limitrophe », Mémoire de C.R.A.P.E, N°9, Paris.
- 22- **Clottes. J. (2007)**, « L'Art rupestre du Sahara du Nord de l'Afrique : conclusion », ICOMOS.
- 23- **C.O.C.E. (2010)**, «Chemins de l'art rupestre préhistorique», Conseil d'Orientation des itinéraires Culturels Européens, France.
- 24- **Cote. M. (1957)**, « Quelques aspects de la morphologie de l'Ahaggar », *Revue de géographie de Lyon*, T32, N°4, France.
- 25- **Coye. N. (1993)**, « Préhistoire et protohistoire en Algérie au XIXe siècle : les significations du Document archéologique », *Cahiers d'études africaines*, V33 N°129.
- 26- **Demougeot. E. (1960)**, « Le chameau et l'Afrique du Nord Romaine », *Annales Economies Sociétés Civilisation*, N°2, France.
- 27- **Dubreuil. L. (2004)**, «Long-term trends in Natufian subsistence: a use-wear analysis of ground stone tools», *Journal of Archaeological Science*, V31, N°11.
- 28- **Dupuy. (2007)**, « Sous zone 2 : Algérie-Tunisie », ICOMOS, Paris.
- 29- **Estienne. P. (1951)**, « Pour une conception géographique du climat », *Revue de géographie alpine*, T39, N°2, France.

- 30- **Ezziani. E H. (2006)**, « Elément d'une analyse sémiologique des gravures rupestres du Haut Atlas (Vallée de l'Ourika, Maroc) », <http://France-elsevier.com/direct/ANTHRO/>
- 31- **Février. L. G. (1956)**, « Que Savons-nous du libyque » *Recueil Africain*, N°100, Alger.
- 32- **Fouilloux. B. (2006)**, « Suite aux (Faux du Tassili) et intérêt des relevés des missions Lhote », *Sahara*, N°17, PP : 173-176.
- 33- **Galand. L. (1973)**, « Libyque et berbère », Ecole Pratique des Hautes Etudes, France.
- 34- **Galand. L. (1999)**, « L'écriture libyque et berbère », *Sahara*, N°11, France.
- 35- **Galand. L. (2002)**, « Etudes de linguistique berbère », dans Collections Linguistique, Ed. Peeters, Paris.
- 36- **Gauthier. Y. (2021)**, « commentaires et Compléments au livre de J. Kunz », *les Cahiers de l'AARS*, N° 22, <http://aars.fr>.
- 37- **Gravelle. M. (1968)**, « Les âges radiométriques au Rubidium-Strontium et au Potassium-Argon et leur signification géologique. Application des méthodes géochronologiques à l'étude structurale du socle cristallin de l'Ahaggar central et occidental », *Bulletin du service géologique de l'Algérie*.
- 38- **Gsell. S. (1915)**, « Texte relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote) », Alger.
- 39- **Haardet. C. (1991)**, « A la découverte du Tassili N'Ajjer », Courrier de l'Unesco, France.
- 40- **Hachi. S. (1999)**, « Une approche anthropologique de l'art figuratif préhistorique de L'Afrique du nord », *Etudes et Documents Berbères*, N° 15- 16.
- 41- **Hachid. M. (1986)**, « L'art rupestre préhistorique de l'Atlas saharien pour une archéologie d'urgence », *Numéro spécial des conférences tenues au palais de la culture*, Centre National d'Etudes Historiques, N°22, Alger.

- 42- **Hachid. M. (2000)**, « Les Premiers Berbères Entre Méditerranée –Tassili - Et Nil », Edisud-Ina-Yas, Paris.
- 43- **Hachid. M. (2001)**, « Le Tassili des Ajjer : aux sources de l’Afrique 50 siècles avant les pyramides méditerranées », Édits, Paris.
- 44- **Hachid. M. (2004)**, « UN projet de datation direct pour l’art rupestre saharien », Musée de l’art rupestre et de l’histoire du Sahara à Alger, Algérie.
- 45- **Hachid. M. (2006)**, « Du nouveau sur le monument d’Abelessa (Ahaggar, Algérie) de la date de L’introduction du dromadaire au Sahara centrale, du personnage d’Abelessa et des inscriptions rupestres dites (libyco-berbères) », *Sahara*, N°17, Algérie.
- 46- **Hachid. M. (2007)**, « L’art rupestre saharien le critère de la domestication et la chronologie relative l’Adaptation à l’Aridité », Inas Edition, Alger.
- 47- **Hachid. M, Le Quellec. J. L, Amara. A, Beck. L, Heddouche. A, Kaltnecker. E, Lahilil. S, Merzoug. S, Moreau. Ch, Quiles. A, Valladas. H. (2012)**, « Quelques résultats du projet de datation directe et indirecte de l’art rupestre saharien International Colloquium, The Signs of Which Times? Chronological and Palaeoenvironmental Issues in the Rock Art of Northern Africa», Royal Academy for Overseas Sciences Brussels.
- 48- **Hachi. S. (2003)**, « Les Cultures De L’Homme De Mechta Afalou, Les Gisements d’Afalou Bou Rhmmel (Massif Des Babors, Algérie)», Mémoire de C. N. R. P. A. H, série, N°2.
- 49- **Hallier. U. W, Hallier. B. C. (2009)**, «The People of Iheren and Tahilahi The World of Petroglyphs», Part 39, Stone Watch.
- 50- **Huard. P, Allard. L. (1977)**, « Les chasseurs anciens du Nil et leur témoignages gravés à Veniat, au Sahara Tchadien et au Fezzan oriental », *Bulletin de la Société Préhistorique Française*, Etude de Travaux, T74, N°2, France.

- 51-**Joël. T. (2003)**, « La symbolique des gravures rupestres du Mont Begeo », *L'anthropologie*, N°107, ELSEVIER, France.
- 52-**Kerzabi. S. A. (1986)**, « Conservation et gestion du parc national du Tassili », dans : *L'art rupestre Saharien : conservation, méthodologie et gestion*, (Etudes et documents sur le patrimoine culturel), N° 13, UNESCO.
- 53-**Krijgsman. W, Garcés. M, Langereis. C. G, Daams. R, Van Dam. J, Van der Meulen. A. J, Agustí. J, Cabrera. L. (1996)**, «A new chronology for the middle to late Miocene continental record in Spain», dans: *Earth and Planetary Science Letters*, V142.
- 54-**Lajoux. J. D. (1966)**, « Les Merveilles du Tassili n'Ajjer », Édition du Chêne, Paris.
- 55-**Lefebvre. PH, Cabannes. R. (1967)**, « Etude hémotypologie des populations du Tassili N'Ajjer (Sahara Centrale) », dans : *Bulletins et Mémoire de la Société d'Anthropologie de XIIIe série*, T1, Fascicule 4, France.
- 56-**Lefebvre. G. (1970)**, « Typologie De La Technique Des Gravures Rupestres Pré Et Protohistoriques De l'Algérie Non Saharienne : Types 1-25 », Centre De Recherches Anthropologiques Préhistoriques Et Ethnographiques.
- 57-**Le Quellec. J. L. (1999)**, « Répartition de la Grande Faune Sauvage dans le Nord de l'Afrique Durant l'Holocène », *L'Anthropologie*, V1, N°103.
- 58-**Le Quellec. J. L. (2006)**, « L'adaptation aux variations climatiques survenues au Sahara centrale durant l'holocène », *Terre Sauvage*, N°93, France.
- 59-**Le Quellec. J. L. (2011)**, « Arts rupestres écritures et protoécritures en Afrique : L'exemple du libyque », <http://afrique.revue.org/716>
- 60-**Lhote. H. (1943)**, « Découverte d'un Atelier des perles Néolithiques dans la région de Gao (Soudan Français) », dans : *Bulletin De La Société Préhistorique De France*, Vol 40, N°1-3.

- 61-**Lhote. H. (1954)**, « L'Abri à peintures de l'Oued Tadjerdjert (Tassili-n-Ajjer) », dans : *Communication*, N°77, France.
- 62-**H. Lhote. (1960)**, « Mission Lhote du Tassili N'Ajjer (janvier- juillet 1959) », N°35, Hutchison, France.
- 63-**Lhote. H. (1962)**, « L'art préhistorique Saharien », dans : *Revue du Musée de l'Homme*, N°4, France.
- 64-**Lhote. H. (1966)**, « données récentes sur les gravures et les peintures du Sahara », dans : *Journal des Africanistes*, Vol 36, N°1, France.
- 65-**Lhote. H. (1967)**, « Gravures rupestres du Tassili n'Ajjer (Sahara Central)», dans : *Le Saharien*, N°37, France.
- 66-**Lhote. H. (1971)**, « Le peuplement du Sahara néolithique d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres », dans : *Journal de la Société des Africanistes*, I40, Fascicule 2
- 67-**Lorblanchet. M. (1980)**, « Art rupestre Australien », dans : *Archéologia*, N°147, France.
- 68-**Malhomme. J. (1960)**, « L'inscriptions des Azib-N-Ikis », B.A.M, T4.
- 69-**Ministère de la Culture. (2011)**, « Parures et bijoux d'Algérie à travers l'histoire », Algérie.
- 70-**Morel. A. (1991)**, « Prologue. De l'originalité des montagnes du Sahara», *Revue de géographie alpine*, T79, N°1, France.
- 71-**Mostfaï. A. (2013)**, « Les représentations féminins d'Ozan Ehéréen (Tassili-n-Azzjer Sahara central) », dans : *Les Chaiers de L'AARS*, N°16, Paris.
- 72-**Muzzolini. A. (1981)**, « Le groupe europöide d'Ihren-Tahilahi, étage (bovidien final), des peintures di Tassili », dans : *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, N°32, France.
- 73- **Muzzolini. A. (1991)**, « Masques et théromorphes dans l'art rupestre du Sahara centrale », dans : *Archéo-Nil*, Toulouse.
- 74-**A. Muzzolini. (1996)**, «Les deux époques dans la trame symbolique des figurations rupestres saharien », dans : *l'Anthropologie*, V33, N°3.

- 75-**Muzzolini. A. (2006)**, « Classifying a set of rock art: how to choose the criteriat », dans: *Rock art research*, N°23, V2.
- 76-**Nami. M. (2007)**, « Art rupestre : des documents archéologiques précieux en voie de disparition », Patrimoine et Musées au Maroc.
- 77-**O. P. N. T. (2009)**, « Tassili. Ahaggar », Courrier du Ministère de la Culture, BP. 11, Algérie.
- 78-**Perret. R. (1935)**, « A travers le pays Ajjer, itinéraire de Fort-Flatters à Djanet », *Annales de géographie*, T44, N°248, France.
- 79-**Perret. R. (1936)**, « Recherches archéologiques et ethnographiques au Tassili des Ajjeres (Sahara Centrale), les gravures rupestres de l'Oued Djerat la population et les ruines d'Iherirs », *Journal de la société des Africanistes*, N°1, France.
- 80-**Petit-Maire. N. (1991)**, « Recent quaternary climatic change and man in the Sahara Marseille, France», *Journal of African Earth sciences*, V12, N°1/2.
- 81-**Ponot. R. (1973)**, « Six mille ans d'écriture », *Communication et langages*, N°18, France.
- 82-**Pouya. A. (2008)**, « Altération par le gel des massifs-rocheux », Paris.
- 83-**Sahnouni. M, Hadjouis. Dj , Made. J. V. D, Derradji. A. K, Canals. A, Medig. M, Belahrech. H, Harichane. Z, Merouane. R. (2004)**, « On the earliest human occupation in North Africa: a response to Geraads et al», *Journal of Human Evolution*, V46, Elsevier.
- 84-**Salama. P. (1980)**, « Le Sahara pendant L'Antiquité classique », Histoire générale de l'Afrique, II : Afrique ancienne, 2, courrier Unesco, P : 555, <https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000184311>.
- 85-**Salama. P. (2005)**, « Kerfala, Stèle Libyque », *Encyclopédie Berbère*, XXVII, Paris.
- 86-**Soleihavoup. F. (1978)**, « les œuvres rupestres sahariennes son-elle menacées », O.P.N.T, Algérie.

87- **Vaufrey. R. (1936)**, « L'Age des spirales de l'art rupestre Nord-Africain », *Bulletin de la société préhistorique, Française*, T33, France.

88- **Vaufrey. R. (1937)**, « Le capsien des environs de Tébessa », *Bulletin de la Société de Préhistoire et d'Archéologie*, T1, <https://www.persee.fr>.

3- الرسائل والأطروحات:

1.3 باللغة العربية:

1- بلحشر حسين. (2018/2017)، «تطبيق نظام المعلومات الجغرافية على مواقع الفن الصخري للأطلس الصحراوي-منطقتي البيض والجلفة نموذجاً-»، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه آثار ما قبل التاريخ، قسم الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر.

2- بن بوزيد لخضر. (2016/2015)، «حضارات الرعاة بالطاسيلي والهوقار من خلال الفن الصخري (6000 ق.م-1000 ق.م)»، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر.

3- عباسي عبد الجبار. (2005/2004)، «الكتابات الليبية البربرية في إطار الفن الجداري الصحراوي: دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي والأثري بالتاسيلي نازجر»، أطروحة لنيل درجة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر.

4- يفصح نادية. (2018/2017)، «المظاهر الحضارية في نوميديا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى بداية الاحتلال الروماني "الحياة الاجتماعية والثقافية"»، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، قسم التاريخ، الجزائر 2، الجزائر.

2.3 باللغة الأجنبية:

1- **Colin. F. (1996)**, « Les Libyens en Egypte (XV<sup>e</sup> siècle A-C, II siècle A-C) onomastique et histoire », Thèse de Doctorant publiée par le site web de l'université de Bruxelles, [www.tel.archives-ouvertes.fr](http://www.tel.archives-ouvertes.fr)

4- المعاجم:

1.3 باللغة العربية:

1- جبران. م. (1981)، الرائد، ج1، ط4، دار العلم للملايين، بيروت.

2- الطفيلي. ح. (1994)، معجم المصطلحات الجغرافية، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

2.4 باللغة الأجنبية:

1- **Auzou. (2001), Le grand Dictionnaire Encyclopédique du XXIe siècle, Philippe Auzou, Paris.**

5- المقابلات الشخصية:

1- مقابلة مع السيد أمالو عبد القادر سيدي الشيخ، أحد أعيان ومواطني مدينة جانت، «معنى تسمية تاسيلي نازجر»، بتاريخ: 2023/10/16، ولاية جانت، (أذن بنشرها).

2- مقابلة مع الدكتورة جفال وردة، دكتورة متخصصة في طب وجراحة الأسنان، «تحديد عمر الهياكل العظمية من خلال بقايا الفك»، عيادة طب وجراحة الأسنان، بتاريخ: 2024-02-04، العلمة ولاية سطيف، (أذنت بنشرها).

6- المواقع الإلكترونية:

1- موقع النصوص الأدبية: [www.remarcle.org](http://www.remarcle.org)

2- موقع المجلات العلمية بجامعة ليون: [www.persee.fr](http://www.persee.fr)

3- موقع الأرصاد الجوية: [www.meteoblue.com](http://www.meteoblue.com)

4- موقع الخرائط الطبوغرافية: [www.googleearth.com](http://www.googleearth.com)

# فهرس الأماكن والأعلام

فهرس الأماكن والأعلام

1- فهرس الأماكن

(أ)

- أدرار (14، 36)
- أدرار الإيفوراس (20، 55، 103، 123، 239، 240، 245)
- أدرار البوس (48)
- أدمر (14، 17، 21، 78، 82)
- آدمير (21، 82)
- إراران (30، 31، 33، 36)
- آرکين (25، 34، 35، 120)
- أرهالاوين (28)
- إساون (28، 33، 34، 36، 101)
- إسبانيا (69، 87، 159، 244، 267)
- أسكفاف (32، 36)
- إسوان (14، 18)
- آسيا (81)
- إسين أفلة (37)
- أشكار (99، 110، 123)
- الأطلس الأعلى (231، 245)
- الأطلس التلي (19، 122)
- الأطلس الصحراوي (19، 36، 42، 44، 101، 119، 122، 123، 151، 197، 216، 217، 242، 245)
- أعزيب نكيس (238، 245، 254)
- إغرغان (20، 28، 29، 75)
- الأغواط (87، 90)
- آفار (27)
- إفريقيا الشرقية (76، 78، 87، 107، 212)
- إفريقيا الغربية (71، 79، 212)
- الأقصر (84، 107)
- ألدفاي (76)
- أمادقور (17، 20)
- أمادور (20، 21، 31)

- أمقيد (19، 20، 22، 31، 33، 36، 106)  
- أمكني (103)  
- إمهرو (39)  
- إن إتيان (140، 191، 205)  
- إن آران (25)  
- إن تافافاست (14)  
- إن تورين (44)  
- إن دكالك (31، 34)  
- إندونيسيا (78)  
- أهلهاج (44)  
- آهنات (20، 21، 233)  
- أواريت (74)  
- أوان تماوت (189)  
- أوجلة (74)  
- الأوراس (44، 60، 82، 101، 173، 253)  
- أوروبا (4، 42، 43، 44، 46، 54، 66، 68، 69، 81، 82، 85، 92، 97، 99، 119، 260)  
- أوزان إيهيري (193)  
- أوزنياري (182، 188، 205)  
- أوزيدان (78)  
- أونورحات (17، 183، 184، 193، 263)  
- إيدرارن (17، 24، 29)  
- الأير (55، 123، 204، 242، 245)  
- إيطاليا (99، 100)  
- إيفري ن عمار (87)  
- إيليزي (23، 25، 27، 29، 34، 52، 73، 112، 156، 207)  
- الإينيدي (97)  
- إيهيران تاهيلاي (137، 139، 179، 188)  
- إيهيرير (17، 24، 28، 29، 32، 73، 98)  
(ب)  
- البانيور (137)  
- بئر العاطر (84)  
- بجاية (174)

- البحر الأحمر (55، 108)  
- البحر المتوسط (24، 44، 68، 71، 108، 226، 241، 247، 252، 267)  
- بحيرة سفيان (78)  
- البداري (110)  
- برقة (54، 60، 123، 211، 241)  
- بسكرة (234)  
- بلاد الرافدين (256، 266)  
- بورحات (14)  
- بوركينافاسو (239)  
- بوسكورة (90)  
(ت)  
- تابلبلت (33)  
- تادارات أكاكوس (14، 18، 20، 32، 34، 35، 48، 60، 97، 98، 108، 110، 111، 121، 123، 140،  
170، 184، 186، 189، 193، 197، 204، 240)  
- تادمايت (92)  
- تاسيلي أسجراد (23، 35)  
- تاسيلي أهناات (23)  
- تاسيلي إيميدير (23)  
- التاسيلي نازجر (2، 3، 4، 6، 7، 8، 10، 11، 13، 14، 17، 19، 20، 23، 26، 44، 47، 48، 50، 51،  
52، 55، 56، 60، 61، 62، 64، 67، 68، 69، 71، 73، 74، 75، 76، 78، 97، 109، 111، 112، 114،  
116، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 126، 127، 130، 131، 136، 139، 145، 151، 154، 155،  
159، 160، 162، 165، 166، 173، 177، 178، 179، 181، 191، 196، 197، 198، 199، 200، 201،  
202، 204، 205، 208، 211، 212، 217، 232، 240، 242، 247، 251، 258، 261، 263، 264، 267)  
- تاست (29)  
- تاسجيبست (30)  
- تاشكالاوات (191)  
- تاغلغال (48،)  
- تافريست (217)  
- تافوغالت (82، 89، 90)  
- تامرهات (بجاية) (89)  
- تاملريك (30)  
- تانزروفت (19، 34، 37، 54، 57، 93، 105)

- تجماین (30)
- تراث (14)
- تربتون (22، 30)
- التشار (30، 41، 44، 73، 85، 109، 239، 240)
- تماجرت (17، 28، 30، 140)
- تمارا (90)
- تماسین (تماسنین) (22، 36، 37)
- تمنراست (14، 15، 18، 19، 52، 156)
- تنغسین (30)
- تنغلت (30)
- توات (37)
- تورست (29)
- توكریمین (192)
- تونس (22، 36، 69، 76، 78، 82، 91، 92، 99، 100، 101، 225، 227، 229، 241، 242)
- تونین أچیف (28)
- تیارت (119)
- التیبستی (47، 109، 123)
- تیدیس (238)
- تیسوکای (139، 170، 173، 179، 205)
- تیغنیفین (77)
- تیفیدیست (48)
- تین أبهار (205)
- تین آلکوم (15، 34)
- تین تزاریف (185، 205)
- تین تورحا (48)
- تین تولولت (195)
- تین دست (30)
- تین الغادة (25)
- تین مرزوقة (14، 78، 82)
- تین هانکتان (48، 60، 97، 189)
- تینیری (14، 21، 103، 109)
- تمهوبار (31، 34)

- تهوداين (14، 17، 78)

- تيهي نا أناي (14)

- تيوت (118)

(ث)

- ثلغاي (74)

(ج)

- جانت (18، 23، 24، 51، 55، 73، 121، 155، 156، 233)

- جبارين (17، 127، 139، 177، 188، 191، 197، 216، 219، 263)

- جبل أرهود (82، 84)

- جبل الجليل (84)

- جبل الذيب (99)

- جبل العوينات (140)

- جرجيس (74)

- جرمة (45، 73)

- الجزائر (14، 22، 36، 45، 46، 48، 54، 60، 69، 75، 76، 78، 82، 90، 91، 99، 100، 118، 119،

122، 155، 160، 225، 229، 231، 239، 250)

- جزر الكناري (69، 88، 123، 225، 226، 231، 241، 242، 244، 252، 253، 267)

- الجلفة (156، 173)

- جنوب إفريقيا (78، 107)

- الجنوب الوهراني (121، 123، 139، 166، 170، 197، 217، 234، 246)

(ح)

- حاسي مندة (101)

- الحاج ميمون (118)

- حجرة سيدي بوبكر (216)

(خ)

- الخربة (78)

- الخرطوم (5، 101، 109، 123)

- الخنزيرة (المغرب) (90)

- خنقة الحجر (234)

- خنقة المهاد (92)

(د)

- دار السلطان (84)

- الداموس الأحمر (101)

- دبريس (74)

- دوقة (226، 231، 237، 238، 245)

- ديدر (24، 28، 29، 32)

(ر)

- الرأس الأخضر (241)

- راس تنس (82)

- راسل (تيازة) (89)

- رتيمة (82)

- الرديف (101)

- رقان (77، 82)

- الريشة (242)

- ريلالي (92)

(ز)

- زرزواى (29)

- زميلة البركة (101)

(س)

- سامن (30)

- سانت آشول (77)

- سبتة (99)

- سردليس (37، 98، 108، 123)

- سروانوت (19)

- سطيف (76، 92، 229)

- سهل متيجة (231)

- السودان (55، 71، 85، 101، 102، 103، 109، 112، 113، 208، 239، 242، 255، 264)

- السويد (117)

- سيدي الزين (78، 82)

- سيدي سعيد (86)

- سيدي عبد الرحمان (78)

- سيدي منصور (82)

- سيفار (صفار) (17، 127، 141، 183، 184، 185، 186، 188، 193، 205، 216، 217)

- سيناء (60، 226، 241، 267)

- السنيغال (41، 44، 65، 73، 85، 241، 252)

(ش)

- شاتي (78، 82)

- شبه الجزيرة العربية (84)

- شتمة (78)

- الشرق الأدنى (69، 78، 84، 93)

- الشعبة النائمة (234)

- الشلف (22)

- شمال إفريقيا (2، 4، 5، 6، 7، 8، 45، 56، 64، 68، 71، 75، 76، 79، 81، 82، 84، 85، 87، 88،

96، 97، 99، 108، 111، 116، 119، 122، 123، 124، 128، 129، 130، 156، 159، 162، 163،

165، 196، 197، 204، 207، 208، 210، 211، 214، 217، 218، 219، 221، 222، 223، 225، 227،

229، 237، 238، 241، 242، 244، 245، 247، 251، 252، 253، 254، 257، 260، 263، 264، 266،

(267)

- شينهاب (101، 109)

(ص)

- الصحراء الغربية (103، 210)

- الصحراء الكبرى (21، 44، 59، 76، 107، 111، 124، 129، 132، 226، 241، 242، 260، 264)

- الصحراء الوسطى (2، 10، 13، 14، 17، 24، 26، 45، 46، 49، 50، 54، 56، 59، 60، 61، 64، 73،

74، 78، 82، 85، 86، 97، 101، 102، 103، 105، 106، 108، 112، 116، 118، 129، 130، 135،

157، 159، 173، 178، 186، 193، 196، 197، 201، 207، 208، 217، 225، 232، 244، 245، 258)

- الصحور (27)

- الصعيد المصري (65، 217)

- الصين (78)

(ط)

- طرابلس (229، 241)

- طنجة (98، 99، 225)

(ع)

- عبادة آجران (17)

- عقبة تافيلالت (141)

- العمرة (110)

- عين الحنش (76، 77)

- عين الذكارة (92)

- عين صالح (22، 55، 106)

- عين الصفراء (156)

- عين كرمات (36)

- عين محروثة (82)

(غ)

- غات (37، 75، 98، 108، 120، 123)

- غار كاحل (99)

- غانا (239)

- غدامس (35، 37)

(ف)

- فجاج (22)

- فرنسا (77، 81، 122، 159، 228)

- فزان (18، 20، 47، 55، 57، 73، 77، 78، 98، 105، 110، 111، 112، 120، 124، 131، 181، 193،

197، 204، 208، 240، 244)

- الفضنون (25، 27، 32)

- فغيف (38)

- فلسطين (84، 93)

- الفيوم (5، 107، 108، 109)

(ق)

- قابس (22، 54، 74)

- القارة القطبية الجنوبية (44)

- القارة القطبية الشمالية (45)

- القالة (99)

- قالمة (231، 234)

- قرية (99)

- قرطاج (254)

- قسنطينة (92، 241، 242)

- قفصة (89، 91، 92، 93، 101)

- القطار (82، 101)

(ك)

- كابيتيلي (60، 101، 132)

- الكاف (231)

- كاف المكتوبة (234، 242)  
- كرفالة (229)  
- كوديفوار (239)  
- كوريا (78)  
- كوليمناطة (تيارت) (87، 90، 92، 174)  
- كونغولا (71)  
- كينيا (71)  
(ل)  
- لاورتاتنكول (28)  
- لجري (30، 33)  
- اللوم (30)  
- لونكاساما (30، 74)  
- ليبيا (20، 38، 45، 48، 75، 76، 82، 84، 92، 97، 239، 241، 247، 250)  
(م)  
- الماء الأبيض (78)  
- مالي (75، 103، 131، 239، 241، 250)  
- المحيسرات (119)  
- المحيط الأطلسي (22، 44، 101، 108، 241، 247)  
- المحيط الهندي (54)  
- المدينة (174)  
- المراشدة (84، 107)  
- مساك ملت (14، 19، 34، 139)  
- مصر (60، 76، 84، 85، 93، 107، 108، 109، 110، 112، 122، 208، 217، 234، 241، 252، 267، 254)  
- المغرب الأقصى (76، 78، 82، 89، 90، 97، 110، 111، 112، 204، 218، 231، 242، 244، 245)  
- ملغبيغ (29)  
- منرور (33)  
- منقور (28)  
- موريتانيا (40، 47، 54، 103، 109، 112، 122، 204، 210، 250)  
- الموستييه (81)  
- موغار التحتاني (118)  
- المويلح (87، 90، 101، 173، 174)

(ن)

- نافق (27)
- ناماجرت (24)
- الناهيف (17، 19، 21، 30)
- نبتابلايا (103)
- نقادة (84، 107، 110، 217)
- نهر الليكسون (75)
- النيجر (46، 48، 73، 75، 85، 103، 109، 122، 239، 241، 242، 250، 252)
- نيجيريا (71، 239)
- نيس (78)
- النيل (41، 44، 72، 73، 108، 109، 111، 123، 197، 204، 211، 212، 256، 264، 266)

(هـ)

- هاراتين (73)
- الهامل (بوسعادة) (87، 90)
- هرجلة (99)
- الهقار (14، 18، 19، 24، 29، 30، 32، 36، 44، 47، 52، 55، 56، 64، 75، 82، 97، 103، 108، 111، 112، 122، 123، 178، 179، 181، 197، 204، 208، 217، 240، 242، 244)
- هوآفتيح (60، 82، 84، 87، 92، 93، 107، 108)

(و)

- واحة أمون (74)
- واحة الخارجة (84، 107، 109)
- واحة الداخلة (84، 107)
- واحة سيوة (84، 107، 109، 225، 252، 267)
- واد الأجال (98، 120)
- واد باث (98)
- واد تارات (73)
- واد تافاساست (14، 30)
- واد جرات (16، 25، 27، 56، 58، 97، 119، 120، 121، 139، 142، 143، 151، 156، 166، 192، 195، 197، 205، 207، 217)
- واد درعة (231، 244)
- واد الزقاق (101)
- واد زقزة (98)

- واد الساوره (38، 41، 44، 46)
  - واد سوس (110، 123)
  - واد سوف (92)
  - واد الشاطيء (98)
  - واد الصومام (174)
  - واد عكرت (82)
  - واد مسعوده (98)
  - واد الملوك (204)
  - واد منقوب (92)
  - واد ميزاب (78)
  - وان أفوده (48)
  - وان باندر (191)
  - وان تابو (48)
  - وان تالكوت (60)
  - وان دروبان (184)
  - وان سلامين (191)
  - وان كارا (14)
  - وان موهيجاج (131، 178)
  - وراث (31)
  - وهران (109)
- 2- فهرس الأعلام

(أ)

- أغالي زاكارا محمد (228)
- أغسطس (251)
- أفلاطون (161)
- آلا (121، 134، 198)
- أليمان هنريات (Alimen. H) (46)
- أمالو عبد القادر سيدي الشيخ (18).
- أودني (Oudeny) (226)
- أوماسيب جينات (Aumassip. G) (56، 61، 122، 126، 131، 141، 150، 161، 209، 216، 218،

(265

(ب)

- باربان (Barbin. A) (87)  
- بارث هنري (Barth. H) (35)  
- بالاراي بول (Pallaray. P) (87)  
- بالو ليونال (130)  
- براس كارل (Prasse. K) (245، 238، 65)  
- برونون (Brenans) (120، 27)  
- بروي (Breuill) (6، 121، 133، 134، 193، 200)  
- بشي إبراهيم العيد (252، 10)  
- بطليموس (74)  
- بليني الأكبر (5، 9، 30، 74، 112، 251)  
(ت)  
- تندرون (127)  
(ج)  
- جوليان شارل أندري (68)  
- جوداس (227)  
- جويل توماس (253، 256، 265)  
(ح)  
- حانون (74، 75)  
- حشيد مليكة (Hachid. M) (10، 46، 48، 61، 122، 127، 130، 137، 193، 240، 242، 245، 247)  
- حاشي سليمان (122، 232، 250، 254، 265)  
(د)  
- دوباي كريستيان (Dupuy. C) (245)  
- دو موقو (Demougeot) (112، 208)  
- دومينيك لاجو (Dominique Lajoux) (156، 193)  
- دي مرجان (De Morgane) (87)  
- ديورانتي ويل (180)  
(ر)  
- رولمان (Roulmain) (98)  
- ريجاس (Reygasse) (84، 120، 121)  
- ريد توماس (226)  
(س)

- سترابون (5، 9، 74، 166، 181، 251)

- سحنوني (78)،

- سلامة بيار (229)

- سولسي (226، 238)

- سیتی الأول (171)

- سيفاكس (170)

(ش)

- شابو (227)

- شارل دو فوكو (228)

- شاکر سالم (228، 241، 250، 254، 265)

- شوفالييه (57، 86)

(ص)

- صولينيكاك (Solignac) (250)

(غ)

- غالون ليونال (228)

- غزال ستيفان (Gsell. St) (10، 37، 68، 87، 119، 166، 168، 182، 227، 237)

- غوتيه (Gauthier) (22، 112، 120، 157)

(ف)

- فروبينيوس (120)

- فلانم (Flamand) (6، 119، 129، 132، 133، 142، 160)

- فوفري رايمون (121، 130، 204، 217، 218)

- فيتاغورس (160)

- فيرو (Ferou) (119)

- فيفرييه جيمس (Février. J) (227، 237، 238، 245، 248)

(ق)

- قودرون (Gaudron. G) (128)

(ك)

- كامبس غابريال (Camps. G) (9، 100، 103، 104، 130، 188، 197، 204، 205، 210، 211، 220،

229، 238، 244، 245، 253، 254)

- كامبس فابريير (Camps-Fabrer. H) (128، 130)

- كبوراي (18، 39)

- كوريببوس (167)

- كونراد كيليان (Conrad Kilian) (14)

- كوول (Cool) (65)

(ل)

- لوت (Lhote. H) (6، 18، 112، 120، 121، 126، 129، 133، 134، 135، 142، 143، 151، 156،

160، 161، 183، 184، 191، 204، 219، 245)

- لوراد (Leredde. C) (18)

- لوكلاك (Le Quellec. J. L) (10، 18، 122، 129، 130، 137، 161، 193، 223، 255، 256، 265)

(م)

- ماسينيسا (245، 170)

- ماك بيرني (Mac Burney) (92)

- موري فابريتشيو (198، 178، 135، 120)

- مونود تيودور (233، 232، 134)

- ميزولينى (200، 138، 129)

- ميلوتين ميلانكوفيتش (Milutin Milankovitch) (42)

(هـ)

- هيغل (161)

- هيرودوت (5، 9، 22، 73، 74، 75، 112، 113، 173، 182، 183، 208، 210، 220، 251)

- هيوار (197، 196، 195، 137، 134، 121)

# فهرس الشعوب والقبائل والآلهة

1- فهرس الشعوب والقباثل

(أ)

- الأثيوآيين (71)

- الإثيوآيين (72، 74، 75، 96، 143، 208)

- الإغريق (159)

- الإيبيرومغربيين (69)

(ب)

- البرونو (69)

- البوسولوي (74)

- بني ميزاب (253)

(ت)

- التحنو (72، 75)

- الترووقلاآيت (75)

- التمحو (72، 75، 171)

(ج)

- الجرامنت (5، 30، 37، 57، 73، 74، 75، 111، 112، 113، 173، 181، 208، 210، 240)

- الجيتول (74)

- الجيزانت (220)

(د)

- الآينكا (65)

(ر)

- الرومان (37، 159، 208، 209)

- الريبو (171)

(ز)

- الزنوج (71، 72، 73، 103، 113، 163، 167، 198، 201، 208، 211، 241)

(س)

- السودانيين (72، 112، 208)

- السنيغاليين (219)

(ش)

- شعب آجر (73)

- الشعب الإفريقي الجنوبي (72)

- شعوب البحر المتوسط (37، 71، 72، 103، 111، 113، 129، 201، 208، 211)

(ط)

- الطوارق (18، 20، 32، 58، 59، 61، 64، 73، 75، 108، 119، 179، 199، 203، 226، 227، 232،

233، 239، 240، 241، 250، 253، 258)

(ع)

- العاتريين (68، 131، 163، 262)

- العرب (208، 237، 241)

(ف)

- الفينيقيون (74، 159، 207، 209، 237، 240، 241، 247، 254، 267)

(ق)

- القفصيين (79، 98، 101، 129، 131، 163، 242، 247، 262)

- القونش (Gaunches) (226)

(ك)

- كرومانيون (69)

- الكسيبادييس (74)

- كيل أزجر (18)

- كيل أهقار (18)

- الكينييين (219)

(ل)

- الللبيلين (9، 33، 71، 96، 111، 112، 166، 170، 171، 173، 183، 208، 237)

(م)

- الماكسيس (220)

- المشتاويلين (68، 69، 96، 163)

- المشواش (74)

- المصربيلين (111، 112، 113، 124، 170، 208)

(ن)

- الناسامونيس (132، 208)

- النطوفيلين (69)

- النوميذ (112، 131، 209)

(و)

- الوولف (65)

(ي)

- اليلونان (73)

2- فهرس الآلهة

(أ)

- آمون (74، 109، 124، 175، 217)

(ت)

- تانيث (175)

(ج)

- جب (191)

(ح)

- حورس (191)

(ر)

- رع (109، 191)

# فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	ص
شكل. 1	الموقع الفلكي لمرتفعات التاسيلي نازجر .....	15
شكل. 2	مقطع طبوغرافي يوضح الحدود الطبيعية لمنطقة التاسيلي .....	16
شكل. 3	خريطة جغرافية توضح امتداد محمية التاسيلي نازجر بالجزائر .....	17
شكل. 4	صورة توضح شكل الكتل الصخرية لمرتفعات التاسيلي نازجر .....	20
شكل. 5	البنية الجيولوجية للتاسيلي في الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة إيليزي .....	25
شكل. 6	شبكة الأودية والأنهار بمنطقة التاسيلي نازجر .....	31
شكل. 7	رسم بياني لدرجات الحرارة بمنطقة جانت خلال 30 سنة الماضية .....	51
شكل. 8	رسم بياني لأيام الصقيع بمدينة جانت خلال 30 سنة الماضية .....	52
شكل. 9	رسم بياني لنسبة التساقط خلال 30 سنة الماضية بمدينة جانت .....	53
شكل. 10	رسم بياني لسرعة انتقال الرياح في الساعة بمدينة جانت في 30 سنة الماضية	55
شكل. 11	صورة تخيلية للإنسان المعتدل .....	70
شكل. 12	صورة تخيلية للإنسان المشتاوي .....	70
شكل. 13	الفرق بين جمجمة الإنسان المشتاوي وجمجمة الإنسان القفصي .....	70
شكل. 14	صورة لحصى مشدبة بموقع رقان بالصحراء الوسطى .....	77
شكل. 15	رسم توضيحي لتطور الصناعة الحصوية إلى صناعة آشولية .....	80
شكل. 16	فؤوس يدوية ذات الوجهين من المرحلة الأشولية بعرق أدمر بالتاسيلي نازجر	81
شكل. 17	رؤوس سهام من المرحلة الموستيرية بموقع عرق أدمر نواحي التاسيلي نازجر	83
شكل. 18	صناعات عاترية بموقع تهوداين .....	86
شكل. 19	عظام بشرية مصقولة لإنسان مشتة العربي .....	89
شكل. 20	صناعات حجرية إيبرومغربية بموقع راسل نواحي تيبازة .....	90
شكل. 21	قشور بيض النعام مزينة بنقوش وحزوز من المرحلة القفصية .....	94
شكل. 22	صناعات قفصية بموقع ولاد جلال بسكرة .....	95
شكل. 23	قطع من أواني فخارية بموقع القطارة بالغرب الجزائري .....	100
شكل. 24	صناعات عظمية من النمط النيوليتي ذي السمات القفصية بعين مليلة .....	102
شكل. 25	فخار مزين بحزوز على شكل سلال بموقع أمكنى بالقرب من الهقار .....	104
شكل. 26	خريطة جغرافية لأبرز مواقع انتشار مشاهد الفن الصخري بشمال إفريقيا ..	124
شكل. 27	التأريخ النسبي للمشاهد الصخرية بالصحراء حسب كل من لوت، حشيد، موري، ميزولينى .....	138

- شكل. 28 مشهد لكركدن بواد جرات (التاسيلي)، مشهد لفيل بواد باديس (فزان)  
 142 ..... منجزة بمقاسات ضخمة
- شكل. 29 رسوم مميزة باللون الأبيض والأسود منجزة بأسلوب تازينة بواد تاجر جارت ...  
 143
- شكل. 30 رسوم صخرية منجزة بأسلوب خيطي (أسلوب الرعاة) بموقع جبارين .....  
 144
- شكل. 31 مشاهد من المرحلة المتأخرة بواد إركين منجزة بنقر غير منتظم ذات زنجرة  
 145 ..... فاتحة
- شكل. 32 رسم صخري تعرض للتلف بسبب تآكل السطح بالتاسيلي نازجر .....  
 146
- شكل. 33 تشوه مشهد لرسوم صخرية بسبب تصدع وخشونة الواجهة بواد تماجرت ...  
 147
- شكل. 34 مشهد لفيل تعرض للتلف بفعل عوامل الأكسدة بالتاسيلي نازجر .....  
 148
- شكل. 35 صورة توضح تلف نقوش بفعل الترسبات معدنية وسيول الأمطار.....  
 149
- شكل. 36 مشهد لواجهة تعرضت للتصدع والخزاز بفعل نمو النباتات، نواحي جانت ....  
 150
- شكل. 37 عملية تبليل وفرك الرسوم من طرف فريق لوت بموقع صفار .....  
 151
- شكل. 38 تلوث المشاهد الناتج عن دخان السجائر الذي استعمله فريق لوت للبحث  
 152 ..... بواد جرات
- شكل. 39 مشهد لفيل بواد جرات تعرض للتلف بسبب رفعه عن طريق المطاط  
 152 ..... الاصطناعي
- شكل. 40 مشاهد توضح أنواع الملابس بالنسبة للذكور .....  
 168
- شكل. 41 مشهد يوضح أحد أنواع الملابس النسائية .....  
 169
- شكل. 42 ملابس نسائية من مرحلة الرعاة .....  
 169
- شكل. 43 مشاهد لأحذية جلدية بواد جرات .....  
 169
- شكل. 44 مشاهد لفساتين نسوية من مرحلة الرعاة بالتاسيلي .....  
 169
- شكل. 45 تسريحات شعر متنوعة لرجال ونساء من نقوش واد جرات .....  
 171
- شكل. 46 صورة لزعماء ليبيين منقوشة على مقبرة الفرعون سيتي الأول .....  
 172
- شكل. 47 صورة لماسينيسا سنة 148 ق.م .....  
 172
- شكل. 48 مشهد لتسريحات شعر أنثوية بواد جرات .....  
 172
- شكل. 49 مشهد لنساء بتسريحات شعر وملابس مزركشة احدهن تمتطي حصانا...  
 172
- شكل. 50 قلادة من قشور بيض النعام بالصحراء الوسطى .....  
 175
- شكل. 51 بقايا لسوار من الحجارة بموقع تين هانكتان بالتاسيلي .....  
 175
- شكل. 52 نساء حوامل بزينات جسدية بموقع سيفار .....  
 176
- شكل. 53 مشهد لأشخاص بزينات (عقود، أساور، أقراط)، بالتاسيلي نازجر .....  
 176
- شكل. 54 شخصية من مرحلة الصيادين بأوشام جسدية .....  
 176

179	.....	مشهد يوضح خدمة الأرض بموقع جبارين	شكل. 55
180	.....	مشهد يوضح استعمال القرب واستئناس الأبقار	شكل. 56
180	.....	مشهد لعملية جمع الحليب من القطعان بالأكاكوس	شكل. 57
180	.....	أخدود دائري بموقع وان موهيجاج	شكل. 58
180	.....	مشهد يوضح عملية نصب الخيام لنساء بموقع إهران	شكل. 59
182	.....	رجال مسلحين من الجنس الأبيض بموقع جبارين	شكل. 60
182	.....	رجل زنجي من مرحلة الصيادين بالتاسيلي	شكل. 61
186	.....	مشهد الإله الكبير والنساء الحوامل بسيفار	شكل. 62
187	.....	مشهد السيدة البيضاء بأنورحات	شكل. 63
187	.....	مشهد السيدة السوداء بسيفار	شكل. 64
187	.....	مشهد لساحر وسيدة حامل بأنورحات	شكل. 65
187	.....	العبادة بموقع تين تزاريفت	شكل. 66
189	.....	مشهد لمجموعة من الرجال حول امرأة تحمل طفلا بموقع اهران	شكل. 67
190	.....	مشهد لنساء يصعدن الجبل رفقة الأطفال	شكل. 68
190	.....	مشهد يوضح عاطفة الأمومة بين الأم وطفلها بموقع إفدانويين	شكل. 69
194	.....	مشهد لرقصات طقوسية من مشاهد واد عكي بالأكاكوس	شكل. 70
194	.....	رقص طقوسي لنساء مع وجود أبقار ورموز أفعاونية	شكل. 71
194	.....	مشهد لفيلة ضخمة بموقع المساك	شكل. 72
194	.....	مشهد لهيئات سابحة وأخرى في حالة تعبد وصيد	شكل. 73
198	.....	مشهد لصيادين يحملون حبلا وأقواس وعصي بسيفار	شكل. 74
198	.....	مشهد من مرحلة الصيادين يوحى ببداية استئناس قطعان بعدد قليل بسيفار	شكل. 75
199	.....	مشهد لأروية من المرحلة القديمة بالتاسيلي	شكل. 76
199	.....	مشهد لزراف من المرحلة القديمة بموقع تين تزاريفت	شكل. 77
202	.....	مشهد لرعي الأبقار غرب التاسيلي	شكل. 78
202	.....	مشهد رعوي مع رموز حلزونية بموقع جبارين	شكل. 79
202	.....	قطيع من الأبقار المدجنة بموقع جبارين	شكل. 80
202	.....	مشهد لرعاة من الزوج وضعية تأدية رقصات طقوسية بسيفار	شكل. 81
206	.....	أنواع الخيليات من نقوش مرحلة الأحصنة بمنطقة التاسيلي	شكل. 82
206	.....	مشهد لمحارب ليبي يقود عربة يجرها حصان بواد جرات	شكل. 83
206	.....	مشهد لعربة يجرها ثور بواد جرات	شكل. 84
206	.....	مشهد ر لعربة وأحصنة وعدد من المواشي بالتاسيلي	شكل. 85
207	.....	مشهد صراع بين الرماة بسيفار	شكل. 86

209	.....	مشهد لجمل وكتابة ليبية بموقع تاكوديماتين بالتاسيلي	شكل. 87
209	.....	مشهد لجمل وحصان مع نعام بمرتفعات الأطلس الصحراوي	شكل. 88
210	.....	مشهد لصراع من مرحلة الجمل مع كتابة ليبية بجانت	شكل. 89
210	.....	مشهد لأحذية من مرحلة الجمل بموقع الحسابية أولاد نايل	شكل. 90
211	.....	نموذج لإحدى عربات الجرامنت وقطع معدنية من فترة فجر التاريخ بمتحف طرابلس	شكل. 91
220	.....	نقوش حلزونية إلى جانب نقوش حيوانية بالجنوب الوهراني	شكل. 92
221	.....	مشاهد لأيدي وأذرع إلى جانب مشاهد لحيوانات بمنطقة سيفار	شكل. 93
224	.....	مشهد يوضح تدرج هندسية الأشكال التي ميزت الفخار البربري	شكل. 94
224	.....	مشهد تخطيطي لعربات بواد تماجرت	شكل. 95
224	.....	مشهد لعربات تجرها ثيران بالتاسيلي	شكل. 96
230	.....	مشهد يوضح الكتابة الليبية على الواجبة الأمامية لنصب كرفالة	شكل. 97
230	.....	نقوش ليبية اكتشفت بالقرن التاسع عشر بالشافية	شكل. 98
234	.....	حروف تيفيناغية تتجه من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين تعود إلى فترة فجر التاريخ بالتاسيلي	شكل. 99
239	.....	نقيشة أعزيب نكيس بالأطلس الأعلى	شكل. 100

# فهرس الجداول

الرقم	العنوان	ص
جدول. 1	الترابط الاحتمالي بين المراحل المناخية الافريقية والعصور الجليدية الألبية	47
جدول. 2	معدل درجات الحرارة بمدينة جانت خلال 30 سنة الماضية .....	51-50
جدول. 3	معدل نسبة التساقط على مدار السنة خلال 30 سنة الماضية بجانت .....	53
جدول. 4	أشكال مختلف الحروف الليبية وما يقابلها في اللغة العربية والفرنسية .....	235
جدول. 5	ترجمة الحروف التيفيناغية إلى اللغة الفرنسية والعربية .....	236
جدول. 6	جرد لمواقع نقوش الكتابة الليبية البربرية بالتاسيلي نازجر .....	243
جدول. 7	اتجاه الكتابة الليبية وطريقة نطقها باللغة العربية .....	249

# فهرس المحتويات

قائمة المختصرات

قائمة المصطلحات

2	.....	مقدمة
		<b>الفصل الأول : دراسة جغرافية وبيئية لمنطقة التاسيلي نازجر</b>
13	.....	تمهيد
14	.....	1. الموقع الجغرافي لمنطقة التاسيلي نازجر
19	.....	2. تضاريس المنطقة
22	.....	3. البنية الجيولوجية للمنطقة
24	.....	1.3 التاسيلي الداخلي
24	.....	2.3 الأخدود الوسطي
25	.....	3.3 التاسيلي الخارجي
26	.....	4. البنية الهيدرولوجية
26	.....	1.4 الأودية
26	.....	1.1.4 واد جرات
28	.....	2.1.4 واد تامجرت
28	.....	3.1.4 واد إساون ميمرو
29	.....	4.1.4 واد إميمرو
29	.....	5.1.4 واد إغرغارن
30	.....	6.1.4 واد تفاساست
30	.....	7.1.4 واد سامن
30	.....	8.1.4 واد إراران
32	.....	2.4 الأحواض والقلات
33	.....	1.2.4 حوض منرور
33	.....	2.2.4 حوض لجري
33	.....	3.2.4 حوض تمهوبار

34	..... حوض إيليزي	4.2.4
34	..... حوض تانزروفت	5.2.4
34	..... حوض آركين	6.2.4
35	..... حوض غدامس	7.2.4
35	..... المياه الجوفية	3.4
38	..... المناخ	.5
39	..... مناهج دراسة المناخ	1.5
42	..... آلية التغيرات المناخية	2.5
44	..... المناخ القديم	3.5
49	..... المناخ الحالي	4.5
50	..... الحرارة	1.4.5
52	..... الأمطار والرطوبة	2.4.5
54	..... الرياح	3.4.5
56	..... الأصناف النباتية	.6
59	..... الغطاء الحيواني	.7
62	..... حوصلة	

### الفصل الثاني: دراسة التركيبة السكانية ومظاهر التعمير البشري

64	..... تمهيد	
65	..... مناهج دراسة السلالات البشرية	.1
67	..... التركيبة السكانية بمنطقة التاسيلي نازجر	.2
67	..... الفئة البشرية خلال مرحلة البلايستوسين	1.2
71	..... الفئة البشرية خلال مرحلة الهولوسين	2.2
75	..... مظاهر التعمير البشري خلال مرحلة البلايستوسين	.3
76	..... مظاهر الحضارة الحصوية	1.3
77	..... مظاهر الحضارة الأشولية	2.3
81	..... مظاهر الحضارة الموسستيرية	3.3
84	..... مظاهر الحضارة العاترية	4.3

86	..... مظاهر الحضارة الإيبرومغربية	5.3
91	..... مظاهر التعمير البشري خلال مرحلة الهولوسين	.4
91	..... مظاهر الحضارة القفصية	1.4
96	..... المميزات العامة للحضارة النيوليتية	2.4
99	..... مراحل العصر النيوليتي	3.4
99	..... النيوليتي المتوسطي الساحلي	1.3.4
100	..... النيوليتي ذي التقاليد القفصية	2.3.4
102	..... النيوليتي الصحراوي	3.3.4
105	..... مظاهر النشاط البشري خلال الفترة النيوليتية	4.4
107	..... مظاهر الهجرة والتحركات البشرية	.5
113	..... حوصلة	

### الفصل الثالث: منهجية دراسة الفن الصخري

116	..... تمهيد	
117	..... مفهوم الفن الصخري	.1
118	..... تاريخ الأبحاث	.2
122	..... التوزيع الجغرافي للمشاهد الصخرية في شمال إفريقيا	.3
125	..... كرونولوجية تأريخ الفن الصخري	.4
125	..... طرق وآليات تأريخ المشاهد الصخرية	1.4
125	..... التأريخ بواسطة النظائر المشعة	1.1.4
126	..... دراسة الزنجرة	2.1.4
127	..... التأريخ بواسطة مسحوق الفلور	3.1.4
128	..... التأريخ اعتمادًا على تركيب النقوش	4.1.4
129	..... التواريخ المقترحة حسب الباحثين	2.4
132	..... تصنيف مشاهد الفن الصخري	3.4
139	..... تقنيات وأساليب إنجاز المشاهد الصخرية	.5
145	..... مظاهر التدهور والتلف	.6
145	..... التآكل والتعرية	1.6

146	..... التقشير وخشونة السطح	2.6
148	..... الأكسدة	3.6
148	..... آثار السيول وتبلور الأملاح	4.6
149	..... نمو النباتات والطحالب	5.6
150	..... الإتلاف البشري	6.6
153	..... طرق الصيانة والحماية	.7
156	..... أهمية الفن الصخري في الكتابة التاريخية	.8
159	..... مناقشة	.9
162	..... حوصلة	

### الفصل الرابع: دراسة الحياة الاجتماعية من خلال المشاهد

#### الصخرية

165	..... تمهيد	
166	..... الملابس	.1
169	..... تسريحات الشعر	.2
173	..... الحلي وأدوات الزينة	.3
177	..... الطعام والمسكن	.4
180	..... مشاهد الأسرة	.5
181	..... مشاهد الرجال	1.5
183	..... مشاهد المرأة	2.5
187	..... مشاهد الأطفال	3.5
190	..... المشاهد الطقوسية	.6
195	..... مشاهد الحياة اليومية	.7
195	..... مشاهد مرحلة القنص والحياة البرية	1.7
199	..... مشاهد مرحلة الاستئناس والرعي	2.7
203	..... مشاهد مرحلة الحصان والعربات	3.7
207	..... مشاهد مرحلة الجمل	4.7
210	..... مشاهد مرحلة فجر التاريخ	5.7

212	..... حوصلة	
	<b>الفصل الخامس: دراسة الجانب الثقافي من خلال المشاهد الصخرية</b>	
214	..... تمهيد	
215	..... دراسة الرمزية في مشاهد الفن الصخري	.1
221	..... دلائل استمرارية الرموز في مشاهد الكتابة الليبية البربرية	.2
225	..... الكتابة الليبية البربرية	.3
226	..... الدراسات السابقة	1.3
228	..... أنواع الكتابة الليبية البربرية	2.3
229	..... الكتابة الليبية الشرقية	1.2.3
231	..... الكتابة الليبية الغربية	2.2.3
232	..... الكتابة الصخرية الصحراوية	3.2.3
237	..... أصل الكتابة الليبية البربرية	3.3
241	..... التوزيع الجغرافي لمشاهد الكتابة الليبية البربرية	.4
244	..... الكرونولوجية التاريخية للكتابة الليبية البربرية	.5
247	..... مميزات الكتابة الليبية البربرية	.6
251	..... اللغة	.7
253	..... مناقشة عامة	.8
257	..... حوصلة	
260	..... خاتمة	
269	..... الببليوغرافيا	
289	..... فهرس الأماكن والأعلام	
304	..... فهرس الشعوب والقبائل والآلهة	
308	..... فهرس الأشكال	
313	..... فهرس الجداول	
315	..... فهرس المحتويات	

ملخص

**Abstract**

**Résumé**

تعد مشاهد الفن الصخري إحدى أبرز أنواع الإنتاج الفكري لإنسان مرحلة ما قبل التاريخ وفجره، حيث ساهمت بشكل كبير في تدوين جزء من مظاهر الحياة اليومية، ومدى تأثير الظروف البيئية والمناخية على المنطقة وانعكاساتها على أوجه النشاط البشري، المترجم في شكل مشاهد انتقلت من الواقعية والتجريد إلى الرمزية والتخطيط لتنتهي بظهور الكتابة، وتركز هذه الدراسة على: استقراء مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال ما تعرضه مشاهد اللوحات الجدارية، طبيعة العلاقة التي تربط الجداريات بمشاهد الكتابة الليبية البربرية، مدى توافق تسمية الفن الصخري مع ما يقدمه هذا الموروث من معطيات، مدى إمكانية تعميم خصائص الجداريات في منطقة التاسيلي نازجر على كامل مواقع الفن الصخري بشمال إفريقيا.

الكلمات المفتاحية: المشاهد الصخرية؛ الكتابة الليبية البربرية؛ الرمزية؛ المناخ؛ التاسيلي نازجر.

### Abstract

Rock art scenes are one of the most prominent types, of intellectual production of prehistoric period and protohistory, as it contributed significantly to recording part of the aspects of daily life. Rock art contributed the extent of the impact of environmental and climatic conditions on the region, and their repercussions on aspects of human activity, translated in the form of scenes that moved from realism, and abstraction to symbolism and planning to end with the emergence of writing. This study focuses on: extrapolating aspects of social and cultural life, through what is presented in the scenes of the rock scenes, the nature of the relationship between the frescoes and the scenes of Libyco-Berber writing, the compatibility of the name of rock art with the data provided by this heritage. This study also, allows for the extent to which the characteristics of murals in the Tassili Nazjer area can be generalizing to the entire rock art sites in North Africa.

**Keywords:** Rock scenes; Libyco-Berber writing; Symbolism; Climate; Tassili Nazjer.

### Résumé

Les scènes d'art rupestre sont l'un des types les plus importants de production intellectuelle de la période préhistorique et de la protohistoire, car elles ont contribué de manière significative à l'enregistrement d'une partie des aspects de la vie quotidienne. Les scènes rupestres ont contribué à l'ampleur de l'impact des conditions environnementales et climatiques sur la région, et à leurs répercussions sur certains aspects de l'activité humaine, traduits sous la forme des scènes qui sont passées du réalisme et de l'abstraction au symbolisme et à la planification pour se terminer avec l'émergence de l'écriture. Cette étude concentre à : l'extrapolation d'aspects de la vie sociale et culturelle à travers les scènes rupestres, la nature de leur relation avec les scènes de l'écriture libyco-berbère, la compatibilité du nom de l'art rupestre avec les données fournies par ce patrimoine, la mesure dans laquelle les caractéristiques des Fresques du Tassili Nazjer peuvent être généralisées à l'ensemble des sites d'art rupestre en Afrique du Nord.

**Mots-clés:** Scènes rupestres; Ecriture libyco-berbère; Symbolisme; Climat; Tassili Nazjer.